مجلة

المعلم

للبحوث الشرعية والتربوية

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 1 03/04/2023 12:47 PM

مجلة

المعلم

للبحوث الشرعية والتربوية

مجلة نصف سنوية عن التوجيه الفني العام لدور القرآن الكريم
شوال ١٤٤٤ هـ - مارس ٢٠٢٣م

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 2 03/04/2023 12:47 PM

الفهرس

الافتتاحية	٥
وقفة مع آية بقلم المعلم/ سعد أبو شيبة	٧
القواعد النافعة في أسماء الله وصفاته بقلم الموجه الفني العام/ د. عثمان المحمد الخميس	١٩
دراسة موجزة لحال أحد الرواة د.عبد الله بن لَهيعة المصري بقلم المعلم/ د. منصور بن عبد الله العازمي	٣٩
مفهوم الخدمات التمويلية في الفقه الإسلامي بقلم د. جاسم كاظم الكندري	٤٩
طرق تدريس وإدارة حصص القرآن الكريم بقلم الموجهة الأولى/ ريم المتروك	٦٧
مدخل إلى أخلاق المهنة في الإسلام بقلم الموجه الفني العام/ د. مشعل الحداري	٧٩
نبذة عن القواعد الفقهية بقلم المعلم/ سعود ذعار شعيب المطيري	١٠١
ماذا تقرأ في تاريخ الكويت (٢) بقلم الموجه الفني العام/ عثمان أحمد الكندري	١١٧
أولادنا والأجهزة الإلكترونية-المخاطر والحلول بقلم الموجه الفني الأول/ د. عماد العون	١٢٧
التكييف الفقهي للأوراق النقدية بقلم المعلم/ عبد الله بن عويد الرشيدي	١٣٧
حواشي على المنظومة البيقونية بقلم الموجه الفني العام/ د. عبد العزيز الرمح	١٤٥
فقه المياه بقلم الموجه الفني/ عبد العزيز نقى مرزوق المطيري	١٥٩

رئيس التحرير

عثمان محمد الخميس

نائب رئيس التحرير

عثمان أحمد الكندري

أسرة التحرير

وليد الديولي

د. عبد العزيز الرمح

سكرتير المجلة

نضال حمدي زيدان

مصطفى فتحي عبد الباسط

البريد الإلكتروني

altawgih@yahoo.com

- البحوث والدراسات المنشورة في المجلة تعبر عن آراء الباحثين ولا تعبر عن رأي المجلة.
- ترتيب البحوث لا يخضع لأهمية البحث ولا لمكانة الباحث.

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 4 03/04/2023 12:47 PM

الإفتتاحية

الحمد لله الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم، وصلى الله وسلم على خير من عُلِّم فتعلّم ثم عَلَّم وعلى آله وصحبه أجمعين، أمّا بعد:

فإن خير ما صرفت فيه الأوقات والأموال والجهود، طلب العلم الذي به يتمايز الناس عند الله جلّ وعلا، كما قال تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وما أمر الله نبيّه أن يطلب من الدنيا غير قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾.

ووسائل وطرق مدارسة العلم كثيرة منها كتابة البحوث وفيها فوائد جمة تعود على الباحث أولاً والقارئ ثانياً بالخير العميم ومن تلك الفوائد:

١-التدريب على جمع المعلومات وترتيبها وغربلتها.

٢-التدريب على التعامل مع أمهات الكتب ومعرفة فنونها ومناهج مؤلفيها.

٣-التدريب على استخلاص المعلومات ذات العلاقة بموضوع البحث بطريقة علمية.

٤-التدريب على ترتيب المعلومات علميًا ومنطقيًا.

٥-التدريب على التفريق بين المتشابهات والجمع بين المتماثلات في مادة البحث.

٦-التدريب على التحليل العلمي واستخلاص النتائج.

وغيرها من الفوائد.

وإني من خلال هذه المقدمة للعدد الرابع أدعو الأخوة الأكارم أعضاء هيئة التدريس في دور القرآن الكريم – رجالًا ونساءً – للمشاركة بالبحوث البناءة والعلمية في الأعداد القادمة من مجلة «المعلم للبحوث الشرعية والتربوية».

هذا وأسأل الله الكريم للجميع التوفيق والسداد في القول والعمل.

رئيس التحرير

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 6 03/04/2023 12:47 PM



وقفة مع آية

بقلم الموجه الفني

سعد أبو شيبه

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 7 03/04/2023 12:47 PM

وقفة مع قول الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْ ﴾ (النساء:٤٣)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد :

فهذه وقفة نافعة مع الآية ٤٣ من سورة النساء كثر الخلاف فيها بين المفسرين وترتب عليها أحكام فقهية عدة سنسلط الضوء عليها في هذه الورقات ونسأل الله تعالى أن ينفع بها إنه سميع قريب مجيب.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْ ﴾ قال القرطبي رحمه الله في تفسير هذه الآية : اختلف العلماء في المراد بالصلاة هنا ، فقالت طائفة: هي العبادة المعروفة نفسها وهو قول أبي حنيفة ولذلك قال «حتى تعلموا ما تقولون» وقالت طائفة: المراد مواضع الصلاة وهو قول الشافعي فحذف المضاف وقد قال تعالى «لهدمت صوامع وبيع وصلوات» فسمى مواضع الصلاة صلاة ، ويدل على هذا التأويل قوله تعالى « ولا جنباً إلا عابري سبيل» وهذا يقتضي جواز العبور للجُنُب في المسجد لا الصلاة فيه ، وقال أبوحنيفة المراد بقوله تعالى «ولا جنباً إلا عابري سبيل» المسافر إذا لم يجد الماء فإنه يتيمم ويصلي وسيأتي بيانه ، وقالت طائفة المراد الموضع والصلاة معاً لأنهم كانوا حينئذ لا يأتون المسجد إلا للصلاة ولا يصلون إلا مجتمعين فكانا متلازمين ا. هـ.[1]

■ **أقول**: أما القول الأول فيروى عن علي بن أبي طالب وابن عباس انظر المحلى٢/١٨٥ والأوسط لابن المنذر ٢/١٠٨ ، ومجاهد وسعيد بن جبير ، والقول الثاني فيروى عن ابن عباس أيضاً وابن مسعود وكذا الحسن وابن المسَّيب.

■ تحقيق القول في رأي ابن عباس:ـ

روى البيهقي قول ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير الآية حيث قال « لا تدخل المسجد وأنت جنب إلاّ أن يكون طريقك فيه ولا تجلس » قال ابن التركماني رحمه الله: في سنده أبو جعفر عيسى بن ماهان الرازي ، قال أبو زرعة « يهم كثيراً» وقال

(١) الجامع لأحكام القرآن ٥/٢٠٢

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 8 03/04/2023 12:47 PM

الفلاس « سيء الحفظ » وقال أحمد والنسائي: ليس بالقوي ، وقد جاء عن ابن عباس بسند صحيح خلاف هذا القول، قال ابن أبي شيبة في مصنفه ثنا وكيع عن ابن أبي عروبة عن قتادة عن أبي مجلز عن ابن عباس « ولا جنباً إلا عابري سبيل» هو المسافر يعني لا يجد الماء فيتيمم، وروى عبدالرزاق في مصنفه عن ابن جريج عن عمرو بن دينار قال: يمر الجنب في المسجد قال ابن جريج: وأقول أنا، قال ابن عباس «ولا جنباً إلاّ عابري سبيل» مسافرين لا يجدون ماء وقد أخرج البيهقي مثل هذا عن علي فيما مضى في «باب الجنب يكفيه التيمم إذا لم يجد ماء» ا. هـ [1]

■ ويترتب على ما تقدم من خلاف حكم المكث في المسجد للجنب واجتيازه به ويلحق به الحائض والنفساء لأنهما بمعناه، فمن ذهب إلى أن المراد من الصلاة موضعها وهو المسجد، أخذ من الاستثناء أن الجنب وما في معناه كالحائض والنفساء ممنوع من المسجد إلاَّ في حال العبور فإنه يجوز له أن يعبر دون أن يمكث ، وأما على القول الآخر فيكون معنى الآية لا تقربوا الصلاة في حال السكر ولا في حال الجنابة حتى تغتسلوا إلاَّ إذا كنتم مسافرين وليس فيه دلالة على قربان مواضع العباد وهي المساجد، أما القول الثالث الذي يجمع بين المعنيين في الآية (الموضع والصلاة) حيث أنهم لا يأتون المسجد إلا للصلاة ولا يصلون إلاَّ مجتمعين فكانا متلازمين يوضحه ما ذكره الشوكاني رحمه الله حيث يقول: ويمكن أن يقال إن بعض قيود النهي أعني « لا تقربوا» وهو قوله «وأنتم سكارى» يدل على أن المراد بالصلاة معناها الحقيقي وبعض قيود النهي وهو قوله «إلا عابري سبيل» يدل على أن المراد مواضع الصلاة ولا مانع من اعتبار كل واحد منهما مع قيده الدال عليه و يكون ذلك عليه ويكون ذلك بمنزلة نهيين مقيد كل واحد منهما بقيد وهما لا تقربوا الصلاة التي هي ذات الأذكار والأركان وأنتم سكارى ، ولا تقربوا مواضع الصلاة حال كونكم جنباً إلا حال عبوركم في المسجد من جانب إلى جانب وغاية ما يقال في هذا أنه من الجمع بين الحقيقة والمجاز وهو جائز بتأويل مشهور ا. هـ. [2]

(١) سنن البيهقي٢/٤٤٣ وانظر إرواء الغليل ١/ ٢١٠/٢١١ .
(٢) فتح القدير ١/٧٠١ وانظر كلام ابن تيمية رحمه الله في شرحه العمدة ١/٣٩١ .

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 9 03/04/2023 12:47 PM

■ **فهذه ثلاثة أقوال كما ترى وسنورد ما عورض به كل قول على جهة الاختصار فنقول:**

■ أما القول الأول الذي حمل الآية على مواضع الصلاة وهي المساجد فيقال فيه:

١-إن سبب نزول الآية كان في قوم صلوا بعد شرب الخمر ولم يكن ذلك في المسجد وإنما كان في بيت رجل من الأنصار فعن علي بن أبي طالب ﷺ قال: صنع لنا عبدالرحمن بن عوف طعاماً فدعانا وسقانا من الخمر فأخذت الخمر منا وحضرت الصلاة فقدموا فلاناً قال: فقرأ «قل يا أيها الكافرون ما أعبد ما تعبدون ونحن نعبد ما تعبدون» قال فأنزل الله تعالى قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْ ﴾ وهناك عدة روايات[1]

٢-أن قوله تعالى «حتى تعلموا ما تقولون» يدل على أن المراد لا تقربوا نفس الصلاة إذ المسجد ليس فيه قول مشروع يمنع السكر منه، أما الصلاة ففيها أقوال مشروعة يمنع السكر منها وهي القراءة والدعاء والذكر.

٣-أن تأويل الآية على هذا الوجه يتوقف على تقدير مضاف والأصل عدم التقدير.

٤-أنه ذكر حكم المريض والمسافر إذا أجنب ولم يجد الماء فإنه يتيمم، وهذا لا يكون في المساجد غالباً .

■ أما القول الثاني الذي حمل الصلاة على الصلاة الحقيقية ذات الأركان والأذكار المعلومة فيقال فيه :

١-أن قوله « لا تقربوا الصلاة » القرب والبعد أولى به أن يكون في المحسوسات فيحمل على المسجد، لأنه إذا حمل على الصلاة نفسها لم يصح الاستثناء في قوله «إلاَّ عابري سبيل» ولو حملنا عابر سبيل على المسافر لأن هذا الحكم حينئذ ليس خاصاً بالمسافر بل يدخل فيه كل من عجز عن استعمال الماء أو فقده ولو كان في الحضر .

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ٢/٣٠٩ .

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 10 03/04/2023 12:47 PM

٢-حملنا قوله تعالى « إلا عابري سبيل » على المسافر يؤدي إلى التكرار، لأن الله ذكر بعد ذلك حكم المسافر في قوله تعالى « وإن كنتم مرضى أو على سفر .... الآية »

■ أما القول الثالث الذي حمل الصلاة على المعنيين من باب الجمع بين الحقيقة والمجاز فيقال فيه:

إن استعمال اللفظ في المعنى الحقيقي والمجازي حال كونهما مقصودين بالحكم بأن يراد كل واحد منهما ممنوع عند جمهور أهل العربية وجميع الحنفية وجمع من المعتزلة والمحققين من الشافعية، وقول الشوكاني رحمه الله السابق في الكلام على الآية : أن هذا من الجمع بين الحقيقة والمجاز وهو جائز بتأويل مشهور ا.هـ فقد ذهب إلى خلافه في إرشاد الفحول حيث قال بعد أن ذكر أقوال العلماء : والحق امتناع الجمع بينها لتبادر المعنى الحقيقي من اللفظ من غير أن يشاركه غيره في التبادر عند الإطلاق وهذا بمجرده يمنع من إرادة غير الحقيقي بذلك اللفظ المفرد مع الحقيقي ا. هـ إرشاد الفحول ١/١٣٢-١٣٣ ويوضح الجصاص رحمه الله هذه القاعدة ويطبقها عملياً على الآية المتنازع عليها فيقول رحمه الله عند قوله تعالى « ولا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى » يقول : نهى عن فعل الصلاة نفسها في هذا الحال لا عن المسجد لأن ذلك حقيقة اللفظ ومفهوم الخطاب وحمله على المسجد عدول بالكلام عن حقيقته إلى المجاز بأن تجعل الصلاة عبارة عن موضعها كما يسمى الشئ باسم غيره للمجاورة أو لأنه تسبب منه كقوله تعالى « لهدمت صوامع وبيع وصلوات » يعني به مواضع الصلوات، ومتى أمكننا استعمال اللفظ على حقيقة لم يجز صرفه عنها إلى المجاز إلاَّ بدلالة ولا دلالة توجب صرف ذلك عن الحقيقة أ. هـ [١]

■ الراجح من هذه الأقوال:

يظهر والله أعلم أن الراجح من هذه الأقوال هو القول الذي حمل الصلاة في الآية على معناها الحقيقي وذلك لأمور :

(١) أحكام القرآن للجصاص ٢/٢٠٥ .

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 11 03/04/2023 12:47 PM

١-أن سبب النزول يؤيده فإنه كان في قوم صلوا بعد ما شربوا الخمر فخلطوا في الآيات فنهاهم الله عن قربان الصلاة في هذه الحالة كما أن ذلك لم يكن في المسجد بل في بيت رجل من الأنصار كما تقدم بيانه .

٢-أن قوله تعالى « حتى تعلموا ما تقولون » يدل على أن المراد بالصلاة في الآية الصلاة الحقيقية المعلومة لأن فيها أقوالاً مشروعة تختلط على القارئ بخلاف المسجد ، قال الجصاص رحمه الله : وفي نسق التلاوة ما يدل على أن المراد حقيقة الصلاة وهو قوله تعالى: «حتى تعلموا ما تقولون». وليس للمسجد قول مشروط يمنع من دخوله لتعذره عليه عند السكر وفي الصلاة قراءة مشروطة فمنع من أجل العذر عن إقامتها عن فعل الصلاة فدل ذلك على أن المراد حقيقة الصلاة فيكون تأويل من تأوله عليها موافقاً لظاهرها وحقيقتها ا. هـ [١]

٣ - أن حمل الآية على الصلاة نفسها لا يحتاج معه إلى تقدير مضاف وهو الأصل في كلام العرب .

٤ - أن الآية ذكرت حكم الجنب الذي لم يجد الماء وهذا لا يكون في المساجد غالباً بل في السفر .

٥ - الأحاديث التي تفيد جواز دخول الحائض المسجد والمكث فيه ، وسيأتي ذكرها.

■ الجواب على ما اعترض به هذا القول :

١- أن قولهم عند قوله تعالى « لا تقربوا » يكون في المحسوسات لأنَّ بها يكون القرب والبعد فيحمل على المسجد لا الصلاة نفسها فيجاب عليه بما يلي :

أ- ما ذكره الشيخ / محمد رشيد رضا في تفسيره المنار وهو: أن النهي عن قربانها دون مطلق الإتيان بها لا يدل على إرادة المسجد، إذ النهي عن قربان العمل معروف في الكلام العربي وفي التنزيل خاصة:"ولا تقربوا الزنى" والنهي عن العمل بهذه الصيغة يتضمن النهي عن مقدماته ا. هـ ٥/ ١١٣ .

---

(١) أحكام القرآن للجصاص ٢ / ٢٠٥ .

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 12 03/04/2023 12:47 PM

ب- قال ابن العربي رحمه الله : سمعت الشيخ الإمام فخر الإسلام أبا بكر محمد بن أحمد الشاشي وهو ينتصر لمذهب أبي حنيفة ومالك في مجلس النظر قال : يقال في اللغة العربية لا تقرب كذا ـ بفتح الراء ـ أي لا تلبَّس بالفعل، وإذا كان بضم الراء كان معناه لا تدن من الموضع ، قال ابن العربي : وهذا الذي قال صحيح مسموع ا. هـ أحكام القرآن لابن العربي ٤٣٣/١ فالمراد هنا إذاً النهي عن التلبس بالصلاة وغشيانها.

٢ - أن حمل قوله تعالى : «إلا عابري سبيل» : على المسافر يؤدي إلى التكرار ، لأن الله ذكر بعد ذلك حكم المسافر في قوله تعالى : وإن كنتم مرضى أو على سفر ... الآية فيجاب عليه :

أ - أن المسافر يقال له عابر سبيل حقيقة واسما ، يقول الجصاص رحمه الله : ولولا أنه يطلق عليه هذا الاسم لما تأوله عليه علي وابن عباس إذ غير جائز لأحد تأويل الآية على ما لا يقع عليه الاسم وإنما سمى المسافر عابر سبيل لأنه على الطريق كما يسمى ابن السبيل ا.هـ [١]

ب - قال ابن العربي رحمه الله: وأما قولهم : إن هذا يفهم من الآية التي بعدها في قوله تعالى «وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً» فليس يفهم من هذا إلاَّ جواز التيمم عند عدم الماء فأما أن يكون التيمم لا يرفع الحدث مع إباحة الصلاة فليس يفهم إلاَّ من هذا الموضع قبله وهي فائدة حسنة جداً ا.هـ أحكام القرآن لابن العربي ٤٣٧/١ - ٤٣٨.[٢]

أراد رحمه الله أن دلالة قوله تعالى « ولا جنباً إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا» إنما هو إباحة الصلاة حال السفر حتى وجود الماء فيجب حينئذ الاغتسال فالحدث في هذه الحالة باق لم يرتفع ، وأما قوله تعالى « وإن كنتم مرض أو على سفر ..... فتيمموا صعيداً طيباً » فيدل على جواز التيمم عند عدم الماء فالدلالتان في الآية مختلفتان ولا تكرار في الآية والله أعلم .

(١) أحكام القرآن ٢٠٥/٢ .
(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٤٣٧/١ - ٤٣٨ .

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 13 03/04/2023 12:47 PM

٣-أما الأحاديث التي تفيد ـ نهي الجنب والحائض من دخول المسجد فقد تكلم فيها العلماء من ناحية صحتها أو دلالتها وهي :

أ - أخرج أبو داود ٢٣٢ ، والبيهقي ٤٤٢/٢ من طريق الأفلت بن خليفة قال حدثتني جسرة بنت دجاجة قالت سمعت عائشة رضي الله عنها تقول: جاء رسول الله ﷺ ووجوه بيوت أصحابه شارعة في المسجد فقال: وجهوا هذه البيوت عن المسجد ثم دخل النبي ﷺ ولم يصنع القوم شيئاً رجاء أن تنزل فيهم رخصة فخرج إليهم بعد فقال : وجهوا هذه البيوت عن المسجد فإني لا أحل المسجد لحائض ولا جنب» وزاد البيهقي « إلاَّ لمحمد وآل محمد » قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره : قال أبو مسلم الخطابي : ضعف هذا الحديث جماعة، وقالوا : أفلت مجهول لكن رواه ابن ماجة من حديث أبي الخطاب الهجري عن محدوج الذهلي عن جسرة عن أم سلمة عن النبي ﷺ به ، وقال أبو زرعة الرازي : يقولون جسرة عن أم سلمة الصحيح جسرة عن عائشة رضي الله عنها ا. هـ وقال البيهقي: قال البخاري: وعند جسرة عجائب ا. هـ وقال البيهقي ليس بالقوي، وقال عبد الحق: لا يثبت، وبالغ ابن حزم فقال: إنه باطل (انظر تمام المنة ١١٨) وضعفه أيضاً ابن المنذر في الأوسط حيث قال: حديث عائشة وقد ذكرته في غير هذا الموضع وهو غير ثابت لأن أفلت مجهول لا يجوز الاحتجاج بحديثه ا. هـ ١١٠/٢، وقال ابن رجب في شرح البخاري: وفي إسناده مقال ا. هـ ١١٠/٢.

ب - أخرج الترمذي في جامعه من حديث سالم ابن أبي حفصة عن عطية عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: يا علي لا يحل لأحد أن يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك قال ابن كثير: حديث ضعيف لا يثبت فإن سالماً هذا متروك وشيخه عطيه ضعيف ا. هـ [١]

ج - ما رواه يزيد بن أبي حبيب أن رجالاً من الأنصار كانت أبوابهم إلى المسجد فكانت تصيبهم جنابة فلا يجدون الماء ولا طريق إليه إلاَّ من المسجد فأنزل الله تعالى «ولا جنباً إلاَّ عابري سبيل» رواه ابن جرير، فإن يزيد هو أبو رجاء

(١) تفسير ابن كثير ٣١٢/٢.

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 14 03/04/2023 12:47 PM

المصري وكان فقيها من ثقات التابعين إلا أنه كان يرسل فهذه الرواية معللة بالإرسال فلا يفرح بها، قاله الألباني رحمه الله في تمام المنة ١١٩.

■ الأحاديث التي تتعلق بهذا الباب:

١ - أخرج البخاري وغيره عن أم عطية أنها سمعت النبي ﷺ يقول: يخرج العواتق وذوات الخدور- أو العواتق ذوات الخدور- والحيض وليشهدن الخير ودعوة المؤمنين ويعتزل الحيض المصلى «فسئلت عن الحيض فقالت: أليس تشهد عرفة وكذا وكذا» فقد قال ابن رجب رحمه الله: وأما أمر الحائض باعتزال المصلى، فقد قيل بأن مصلى العيدين مسجد، فلا يجوز للحائض المكث فيه وهو ظاهر كلام أصحابنا منهم ابن أبي موسى في شرح الخرقي وهو -أيضاً - أحد الوجهين للشافعية والصحيح عندهم أنه ليس بمسجد فللجنب والحائض المكث فيه وأجابوا عن حديث الأمر باعتزال الحيض للمصلى بأن المراد أن يتسع على غيرهن ويتميزن، وفي هذا نظر فإن تميز الحائض عن غيرها من النساء في مجلس وغيره ليس بمشروع وإنما المشروع تميز النساء عن الرجال جملة فإن اختلاطهن بالرجال يخشى من وقوع المفاسد... ثم قال: والأظهر أن أمر الحيض باعتزال المصلى إنما هو حال الصلاة ليتسع على النساء الطاهرات مكان صلاتهن ثم يختلطن بهن في سماع الخطبة ا. هـ[١]

٢- ما جاء في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال «افعلي ما يفعل الحاج غير ألاَّ تطوفي بالبيت» قال ابن حزم رحمه الله معارضا هذا الاستدلال : ولو كان دخول المسجد لا يجوز للحائض لأخبر بذلك عليه السلام إذ حاضت فلم ينهها إلاَّ عن الطواف بالبيت فقط ومن الباطل المتيقن أن يكون لا يحل لها دخول المسجد فلا ينهاها عليه السلام من ذلك ويقتصر على منعها من الطواف وهذا قول المزني وداود وغيرهما وبالله التوفيق. ا. هـ.[٢]

■ وهذه بعض الأحاديث المتعلقة بهذا الباب واختلف في تأويلها العلماء :.

٣- عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال لي رسول الله ﷺ : «ناوليني الخمرة من المسجد

(١) شرح البخاري ٢/١٤١-١٤٢ .
(٢) من المحلى ٢/٧٨١.

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 15 03/04/2023 12:47 PM

فقلت إني حائض فقال: إن حيضتك ليست في يدك» رواه الجماعة إلا البخاري، والخمرة : بضم الخاء المعجمة وإسكان الميم قال الهروي وغيره : هي السجادة وهي ما يضع عليه الرجل حر وجهه في سجوده من حصير أو نسيجه من خوص وقال الخطابي: هي السجادة يسجد عليها المصلي وهي عند بعضهم قدر ما يضع عليه المصلي وجهه فقط وقد تكون عند بعضهم أكبر من ذلك، قال الشوكاني رحمه الله : والحديث يدل على جواز دخول الحائض المسجد للحاجة ولكن يتوقف على تعلق الجار والمجرور، أعني قوله «من المسجد» بقوله «ناوليني» وقد قال بذلك طائفة من العلماء ... وعلقته طائفة أخرى بقولها «قال لي رسول الله ﷺ من المسجد ناوليني الخمرة» على التقديم والتأخير ثم قال : ويحتمل أن يكون المراد بالمسجد هنا مسجد بيته الذي كان يتنفل فيه فيسقط الاحتجاج به في هذا الباب ا. هـ [1]

أقول ويعين الاحتمال الأول الحديث الآتي:

٤- عن ميمونة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يدخل على إحدانا وهي حائض فيضع رأسه في حجرها فيقرأ القرآن وهي حائض ثم تقوم إحدانا بخمرته فتضعها في المسجد وهي حائض» رواه أحمد والنسائي وفيه جهالة أم منبوذ لكن قال صاحب إرواء الغليل:[2] قال الشوكاني رحمه الله . وأما وضع الخمرة في المسجد فهو حجة لمن قال بجواز دخول الحائض المسجد للحاجة ومؤيد لتعليق الجار والمجرور في الحديث الأول (يعني حديث عائشة السابق) بقوله «ناوليني» لأن دخولها المسجد لوضع الخمرة فيه لا فرق بينه وبين دخولها إليه لإخراجها ا. هـ [3]

٥- ما أخرجه البخاري وغيره عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها «أن وليدة سوداء كانت لحي من العرب فأعتقوها جاءت إلى رسول الله ﷺ فأسلمت فكان لها خباء في المسجد أو حفش» كتاب الصلاة باب نوم المرأة في المسجد حديث ٤٣٩، قال ابن حزم رحمه الله : فهذه امرأة ساكنة في مسجد النبي ﷺ والمعهود من النساء الحيض فما منعها

(١) نيل الأوطار ١/٢٢٧-٢٢٨ ،
(٢) إسناده حسن في الشواهد أ. هـ ١/٢١٣،
(٣) نيل الأوطار (١/٢٢٨) .

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 16 03/04/2023 12:47 PM

عليه السلام من ذلك ولا نهى عنه وكل ما لم ينه عليه السلام عنه فمباح ا. هـ المحلي ١٨٦/٢ ، قال ابن رجب رحمه الله في شرحه لهذا الحديث:-واستدل بحديث عائشة المخرج في هذا الباب طائفة من أهل الظاهر على جواز مكث الحائض في المسجد، لأن المرأة لا تخلو من الحيض كل شهر غالباً ا. هـ ثم عارض هذا الاستدلال وضعفه فقال: وفي ذلك نظر لأنها قضية عين لا عموم لها ويحتمل أن هذه السوداء كانت عجوزاً قد يأست من الحيض ا. هـ فتح الباري لابن رجب ٢٥٤/٣، أقول أما قوله أنها قضية عين لا عموم لها فإن لهذه الحادثة شواهد من فعل أزواج النبي ﷺ وجعلها قضية عين لا عموم لها يخالف الأصل وهو حجية إقرار النبي ﷺ ، أما قوله باحتمال أنها كانت عجوزاً قد يأست من الحيض فهو احتمال وارد يضعف به الاستدلال، قال ابن الأثير في غريب الحديث : وقد تطلق الوليدة على الجارية والأمة وإن كانت كبيرة سن ا. هـ ٢٢٤/٥ وفي لسان العرب: ويقال للأمة وليدة وإن كانت مسنة ا. هـ ٤٧٠/٣.

■ بعض أقوال العلماء الذين يرون جواز مكث الجنب والحائض في المسجد:

١- قال ابن المنذر رحمه الله: وقد كان الشافعي وأبو عبيدة يتأولان قوله « ولا جنباً إلاَّ عابري سبيل » انه معناه لا تقربوا المصلى يعنيان المسجد وأنكر غيرهما ذلك وقال: المسجد لم يذكر في أول الآية فيكون آخرها عائداً عليه، وإنما ذكرت الصلاة والصلاة لا يجوز للجنب إلا أن لا يجد ماءاً فيتيمم صعيداً ففي هذا القول للجنب أن يدخل المسجد ويبيت فيه ويقيم فيه ما شاء وتكون أحواله فيه كأحوال غير الجنب.. ثم قال: وإذا ثبت أن النبي ﷺ قال « المسلم ليس بنجس» وكان تأوله «ولا جنباً إلاَّ عابري سبيل» ما قد ذكرناه وجب أن لا يمنع من ليس بنجس من المسجد إلاَّ بحجة ولا نعلم حجة تمنع الجنب من دخول المسجد وحديث عائشة وقد ذكرته في غير هذا الموضع وهو غير ثابت لأن أفلت مجهول لا يجوز الاحتجاج بحديثه ا. هـ [١]

(١) الأوسط ١٠٩/٢-١١٠.

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 17 03/04/2023 12:47 PM

٢- قال ابن حزم رحمه الله: وجائز للحائض والنفساء أن يتزوجا وأن يدخلا المسجد وكذلك الجنب لأنه لم يأت نهي عن شيء من ذلك وقد قال رسول الله ﷺ «المؤمن لا ينجس» وقد كان أهل الصفة يبيتون في المسجد بحضرة رسول الله ﷺ وهم جماعة كثيرة ولا شك أن فيهم من يحتلم فما نهو قط عن ذلك ا. هـ [١]

٣- قال الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ : والقول عندنا في هذه المسألة من الناحية الفقهية كالقول في مس القرآن من الجنب للبراءة الأصلية وعدم وجود ما ينهض على التحريم وبه قال الإمام أحمد وغيره، قال البغوي في شرح السنة ٤٦/٢ وجوز أحمد والمزني المكث فيه وضعف أحمد الحديث لأنّ راوية أفلت مجهول وتأول الآية على أن «عابري سبيل» هم المسافرون تصيبهم الجنابة فيتيممون ويصلون وقد روي ذلك عن ابن عباس ا. هـ [٢]

هذا ما ظهر لي مما جمعته حول هذه الآية من تفسير وأحكام أسأل الله التوفيق والسداد في القول والعمل.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

(١) المحلي ١٨٤/٢.
(٢) تمام المنة ١١٩.

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 18 03/04/2023 12:47 PM



القواعد النافعة في أسماء الله وصفاته

بقلم الموجه الفني العام

د: عثمان محمد الخميس

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 19 03/04/2023 12:47 PM

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين ولا إله إلا الله إله الأولين والآخرين ، وقيوم السموات والأرضين مالك يوم الدين وخالق الخلق أجمعين.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وخيرته من خلقه وصفيه وخليله .

أما بعد: فإن العلم من أعظم ما يتقرب به العباد إلى خالقهم وشرف العلم بشرف العلوم يعرف، وعلم العقيدة أشرف العلوم وحاجة العباد إليه فوق كل حاجة لأنه لا حياة للقلوب ولا نعيم ولا طمأنينة إلا بأن تعرف ربها ومعبودها وخالقها بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ولما كان من المحال أن تستقل العقول بذلك كان من رحمة الله أن أرسل الرسل وأنزل الكتب معرفين به ودالين عليه فأدوا الأمانة على أكمل وجه صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين وكان هذا البحث المختصر جهد المقل في التعريف بالله جل وعلا من خلال قواعد انتقيتها من كتب أهل العلم مع تعليقات يسيرة أسأل الله جل وعلا أن ينفع بها.

ضوابط عامة في الاعتقاد:

هناك ضوابط عامة في الاعتقاد لابد من التنبه لها والاهتمام بها، وهي:

أولاً: الاعتقاد الجازم بكمال الدين، كما قال الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ (المائدة: ٣)، فيجب على المسلم أن يعتقد اعتقاداً جازماً بأن الدين قد كمل، ولا نقص فيه، فما توفي النبي ﷺ إلا بعد أن أكمل الله هذا الدين، فلا يحتاج إلى أحد يأتي ويعقب على نبينا محمد ﷺ.

ثانياً: اليقين التام بأن النبي ﷺ قد بلغ كل ما أُمر به، فلم يقصر في شيء من التبليغ، مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ (المائدة: ٦٧).

ثالثاً: الاعتقاد الجازم بأن النبي ﷺ بيّن بياناً شافياً كافياً واضحاً، فلم يكن النبي ﷺ يتكلم بألغاز، أو يشير بإشارات، وإنما كان قوله واضحاً، كما أخبر «تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها»[1].

رابعاً: الاعتقاد الجازم بأن الدين محفوظ عند عموم الصحابة ﷺ، فلم يضع منه

(١) أخرجه أحمد (١٧١٤٢)، وابن ماجه (٤٣)، من حديث العرباض بن سارية ﷺ.

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 20 03/04/2023 12:47 PM

شيء، وقد تفرق فيهم، ولم ينحصر في واحد منهم، ولكن إذا جمعناهم جميعاً؛ فإننا نجد كل الدين عندهم.

وقد يكون بعض الصحابة اطلع على شيء لم يطلع عليه الآخر، وهذا أمر طبيعي؛ لأن النبي ﷺ قد يتحدث أحياناً في سفره، وأحياناً مع شخص أو شخصين، أو في بيته مع نسائه.

ومن ذلك قصة الطاعون المشهورة، لما سافر عمر إلى الشام مع بعض أصحاب النبي ﷺ، وسمعوا بالطاعون، فوقف عمر، وقال لهم: بلغنا أن الطاعون وقع في الشام، فماذا ترون؟ فاختلفوا. فقال: ائتوني بالمهاجرين، فجاؤوا وحدهم، فقال لهم: ماذا ترون؟ فاختلفوا، فنادى الأنصار، فاختلفوا، فنادى مشيخة قريش، وهم كبار السن في قريش، فاستشارهم، فأجمعوا أمرهم على أن لا يدخل الشام، ثم رأى أن لا يدخل رضي الله عنه، فقال أبو عبيدة بن الجراح: إفرارا من قدر الله؟ فقال له عمر: نعم، نَفِرُّ من قدر الله إلى قدر الله. ولم يكن معهم نص عن النبي ﷺ، وكلها اجتهادات منهم في ضوء النصوص العامة من الكتاب والسنة.

وبينما هم كذلك؛ جاء عبدالرحمن بن عوف، وكان قد غاب في بعض حاجته، فقال: إن عندي من هذا علماً، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا سمعتم به في أرض؛ فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض أنتم بها؛ فلا تخرجوا فراراً منه»[1]، فهذه السنة لم يعرفها إلا عبدالرحمن بن عوف مع غيابها عن باقي الصحابة.

خامساً: لا تزال طائفة من هذه الأمة قائمة بالحق ناصرة له، قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ (التوبة: ٣٣)، ويقول النبي ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك»[2]، فهذه مسألة نجزم بها، وهي بقاء الطائفة المنصورة إلى قرب قيام الساعة، كما قال النبي ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لُكع بن لكع»[3].

(١) أخرجه البخاري (٥٣٩٧)، ومسلم (٢٢١٩)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.
(٢) أخرجه مسلم (١٩٢٢)، من حديث ثوبان رضي الله عنه.
(٣) أخرجه أحمد (٢٣٣٠٤)، والترمذي (٢٢٠٩)، من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 21 03/04/2023 12:47 PM

ثلاثون قاعدة في أسماء الله وصفاته

القاعدة الأولى:

إجراء النصوص على ظاهرها

وذلك أن الأصل في الكلام ظاهره، وهذا يشمل أي كلام، فإذا قلت لك: «بنيت بيتاً»، فالظاهر منه أنه البيت المعروف المتخذ للسكنى، وهذا الذي يتبادر إلى الذهن مباشرة، ولا يقال: إن المراد بيت من الشعر، إلا إذا دلت قرينة عليه.

ومن ذلك قولك: رأيت أسداً، فيحتمل الأسد الحيوان المعروف، ويحتمل الرجل الشجاع القوي، ويعرف هذا بالقرينة التي تدل عليه، مثل قول: رأيت أسداً يجاهد في سبيل الله؛ فإن المراد هو «الرجل الشجاع»، وأما إن قال: رأيت أسداً يطارد فريسته؛ فإن المراد هو «الأسد المعروف».

فإذا جاءت قرينة تدل على أن الظاهر غير مراد قيل به، وإلا صارت فوضى، خاصةً في الكلام على صفات الله تعالى.

ولذلك قال قائلهم:

وما الكلب والخنزير إلا إلهنا وما الله إلا راهب في كنيسة

فهذا الكلام كفر بالله تعالى والعياذ بالله، ففيه القول بوحدة الوجود، وهذا على ظاهر البيت، ولكنهم صرفوا الظاهر بقولهم: «وما الكلب والخنزير إلا خلق إلهنا، وما الله إلا خالق راهب في كنيسة»، ولا شك أن هذا بعيد جداً.

فإن قال قائل: لعلَّ الظاهر غير مراد!!

فنقول: ما القرينة؛ لأن الله لا يريد أن يضلنا، بل ليدلنا على الخير، ولا نصرفه عن ظاهره إلا بقرينة، والقرينة تفهم من سياق الكلام.

ومن ذلك لفظ «القرية»، ففي قول الله تعالى: ﴿وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية﴾ (البقرة: ٥٨)؛ فإن المراد بالقرية المساكن والبيوت على ظاهر الآية، وفي قوله تعالى: ﴿واسأل القرية التي كنا فيها﴾ (يوسف: ٨٢)؛ فإن المراد أهل القرية، فصُرف لفظ «القرية» في هذه الآية عن ظاهره بدلالة السياق.

فإذاً الأصل في الكلام أن يُجرى على ظاهره، ولا يجوز أن يصرف عن ظاهره

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 22 03/04/2023 12:47 PM

إلا بقرينة تدل على خلاف الظاهر؛ لأن الله ﷻ خاطبنا بلسان عربي مبين، ولو كان الأصل هو غير الظاهر؛ لما فهمنا كلام ربنا ﷻ، ولضللنا عن الصراط المستقيم.

قال الشافعي : «القرآن عربي كما وصفت، والأحكام فيه على ظاهرها وعمومها»[1] .

وَقَالَ الشَّوْكَانِيُّ : «مذهب السلف من الصحابة ﷺ والتابعين وتابعيهم هو إيراد أدلة الصفات على ظاهرها من دون تحريف لها، ولا تأويل متعسف لشيء منها، ولا جبر، ولا تشبيه، ولا تعطيل يفضي إليه كثير من التأويل»[2].

القاعدة الثانية:

إثبات ما أثبته الله لنفسه وما أثبته له رسوله ﷺ

ونفي ما نفاه الله عن نفسه وما نفاه عنه رسوله ﷺ

إن الله تعالى أمرنا بالإيمان بما أخبرنا به وأخبرنا به رسوله ﷺ، ومن ذلك: أسماؤه وصفاته، فما أثبته الله ورسوله نثبته، وما نفاه الله ورسوله ننفيه، وما لم يرد فيه إثبات ولا نفي نتوقف فيه فلا نثبته ولا ننفيه؛ لأن كل ما يتعلق بالله لا يمكننا معرفته إلا عن طريق الوحي؛ لأنه غيب، والله تعالى أعظم الغيب، فلا يجوز وصفه . سبحانه . بوصف أو تسميته باسم لم يرد في القرآن أو في السنة؛ لأن الأسماء والصفات توقيفية، ولا بد أن نلتزم بما جاء عن الله، وذلك لأن الله:

أولاً: أصدق حديثاً، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ (النساء: ٨٧).

ثانياً: أعلم بنفسه من غيره، كما قال الله تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ (البقرة: ١٤٠).

ثالثاً: أنصح للخلق، فلا يريد أن يضلنا، قال الله ﷻ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ (النساء: ٢٦).

رابعاً: أفصح، ولذلك قال: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ (الزمر: ٢٣).

وكذا الأمر بالنسبة للنبي ﷺ، فهو:

أولاً: أصدق الخلق، قال الله عنه: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ (الزمر: ٣٣).

(١) «اختلاف الحديث» ص٤٨١.

(٢) «التحف في مذهب السلف» ص٦٤.

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 23 03/04/2023 12:47 PM

ثانياً: أعلم الخلق، قال ﷺ: «أعلمكم بالله أنا»[١].

ثالثاً: أنصح الخلق، كما قال الله تعالى: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ (التوبة: ١٢٨).

رابعاً: أفصح الخلق، كما قال ﷺ: «وأتيت جوامع الكلم»[٢]، والفصيح هو الذي يستطيع أن يوصل المعلومة التي يريدها بأخصر عبارة وأوضحها، ولذلك يقال: «أفصح الكلام ما قلّ ودلّ»، والنبي ﷺ قد نال السبق في هذا.

ونقبل ما جاء عن النبي ﷺ في صفات الله تعالى بالقول، والفعل، والإقرار.

أما القول: فقد قال النبي ﷺ: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا»[٣].

وأما الفعل: ففي حجة الوداع خطب الناس وقال: «وأنتم تسألون عني، فما أنتم قائلون؟». قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت. فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها[٤] إلى الناس «اللهم اشهد» ثلاث مرات[٥].

وأما الإقرار: وهو أن يوافق النبي ﷺ أحداً على فعل أو قول، مثل قوله ﷺ للجارية: «أين الله؟» قالت: في السماء. فقال: «أعتقها، فإنها مؤمنة»[٦]. فأقرها النبي ﷺ، ولا يمكن أن يسكت النبي ﷺ عن الباطل، إذ تأخير البيان عن وقت الحاجة غير جائز.

والقول على الله بغير علم محرم، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ (الإسراء: ٣٦).

وقال: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف: ٣٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠)، من حديث عائشة رضي الله عنها.
(٢) أخرجه مسلم (٥٢٣)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٣) أخرجه البخاري (١٠٩٤)، ومسلم (٧٨٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٤) أي يخفضها ويميلها إليهم.
(٥) أخرجه مسلم (١٢١٨)، من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه.
(٦) أخرجه مسلم (٥٣٧)، من حديث معاوية بن الحكم رضي الله عنه.

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 24 03/04/2023 12:47 PM

وأخبر الله تعالى أن الكلام على الله بغير علم من عمل الشيطان، فقال ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ١٦٩).

قال شيخنا العلامة محمد بن صالح العثيمين : «تسمية الله بما لم يسمِّ به نفسه سوء أدب مع الله، وظلم وعدوان في حقة؛ لأنه لو أن أحداً دعاك بغير اسمك أو سماك بغير اسمك، لاعتبرته قد اعتدى عليك وظلمك، هذا في المخلوق، فيكف بالخالق؟! إذاً ليس لك حق أن تسمي الله بما لم يسمِّ به نفسه، فإن فعلت فأنت ملحد في أسماء الله»[١]، فالإنسان لا يتكلم على الله تعالى إلا بعلم، سواء من نص الله عز وجل أو نص رسوله ﷺ.

قال عبدالله بن مسعود ﷺ عن أصحاب النبي ﷺ: «إنهم كانوا أبرَّ هذه الأمة قلوباً، وأعمقَها علماً، وأقلَّها تكلفاً، قوماً اختارهم الله لصحبة نبيه، فتشبهوا بأخلاقهم وطرقهم، فإنهم . ورب الكعبة . على الهدى المستقيم»[٢].

وذلك أن أصحاب النبي ﷺ وقفوا، فلم يتكلموا عن الله إلا بما جاء في كتابه، أو ما جاء عن رسوله ، فلا تجد أبداً فرقةً من الفرق المنحرفة تنتسب إلى صحابي أبداً.

وقال الأوزاعي: «كنا . والتابعون متوافرون . نقول: إن الله . تعالى ذِكرُه . فوق عرشه، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته جل وعلا»[٣].

وقال الإمام أحمد: «لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصف به رسوله، لا نتجاوز الكتاب والسنة»[٤].

وقال ابن عبدالبر : «ليس في الاعتقاد كله في صفات الله وأسمائه إلا ما جاء منصوصاً في كتاب أو صح عن رسول الله ﷺ، أو أجمعت عليه الأمة، وما جاء من أخبار الآحاد في ذلك كله أو نحوه، يسلم له ولا يناظر فيه»[٥].

---

(١) «شرح العقيدة الواسطية» (١/١٢٠).
(٢) أخرجه ابن عبدالبر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/٩٧).
(٣) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/٣٠٤).
(٤) «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٥/٢٦).
(٥) «جامع بيان العلم وفضله» (٢/٩٦).

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 25 03/04/2023 12:47 PM

القاعدة الثالثة:

الاشتراك في الاسم لا يلزم منه الاشتراك في المسمى

الاشتراك: هو أن يتفق الاسمان في اللفظ، ويختلفان في الحقيقة والمعنى، وهذا ظاهر في اشتراك أسماء المخلوقات ، فإنها تشرك في أسمائها ولا تشترك في حقائقها.

مثاله: عند إطلاق لفظ «العين» فإنه قد ينصرف إلى العين المبصرة، وقد ينصرف إلى عين الماء، وقد يراد بها الجاسوس، أو عين الحاسد، فاشترك اللفظ واختلف المعنى، وانتفاء ذلك بين الخالق والمخلوق أولى وأظهر.

مثال آخر: لفظ «الملك»، فهو اسم لله تبارك وتعالى كما قال: (هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ) (الحشر: ٢٣)، ويطلق أيضاً على ملك الناس، وقد سماهم الله ملوكاً كما قال: (إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً) (البقرة: ١٤٧). وقال ﷻ: (وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ) (يوسف: ٤٣)، وثبت عن النبي ﷺ أن الله يقول إذا قبض الأرض وطوى السماوات بيمينه: «أنا الملك، أين ملوك الأرض؟»[1]، فالله سمى بعض عباده باسم «الملك»، وتسمى ﷻ باسم «الملك»، ولكن ملك الله تعالى ليس كملك غيره، ولا يمكن أن يقارَن بين ملك الله تعالى وملك غيره من المخلوقين ، وهذا اشتراك في الاسم فقط، ولا يلزم من الاشتراك في اللفظ الاشتراكُ في المعنى والحقيقة.

مثال آخر: لفظ «العزيز»، فهو اسم من أسماء الله، كما قال تعالى: (أنا الله العزيز الحكيم) (النمل). وقد سمى بعض عباده بـ«العزيز»، كما في قوله تعالى: (قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ) (يوسف: ٥١)، وقوله (قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ) (يوسف: ٧٨)، فهذا اشتراك في اللفظ فقط، أما المعنى فهو متباين.

ومن ذلك: أن الإنسان حي، والله جل وعلا حي، وفرق بين حياة الخالق وحياة المخلوق، فحياة المخلوق جاءت بعد عدم، وهي إلى عدم، وكانت بسبب الغير، وهي مُنَغَّصَةٌ معرضةٌ للمرض والتعب والحزن والهم والكدر والفقر وغير ذلك من العوارض، وتذهب من الإنسان في نومه، ثم تعود إليه بغير إرادته.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٣٤)، ومسلم (٢٧٨٧)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 26 03/04/2023 12:47 PM

وأما حياة الله ، فهي حياة أزلية أبدية، لا نقص فيها.

فكون الإنسان حياً وكون الله ﷻ حياً لا يلزم منه أن تكون حياة الخالق كحياة المخلوق.

يقول عبدالله بن عباس ﷺ: ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء[1]، فالله ﷻ لما ذكر أن في الجنة حدائق، وأعناباً، وأنهاراً من لبن، وأنهاراً من ماء، وأنهاراً من عسل، وأنهاراً من خمر، وغير ذلك من النعيم الذي ذكر الله في الجنة مما أسماء كثير منه موجودة في الدنيا، فعندنا في الدنيا الخمر، واللبن، والعسل، والحدائق، والأعناب، وغير ذلك مما ذكر في الجنة، فاشتركا في الاسم، واختلفا في المسمى، فالعسل غير العسل، والخمر غير الخمر، والماء غير الماء، مع أنها مخلوقات اشتركت في الاسم نفسه، ولكن الاشتراك في الاسم لا يلزم منه الاشتراك في المسمى، وهذا بين مخلوق ومخلوق، فكيف بين المخلوق والخالق؟

قال ابن قتيبة :: «ولا يقال للمخلوق: «هذا الرب» معرفاً بالألف واللام كما يقال لله، إنما يقال: رب كذا، فيعرف بالإضافة؛ لأن الله مالك كل شيء، فإذا قيل «الرب» دلت الألف واللام على معنى العموم» أي رب كل شيء، فاسم الرب مختص بالله جل وعلا.

القاعدة الرابعة:

لا توجد ذات بدون صفات

أي لا يمكن أن تكون ذات إلا ولها صفات تختص بها، فالساعة ذات ملموسة لها صفات في حجمها ولونها وشكلها وغير ذلك، والجدار ذات له صفات، والكرسي ذات له صفات، والإنسان ذات له صفات، والله ﷻ ذات له صفات سواء عرفها الإنسان وأدركها أو لا، ولكن هذا لا ينفي عنها الصفات، إذ لا يمكن أن توجد ذات مجردة عن الصفات.

قال شيخنا العلامة محمد بن صالح العثيمين: «ما من موجود إلا وهو متصف بصفة، ولا يمكن وجود ذات مجردة عن الصفات، فإذا انتفت صفة الكمال عنها لزم اتصافها بصفات النقص»[2].

---

(١) أخرجه الطبري في «جامع البيان» (٣٢٩/١).

(٢) «تقريب التدمرية» ص٥٢.

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 27 03/04/2023 12:47 PM

وقال: «إنه قد ثبت بالحس والمشاهدة أن للمخلوقات صفات كمال وهي من الله تعالى، فمعطي الكمال أولى به»[1].

وستأتي قاعدة «الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات»، وهي متعلقة بهذه القاعدة، ولكن المهم أن نعرف أنه لا توجد ذات إلا ولها صفات، فإذا كان كذلك فالله ﷻ له صفات طالما أنه حي موجود.

القاعدة الخامسة:

كل صفة كمال للمخلوق فالخالق أولى بها إن كانت تليق به

وذلك أن الله تبارك وتعالى هو الذي خلق الإنسان، فلا يمكن أن يعطيه شيئاً من الكمال وهو يفقده، ففاقد الشيء لا يعطيه، فإذا أعطاك شيئاً فهو يملكه ﷻ، ولذلك قال أهل العلم: كل كمال للمخلوق فالخالق أولى به.

فمن كمال المخلوق العلم، وعكسه الجهل وهو نقص، وكذا القدرة فهي كمال، وعكسها العجز وهو نقص، والسمع كمال، وعكسه الصمم وهو نقص، والكلام كمال، وعكسه البكم وهو نقص، والبصر كمال، وعكسه العمى وهو نقص، والعزة كمال، وعكسها الذلة وهي نقص، وهكذا، فكل كمال في المخلوق فالخالق أولى به.

وهذه القاعدة لابد من تقييدها بقيد مهم؛ لأن الكمال الذي يتصف به المخلوق قد يتضمن نقصاً في حق الخالق، فمثلاً الزوجة في حق المخلوق كمال، والنقص في عدم الزواج، ولذلك جاء في الحديث: «تزوجوا الودود الولود»[2]، وأمر النبي ﷺ الشباب أن يتزوجوا، فقال: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة؛ فليتزوج»[3]، فالزواج في حق العبد كمال، وعدمه نقص، ولكنه في حق الله نقص، فالله ليس محتاجاً إلى زوجة، (ولم تكن له صاحبة) (الأنعام: ١٠١).

مثال آخر: الولد في حق العبد كمال، وعكسه نقص، ولذلك تجد الإنسان الذي لم يرزقه الإنسان بولد ينظر إليه الناس نظرة إشفاق، ويتحرجون أحياناً أن يهنؤوا شخصاً رزق بولد أمام ذاك الرجل حتى لا يوقعوه في الحزن، وقد يبذل الرجل الأموال الطائلة لأجل أن يعالج زوجته أو يعالج نفسه ليرزق بالولد؛ لأنه

(١) «القواعد المثلى» ص١٨.
(٢) أخرجه أحمد (١٢٦١٣)، وأبو داود (٢٠٥٠)، والنسائي (٣٢٢٧)، من حديث معقل بن يسار ﷺ.
(٣) أخرجه البخاري (٤٧٧٨)، ومسلم (١٤٠٠)، من حديث عبدالله بن مسعود ﷺ.

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 28 03/04/2023 12:47 PM

يرى أن عدم وجود الولد نقص، ولكن الولد بالنسبة لله نقص، وعدمه هو الكمال، ولذلك قال: (لم يلد ولم يولد) (الإخلاص: ٣)، وقال: (أني يكون له ولد) (الأنعام: ١٠١)، وقال: (قالوا اتخذ الله ولداً سبحانه هو الغني) (يونس: ٦٨).

ومثل ذلك: الأكل والنوم، فهو كمال في حق المخلوق، والانسان الذي لا ينام أو لا يأكل يوصف بالمرض ويحتاج إلى الدواء، والله جل وعلا غني عن ذلك كله، فلا يحتاج إلى أكل أو نوم؛ لكماله واستغنائه.

فالقاعدة ليست على إطلاقها، فيقال: «كل صفة كمال للمخلوق فالخالق أولى بها إن كانت تليق به».

القاعدة السادسة:

كل صفة نقص في المخلوق فالخالق أولى بالتنزه عنها إن كانت لا تليق به

وهذه القاعدة تقابل القاعدة التي قبلها، فكل صفة نقص بالنسبة للمخلوق كالجهل، والعجز، والكسل، والجبن، والبخل، والكذب، والظلم، فكل هذه الصفات سيئة في المخلوق، والله أولى بالتنزه عنها، فطالما أنها نقص في المخلوق فالخالق منزه عنها، فالعبد لا يرضى أن تُنسب إليه هذه الصفات، فالله لا تُنسب له، فهو أولى بالتنزه عن هذا النقص ﷻ.

وهذه القاعدة مقيدة كذلك بقيد، وهو «إن كانت لا تليق به».

مثال ذلك: الكبر فهو في المخلوق نقص، كما قال الأحنف بن قيس :: «ما تكبر أحد إلا من ذلة يجدها في نفسه»[1]، والكبر في حد ذاته ليس نقصاً، ولكن الذي يتكبر من كان أهلاً لذلك، ومن ذا الذي يكون أهلاً لذلك؟!

وقد ذم الله تعالى المتكبرين فقال: (ولا تمش في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً) (الإسراء: ٣٧)، وقال: (فبئس مثوى المتكبرين) (الزمر: ٧٢).

قال النبي ﷺ: «يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صورة الرجال، يغشاهم الذل من كل مكان، يساقون إلى سجن في جهنم يسمى بُولَس ، تعلوهم

(١) «سراج الملوك» للطرطوشي ص٤٤.

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 29 03/04/2023 12:47 PM

نار الأنيار، ويسقون من عصارة أهل النار: طينة الخبال»[1]؛ لأن هذا نقص في حق المخلوق، وليس من حقه.

وقد قال القائل: الإنسان يتكبر وتقتله شرقة، وتؤذيه بقة.

وذكروا أن جعفر بن محمد الصادق : دخل على أبي جعفر المنصور، وقدّر الله أن جاءتْ ذبابة فآذت الخليفة، وصارت تقع على وجهه، فيقول بها هكذا فتنصرف وتعود، وتنصرف ثم تعود، حتى تأذى منها، فالتفت إلى جعفر وقال: لماذا خلق الله الذباب؟ قال: ليذل به الجبابرة[2].

فالذبابة لا يستطيع أن يصنع معها شيئاً، (وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ) (الحج:٧٣).

ويذكر أن المهلب بن أبي صفرة القائد الذي أدّب الخوارج والكفار، ووصل إلى الصين، ودفع ملك الصين الجزية للمسلمين عن طريقه، وكان من الشجعان المعروفين، فذكروا أنه خرج يوماً ومعه بعض جيشه، فكان يمشي بين الناس متبختراً، فلقيه مالك بن دينار، فقال له: يا هذا، إن هذه مشية يبغضها الله. فغضب المهلب، وظن أن مالك بن دينار لا يعرفه ولذلك قال له مثل هذا الكلام، فقال له: ويحك أما تعرفني؟! فقال مالك: بلى، أعرفك حق المعرفة، ألست أنت الذي أولك نطفةٌ مذِرَة، وآخرك جيفةٌ قذِرَة، وأنت فيما بين ذلك تحمل العذرة؟!

وذلك أن أول الإنسان نطفة من مني يُمنى، وآخره جيفة قذرة إن لم يدفن، فإنه يصير جيفة قذرة يتأذى الناس من رائحته، وهو يحمل في جسده العذرة.

فقال: أهذا أنت؟ فخفض المهلب رأسه وقال: والله لقد عرفتني حق المعرفة[3].

فعلى ماذا يتكبر الإنسان؟

أما الله جل وعلا فله أن يتكبر، ولذلك قال في الحديث القدسي: «الكبرياء ردائي»[4]، وتسمى بالمتكبر، فقال: (هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ

(١) أخرجه أحمد (٦٦٧٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٥٥٧)، والترمذي (٢٤٩٢) من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٢) «تهذيب الكمال» للمزي (٩٢/٥)، «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٢٦٤/٦).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٣٦٣/٥)، «تاريخ الإسلام» للذهبي (٤٤٤/٢). ورُويت أيضاً عن مُطَرِّف بن الشِّخِّير. انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٢٨٤/٦).

(٤) أخرجه أحمد (٧٣٨٢)، وأبو داود (٤٠٩٠)، وابن ماجه (٤١٧٤)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 30 03/04/2023 12:47 PM

الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ) (الحشر: ٢٣).

مثال آخر: المنُّ بالعطاء، وهو نقص في حق المخلوق، بل قد نهانا الله تعالى عن ذلك فقال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى) (البقرة: ٢٦٤).

وقال النبي ﷺ: «لا يدخل الجنة منان»[1].

وأما بالنسبة لله ﷻ فهو كمال، كما قال: (بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ) (الحجرات: ١٧)، فالله يَمُنُّ؛ لأن عطاياه حقٌ، وإذا أعطى فمن ملكه، وأما الإنسان إذا أعطى فليس من ملكه، وإنما من ملك الله، فالله له الحق أن يَمُنَّ، وأما العبد فليس له الحق في ذلك، ولذلك كان في حق المخلوق نقص، وفي حق الخالق كمالاً.

القاعدة السابعة:

الصفات أعم من الأسماء

ومعنى هذه القاعدة أن كل اسم من أسماء الله جل وعلا يتضمن صفة، وليس العكس، وهذا خاص بالله، ورسوله، وكتابه؛ وذلك أن أسماء الله تعالى لها صفات، فليست لله أسماء مجردة، وأما الخلق فلهم أسماء مجردة.

وكذلك النبي ﷺ ليست له أسماء مجردة، وإنما أسماء لها صفات، وكذا القرآن.

فمن الناس من اسمه «خالد» وليس خالداً، قال الله تعالى: (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون) (الأنبياء: ٣٤)، فليس بالضرورة أن يكون الاسم دالاً على الصفة. ومن الناس من اسمه «عادل» وليس بعادل، ومن الناس من اسمه «صالح» وليس بصالح، ومن النساء من اسمها «هدىٰ» وليست علىٰ هدى، ومن النساء من اسمها «أبرار» وهي ليست كذلك.

فالقصد أن أسماءنا قد تدل على الصفة وقد لا تدل، فقد يكون اسمه عادلاً وهو عادل، وقد يكون اسمه صالحاً وهو صالح، ولكن ليس بالضرورة، فقد يخالف الاسم الصفة. بل أحيانا الرجل اسمه «ضرار» وهو طيب هيّن ليّن، أو رجل اسمه «مانع» وهو من أكرم خلق الله.

(١) أخرجه أحمد (٦٥٣٧)، والنسائي (٥٦٧٢) من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما.

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 31 03/04/2023 12:47 PM

وأما أسماء الله جل وعلا؛ فإنها تدل على صفاته، فاسمه «العزيز» وهو عزيز، واسمه «الكريم» وهو كريم، واسمه «الرحمن» وهو رحمن، واسمه «الكبير» وهو كبير، واسمه «التواب» وهو تواب، وهكذا جميع أسماء الله تبارك وتعالى تتضمن صفات الكمال المطلق له، فلا توجد لله أسماء مجردة.

والصحيح من أقوال أهل العلم أن أسماء الله مشتقة من الصفات[1]، فاشتق اسم «الرحمن» من الرحمة، واشتق اسم «العزيز» من العزة، وهكذا في سائر الأسماء، فأسماء الله تعالى كلها لها صفات.

ولكن لا يشتق من صفاته أسماء، فالله تعالى يغضب على الكفار، كما قال ﷻ: (وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ) (الفتح: ٦)، فلا نقول: من أسماء الله «الغاضب» أو «الغضوب»، مع أنه وصف نفسه بذلك.

وأخبر الله تعالى عن نفسه أنه يحب المؤمنين، فقال: (يحبهم ويحبونه) (المائدة: ٥٤) فلا نقول: من أسماء الله تعالى «المحب»؛ لأن هذه صفات.

فثبوت الاسم يستلزم ثبوت الصفة لا العكس، فهناك صفات ثابتة لله لا يشتق منها أسماء، كالضحك، والغضب، والانتقام، والكلام، والنزول، وغيرها، ولا يجوز أن نسمي الله تعالى بها؛ لأنه لم يثبت ذلك عن الله تعالى ولا عن رسوله ﷺ.

وأفعال الله أوسع من صفاته، فمن أفعاله سبحانه أنه (فالق الحب والنوى) (الأنعام: ٩٥)، فلا يجوز أن نسمي الله بـ «الفالق».

وأخبر عن نفسه أنه ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ (فاطر: ١)، فلا يجوز أن نسميه «الفاطر».

وكذلك قال عن نفسه: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ (الأنعام: ٩٥)، فلا يجوز أن نسميه «المخرج»؛ لأن هذه أفعالٌ لله جل وعلا، وأفعاله أكثر من صفاته، وصفاته أكثر من أسمائه.

قال أهل العلم: وأسماء الرسول ﷺ كلها لها صفات، فمن أسمائه: «محمد» وهو محمد أي المحمود، واسمه «الحاشر، والعاقب» وهو كذلك، و«المُقَفي، والمُفرق» وهكذا، فهذه الأسماء تدل علي صفات فيه ﷺ.

ولهذا ليس من أسماء النبي ﷺ «يس» ولا «طه»؛ لأنه ليس لها معنى،

(١) وقيل العكس، فالصفات تشتق منها الأسماء.

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 32 03/04/2023 12:47 PM

وأسماء النبي ﷺ لها معانٍ وصفات. فـ «يس و طه» لا معنى لهما، فلا يمكن أن يكونا اسمين للنبي ﷺ. فـ«طه» و«يس» مثل: (كهيعص)، و(الم)، و(المص)، و(حم)، و(ق)، و(ص)، و(ن)، فهي أحرف هجائية افتتحت بها بعض سور القرآن، وليست هي أسماء للنبي ﷺ، وإلا قيل: من أسماء النبي ﷺ (المص)، (كهيعص) وغير ذلك، وليس الأمر كذلك.

وبعضهم قال: معنى «يس» يا رجل، وهذا ليس مدحاً ولا صفة.

وبعضهم قال: «طه» أي طأ الأرض، وهذه ليست صفة أيضاً.

ولو كانت «طه» بمعنى طأ الأرض لكتبت «طاها»، وكذا «ياسين» كما جاء في قول الله تعالى: (سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ) (الصافات: ١٣٠).

ولذا لو قرأت: (يس والقرآن الحكيم) (يس: ١)، (طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) (طه: ١)، فهي مثل قول الله تعالى: (المص كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ) (الأعراف: ١)، ومثل: (الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ) (يونس:١)، ومثل: (الم تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ) (لقمان: ١)، فهذه كلها أحرف هجائية يذكرها الله تعالى في مقدمات بعض السور للتحدي والإعجاز، يقول للعباد: هذا القرآن الذي أتحداكم أن تأتوا بمثله مكون من هذه الأحرف التي تتكلمون بها (المص)، (الم)، (الر)، (كهيعص)، (حم عسق)، وهكذا.

وليس معنى هذا أن من كان اسمه «يس»، أو «طه» فإنه يغير اسمه، ولكن لا يعتقد أنها من أسماء النبي ﷺ.

وكذا الأمر بالنسبة للقرآن، فاسمه «القرآن» وهو مقروء، واسمه «النور» وهو نور، واسمه «المبين» وهو مبين، و «الفرقان» وهو كذلك، و «الهدى» وهو كذلك، فأسماء القرآن كلها صفات لهذا الكتاب العظيم.

القاعدة الثامنة:

القول في الصفات فرع عن القول في الذات

والفرق بين الصفة والصفة كالفرق بين الذات والذات

هذه القاعدة لها ارتباط بالقاعدة الرابعة «لا توجد ذات إلا ولها صفات»، وقال أهل العلم هذا الكلام رداً على المعتزلة، فالمعتزلة أثبتوا ذاتاً مجردة بدون صفات، وذلك أنهم قالوا: «إذا عددنا الصفات؛ عددنا الذوات»، فإذا قالوا: الله عزيز،

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 33 03/04/2023 12:47 PM

وحكيم، ومحيي، وسميع، وبصير، وكبير، وعظيم، ومجيد، فهم يقولون: كثرتم الآلهة، وهو إله واحد.قلنا: وهذه الصفات التي وصف الله بها نفسه؟ قالوا: هذه كلها أسماء مجردة للذات، ولا تدل على صفات. فنفوا الصفات خوفاً من تعدد الذوات؛ لأنهم قالوا: كل صفة معناها ذات منفصلة. وهذا الكلام غير صحيح. قلنا لهم: أنتم أثبتّم أن لله ذاتاً؟ قالوا: نعم.

قلنا: والإنسان له ذات؟ قالوا: نعم.

فنقول: هذا الإنسان هو واحد، وهو سميع، وهو بصير، وهو قادر، وهو متكلم، وله صفا ت أخرى، وهو واحد لم يتعدد.

فإذا كان هذا المخلوق يمكن أن تجتمع فيه عدة صفات وهو واحد، فما المانع من أن يكون الأمر كذلك لله تعالى وهو الخالق الذي أعطاه هذه الصفات ﷻ.

ثم المعتزلة لما نفوا الصفات[1] ؛ قال لهم أهل السنة: لماذا نفيتم الصفات؟

قالوا: كي لا يتعدد القدماء.

قلنا: المخلوق له صفات متعددة وذاته واحدة، فلماذا تقبلونه في المخلوق ولا تقبلونه في الخالق؟

قالوا: إن هذه الصفات إذا أثبتناها لله تعالى؛ فإننا نشبهه بالمخلوق؛ فالمخلوق سميع بصير حكيم قدير وغير ذلك من الصفات، فإذا أثبتنا هذه الصفات للخالق؛ فهو تشبيه بالمخلوق، فصار سمعه كسمعه، وبصره كبصره، ويده كيده، ورجله كرجله، وهكذا.

قلنا لهم: هل تثبتون وجود الخالق أم لا؟ قالوا: نعم موجود.

قلنا لهم: المخلوق كذلك موجود، وهذا تشبيه للخالق بالمخلوق؛ لأن المخلوق موجود، والله موجود.

قالوا: وجود الله يليق به، ووجود المخلوق يليق به.

(١) وهؤلاء في الأصل. المعتزلة والأشاعرة والماتريدية والكُلابية ونحوهم. مسلمون؛ لأنهم أرادوا تنزيه الله ﷻ، وقصدوا الخير، لذلك لم يكفرهم أهل العلم مع النص على أن هذا الفعل كفر؛ وذلك أنهم نظروا إلى مقصدهم، فهم قصدوا تنزيه الله ولكنهم أخطؤوا، ويتفاوتون في أخطائهم.
ومع هذا؛ فإنه يجب الإنكار عليهم، والتحذير من بدعتهم، وبيان الحق في هذا.
ومن أسباب انحرافهم: الجهل، المؤثرات الخارجية، سوء الفهم للنصوص، أثر الشيخ على التلميذ.

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 34 03/04/2023 12:47 PM

قلنا لهم: كذلك سمع الخالق وبصره يليقان به، فكما أن سمع المخلوق وبصره يليقان به، فكذلك سمع الله وبصره وسائر صفاته تليق به، فالقاعدة واحدة والمنهج واحد، فما يقال في الوجود والذات؛ يقال في صفات الله ﷻ

فالفرق والاختلاف بين صفات الله تعالى وصفات المخلوقين كالاختلاف والفرق بين ذات الله تعالى وذوات المخلوقين، فكما أن ذات الله جل وعلا لا تشبه ذوات المخلوقين، فكذلك صفاته تليق به وليست كصفات المخلوقين (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) (الشورى).

وهذه القاعدة ردٌ خاص على المعتزلة، فلا يرد بهذه القاعدة على الأشاعرة، ولا على الماتريدية، ولا على الكلابية؛ لأن هذه الفِرَق تثبت بعض الصفات.

القاعد التاسعة:

القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر

هذه القاعدة فيها رد على الماتريدية والكلابية والأشاعرة، وهؤلاء أحسن حالاً من المعتزلة؛ بسبب شبهة الخوف من الوقوع في التشبيه، فأثبتوا لله صفات ونفوا عنه صفات ﷻ، وعندما سئلوا عن الذي أثبتوه؛ قالوا: دلّ عليه الكتاب والسنة.

قلنا: هناك صفات أخرى دلّ عليها الكتاب والسنة، فلم تثبتوها؟ فلماذا أثبتم بعضاً ونفيتم بعضاً؟ ما الضابط عندكم؟ لماذا لم يكن قول الكتاب والسنة مطرداً عندكم؟

قالوا: إن هذه الصفات أثبتها الكتاب والسنة ويدركها العقل، بينما الصفات الأخرى جاءت في القرآن والسنة ولكن لابد من تأويلها؛ لأن العقل والنظر لا يقبلها.

قلنا: ماذا قبل العقل عندكم؟

قالوا: العقل قَبل سبع صفات، وهي مجموعة في بيت، فقالوا: حَيُّ عَلِيمٌ قَدِيرٌ وَالْكَلَامُ لَهُ وَكَذَاكَ إِرَادَةٌ وَالسَّمْعُ وَالْبَصَر

هذه سبع صفات جاءت في الكتاب والسنة والعقل يثبتها.

قلنا: لماذا لا تثبتون الرحمة، والمحبة، والغضب، والسخط، وكل هذه جاءت في الكتاب والسنة.

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 35 03/04/2023 12:47 PM

قالوا: العقل لا يثبتها.

قلنا: هل تتفقون معنا على أن العقول متفاوتة؟ فقد يقبل عقل شيئاً ولا يقبله الآخر، فلماذا حكمتم الناس إلى العقل؟

والمعتزلة لما نفوا جميع الصفات قالوا: العقل لا يقبلها!! فهل يقال: عقل الأشعري. مثلاً. متميز عن باقي العقول؟

وهناك من الأشاعرة مَنْ أثبت غير هذه الصفات، وقال: إن عقلي يقبلها، فلماذا قبلت هذه، ولم تقبل تلك؟ لماذا لا تكون عندك قاعدة مضطردة؟ لأن العقول متفاوتة.

قالوا: هل تتصورون أن الله الذي أوجد الخلق أن يكون غير حي؟

قلنا: نثبت لله الحياة.

قالوا: هل يمكن أن يوجد هذا الخلق العظيم بلا علم؟

قلنا: يدل على العلم.

قالوا: هل أوجد هذا الخلق بقدرة أم بغير قدرة؟

قلنا: أوجده بقدرة.

قالوا: هل أوجد هذا الخلق بدون إرادة؟

قلنا: لا، لابد من إرادة.

قالوا: المخلوق الضعيف نثبت له السمع والبصر والكلام، ولا نثبته لله؟ وقد أثبت هذا في كتابه.

نقول: بلى نثبته لله.

قالوا: إذا العقل يثبت هذا الصفات لله.

قلنا: لا ننكر إثبات العقل لها، ولكن العقل كذلك يثبت أن الله يحِب، ويُحَب.

قالوا: الحب يدل على الضعف، ولذلك تجد الحبيب عند حبيبه ضعيفاً، وأحياناً يتنازل عن كثير من الأمور.

قلنا: هذا حب المخلوق، أما حب الله فيختلف.

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 36 03/04/2023 12:47 PM

قالوا: ما نفهم في الحب إلا هذا.

قلنا: إذا الإرادة كذلك، هي إما لجلب خير أو دفع شر، فمن يستطيع أن يوصل الشر لله حتى يدفعه عن نفسه؟ أو ما الخير الذي يجلبه لنفسه؟

قالوا: إرادة الله تليق به.

قلنا: أيضاً وحب الله يليق به، ورحمة الله تليق به، وعفو الله يليق به، وهكذا سائر الصفات نثبتها له على ما يليق به.

ولذلك تجد أن هؤلاء . الكلابية والأشاعرة والماتريدية . اختلفوا في هذا، فبعضهم توقف عند سبع صفات، وبعضهم زاد عليها بحجة أن العقل يقبل، فكلما قبل العقل شيئاً أضاف صفة.

فنحن نقول لهم: القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر، فالذي يقال في السمع والبصر؛ يقال: في الحب والغضب وسائر الصفات، وكلها تليق بالله وأثبتها القرآن والسنة، ولها معنى صحيح، فلا فرق بين الصفات، فكما أثبتم لله صفات تليق به ولا تشبه صفات المخلوقين؛ فكذلك أثبتوا له سبحانه باقي الصفات التي أثبتها لنفسه وأثبتها له رسوله ﷺ، وهو أعلم بنفسه منكم، وكذلك رسوله صلى الله عليه وسلم.

ويدخل في هذا الصفات الذاتية «الخبرية» كصفة الوجه، والعين، واليدين، والأصابع، وغير ذلك من الصفات.

القاعدة العاشرة:

أسماء الله تعالى أعلام وأوصاف

قال ابن قيم الجوزية : «إن أسماءه ﷻ الحسنى هي أعلام وأوصاف، والوصف بها لا ينافي العلمية، بخلاف أوصاف العباد فإنها تنافي علميتهم؛ لأن أوصافهم مشتركة، فنافتها العلمية المختصة بخلاف أوصافه تعالى»[1].

ومعنى هذه القاعدة: أي أن أسماء الله تعالى أعلام على ذات الله تعالى، فعندما نقول: «العزيز» فنريد به الله ﷻ، فالعزيز علم على الله، ونثبت له صفة العزة، فليس اسماً مجرداً.

(١) «بدائع الفوائد» (١/ ١٧٠).

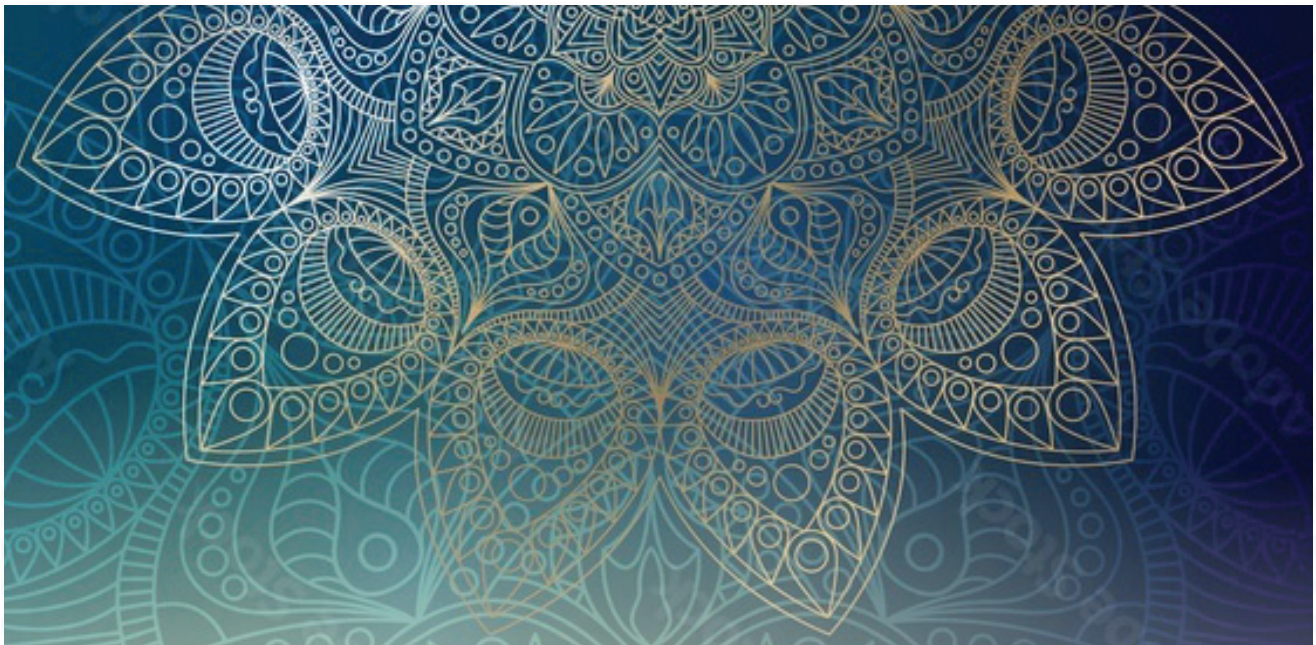
□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 37 03/04/2023 12:47 PM

ومثال ذلك: لو ناديت شخصاً باسمه، أو كنيته، أو لقبه، أو نسَبْته إلى أبيه دون اسمه، فكلها أعلام لوصف واحد، وكان الخطيب البغدادي : يكثر من هذا في شيوخه.

قال الله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ (الإسراء: ١١٠)، فإذا قلت: يا رحمن فهو الله، يا عزيز فهو الله، وهكذا، فأسماء الله ﷻ أعلام فهي مترادفة؛ لدلالتها على ذات الله، وأوصاف لدلالتها على معاني متعددة مختلفة، فكل اسم منها يدل على معنى خاص مشتق منه، وأسماء الله تعالى كاملة في علميتها ووصفيتها.

هذه بعض القواعد وغيرها كثير، فلعل الله أن ينفع بها كاتبها وقارئها. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 38 03/04/2023 12:47 PM



دراسـة موجزة لحال أحد الرواة

عبد الله بن لَهـيعة المصري

أعده

د.منصور بن عبد الله العازمي

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 39 03/04/2023 12:47 PM

(عبد الله بن لهيعة المصري)

دراسة حال الراوي:

هو عبد الله بن لهيعة [١] بن عقبة الحضرمي أبو عبد الرحمن المصري القاضي، روى عن الأعرج وأبي الزبير وابن المنكدر، وروى عنه الثوري والأوزاعي والليث وابن المبارك وابن وهب وعبد الله بن يزيد المقرئ [٢].

وابن لهيعة رَحِمَهُ اللَّهُ من أشهر الرواة المختلف فيهم قديما وحديثا، وقل إن تجد إماما من أئمة هذا الشأن ومن حراس هذا الدين القويم - له كلام في الرواة - إلا وله رأي في ابن لهيعة؛ وهذا عائد لا شك إلى عدة أسباب: لكثرة وغزارة مروياته رَحِمَهُ اللَّهُ وخصوصا الأحاديث المتعلقة بالفقه، فمن الأئمة من وصفه بالتدليس أو الاختلاط أو التغير أو سوء الحفظ وغيرها مما سيأتي. ومما وسع دارة الخلاف في ابن لهيعة تعدد وتنوع أقوال الأئمة فيه بل وربما تختلف أقوال الإمام الواحد كما سيأتي بإذن الله.

يقول الشيخ أحمد معبد - حفظه الله -: «لكثرة حديث الرجل ، مع كثرة الأقوال فيه، بدءا من تلاميذه الذين خَبروه، وحتى عصرنا هذا، ومعارضة - الأقوال - بعضها لبعض حتى بالنسبة لأقوال العالم الواحد، كل ذلك جعلني أقوم ببذل جَهدي في جمع أكثر ما وقفت عليه من أقوال في ابن لهيعة» [٣].

وستكون الدراسة على النحو التالي:

- ذكر من عدَّله من الأئمة.
- ذكر الخلاف في احتراق كتبه رَحِمَهُ اللَّهُ.
- ذكر من جرَّحه من الأئمة.
- نتيجة دراسة حال الراوي [٤].

---

(١) لَهيعة: بفتح اللام وكسر الهاء. قاله النووي في تهذيب اللغات ص ٤٠٣. وتوفي رَحِمَهُ اللَّهُ رحمة واسعة سنة ١٧٤ هـ.

(٢) انظر: التاريخ الكبير ١٨٢/٥، التاريخ الأوسط ٧٠٥/٤ كلاهما للبخاري، الجرح والتعديل ١٤٥/٥، تهذيب الكمال ٤٩٥/١٥، تهذيب التهذيب ٣٢٨/٥، تقريب التهذيب ٣١٩/٢.

(٣) النفح الشذي في شرح جامع الترمذي ص ٧٩٤.

(٤) والله أسأل التوفيق والسداد والرشاد، ومن بغيره استعان لا يعان.

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 40 03/04/2023 12:47 PM

❖ ذكر من عدَّلَه من الأئمة:

التعديل المراد به هنا القبول لروايته، وَجَعْلتُه على ثلاثة أقسام:

الأول: من عدَّله مطلقا.

قال الثوري: «عند ابن لهيعة الأصول وعندنا الفروع»[١]، وقال أبو داود سمعت أحمد يقول: «من كان بمصر يشبه ابن لهيعة في ضبط الحديث وكثرة إتقانه»[٢]، وقال محمد بن يحيى بن حسان سمعت أبي يقول: «ما رأيت أحفظ من ابن لهيعة بعد هشيم، قلت له: إن الناس يقولون احترقت كتب ابن لهيعة، فقال: ما غاب له كتاب» [٣].

الثاني: من عدَّله معنى الاعتبار دون الاحتجاج.

قال الإمام أحمد: «ما حديث ابن لهيعة بحجة ، لأَكْتُبَ كثيرا مما أكتب؛ أعتبر به وهو يقوي بعضه بعض» [٤]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية عاضدا لكلام الإمام أحمد: « وأهل السنن يروون له» [٥]، وقال في موضع آخر: «من الأحاديث الضعيفة ما يستشهد به ويعتبر كأحاديث ابن لهيعة» [٦]، وسئل الرازيان « أبو حاتم وأبو زرعة » عن ابن لهيعة والأفريقي فقالا: «جميعا ضعيفان، بين ابن لهيعة والأفريقي كثير، أما ابن لهيعة فأمره مضطرب، يكتب حديثه على الاعتبار» [٧]، وقال ابن عدي: «وابن لهيعة له من الروايات والحديث أضعاف ما ذكرت، وحديثه أحاديث حسان، وقد ضعفه السلف وهو حسن الحديث، يكتب حديثه، وقد حدث

---

(١) تهذيب الكمال ٤٩٥/١٥.

(٢) سؤالات أبي داود ص ٢٤٦. قال الشيخ أحمد معبد في تحقيق النفح الشذي ص ٧٩٤. مبينا أهمية جمع أقوال الإمام الواحد في الراوي الواحد، فيقول: «لذا كان عليه - ابن سيد الناس - أن يدفع تعارض هذا في ظاهره - يعني: قول الإمام أحمد -، مع باقي أقوال أحمد نفسه التي ذكرت في ترجمته في كتب الرجال، ودلت صراحة على تضعيفه له وعدم الاحتجاج بما ينفرد به، ...، خاصة وأن من العلماء والباحثين من اعتمد على توثيق الإمام أحمد المتقدم لابن لهيعة وردَّ باقي أقوال أحمد المجرحة، وغيره، مثل الشيخ أحمد شاكر وغيره».

(٣) الجرح والتعديل ١٤٨/٥.

(٤) تهذيب التهذيب ٣٢٩/٥.

(٥) الرد على البكري ٣٠٨/١. (قدمت كلام ابن تيمية على الرازيين لتعلقه بكلام أحمد).

(٦) الرد على البكري ٦٧/١.

(٧) الجرح والتعديل ١٤٧/٥.

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 41 03/04/2023 12:47 PM

عنه الثقات الثوري وشعبة ومالك وعمرو بن الحارث والليث»[١]،

وقال ابن خزيمة: «وابن لهيعة ليس ممن أخرج حديثه في هذا الكتاب إذا تفرد برواية، وإنما أخرجت هذا الخبر لأن جابر بن إسماعيل معه في الإسناد»[٢]، وقال ابن رجب: «وابن لهيعة لا يحتج بما ينفرد به» [٣]، وقال ابن حجر: «وابن لهيعة لا بأس به في المتابعات» [٤].

الثالث: من عدَّله في بعض الرواة عنه دون بعض.

قال المروذي: سألت أبا عبد الله عن ابن لهيعة؛ فَلَيَّن أمره، وقال: «من سمع منه متقدما» [٥]، وقال ابن رجب: روي عن أحمد أنه قال: «سماع العبادلة من ابن لهيعة عندي صالح، عبد الله بن وهب وعبد الله بن المبارك وعبد الله بن يزيد المقرئ»[٦]، وقال ابن المديني: «الحسن بن موسى إنما سمع من ابن لهيعة بآخره، وإنما يروي حديث ابن لهيعة عمن سمع منه قبل أن يصاب بكتبه؛ مثل ابن المبارك وأبي عبد الرحمن المقرئ وابن وهب» [٧]، وقال أبو زرعة عندما سئل عن سماع القدماء منه فقال: «آخره وأوله سواء إلا أن ابن المبارك وابن وهب كانا يتتبعان أصوله فيكتبان منه» [٨]، وقال الفلاس: «عبد الله بن لهيعة احترقت كتبه، فمن كتب قبل ذلك مثل ابن المبارك وعبد الله المقرئ أصح من الذين كتبوا بعدما احترقت الكتب، وهو ضعيف» [٩]، وقال عبد الغني الأزدي: «إذا روى العبادلة عن ابن لهيعة فهو صحيح، ابن المبارك وابن وهب والمقرئ» [١٠]، وقال الدارقطني: «يعتبر بما يروي عنه العبادلة، ابن المبارك والمقرئ وابن وهب» [١١].

(١) الكامل في ضعفاء الرجال ٥/٢٥١.
(٢) صحيح ابن خزيمة ١/٧٥.
(٣) فتح الباري لابن رجب ٣/٣٧٢.
(٤) فتح الباري لابن حجر ٤/٩٣.
(٥) العلل ومعرفة الرجال - المروذي - ص ٧١.
(٦) شرح العلل ١/٤٢٠.
(٧) مسند الفاروق لابن كثير ٢/٦٤٩، بواسطة: التذييل على كتاب تهذيب التهذيب لمحمد طلعت ص ٢١٩.
(٨) الجرح والتعديل ٥/١٤٧.
(٩) الجرح والتعديل ٥/١٤٧.
(١٠) تهذيب التهذيب ٥/٣٣٠.
(١١) الضعفاء والمتروكين ص ٢٥.

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 42 03/04/2023 12:47 PM

❖ ذكر الخلاف في احتراق كتبه رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذه المسألة من ألصق المسائل في حال الراوي، إذ أن حسن الضبط من شروط قبول رواية الراوي = والضبط عند أهل الحديث نوعان: ضبط صدر وضبط كتاب، فمن هنا يتضح أهمية معرفة هل اتفق العلماء عليهم رحمة الله على أن كتب ابن لهيعة احترقت أو اختلفوا فيها كما اختلفوا في حاله. المسألة فيها قولان:

الأول: من نفى الاحتراق.

قال أبو زرعة: «لم تحترق كتبه؛ ولكن كان رديء الحفظ» [١]، وقال ابن معين: «ابن لهيعة ليس بشيء. قيل: ليحيى؛ فهذا الذي يحكي الناس، أنه احترقت كتبه؟ قال: ليس لهذا أصل، سألت عنها بمصر» [٢]، وقال أبو داود: قال ابن أبي مريم: «لم تحترق» [٣]، وقال يحيى بن حسان: «ما غاب له كتاب» [٤].

الثاني: من أثبت الاحتراق - وهم الأكثر - وهو المشهور.

ابن معين [٥]، أحمد [٦]، وابن المديني [٧]، الفلاس[٨]، يحيى بن بكير[٩]، الطبراني[١٠]، عثمان السهمي [١١]، البزار [١٢]، ابن حبان [١٣]، الحاكم [١٤]، ابن

(١) الضعفاء وأجوبة أبو زرعة الرازي على سؤالات البرذعي ٣٤٦/٢.
(٢) سؤالات ابن طهمان لابن معين ص ٩٧، وقال في رواية الجنيد: « قال لي أهل مصر: ما احترق لابن لهيعة كتاب قط»، بواسطة: التذييل على كتاب تهذيب التهذيب لـ محمد طلعت ص ٢١٤.
(٣) تهذيب التهذيب ٣٢٩/٥.
(٤) الجرح والتعديل ١٤٨/٥.
(٥) قال: «يكتب عنه ما كان قبل احتراق كتبه»، الضعفاء للعقيلي ٢٩٥/٢.
(٦) قال: «احترقت كتب ابن لهيعة، زعموا كان رشدين بن سعد قد سمع منه كتبه، فكانوا يأخذون كتبه فلا يأتونه بشيء إلا قرأ » سؤلات أبي داود ٢٤٦/١. وقال الإمام أحمد حدثنا اسحق بن عيسى الطباع، قال: احترقت كتب ابن لهيعة سنة تسع وستين « العلل ومعرفة الرجال - رواية عبد الله - ٦٧/٢.
(٧) سبق في ص ٣.
(٨) سبق في ص ٣.
(٩) قال: « احترق منزل ابن لهيعة وكتبه سنة ١٧٠ هـ « التاريخ الكبير ١٨٢/٥. الضعفاء للبخاري ص ٨٠.
(١٠) قال: « الوليد بن مزيد ممن سمع من ابن لهيعة قبل احتراق كتبه « المعجم الصغير ٢٣١/١.
(١١) قال: « لم تحترق بجميعها، وإنما احترق بعض ما كان يقرأ عليه»، تهذيب التهذيب ٣٢٩/٥.
(١٢) قال: « لأن ابن لهيعة كانت قد احترقت كتبه « مسند البزار رقم (١٤٣٧).
(١٣) سيأتي في ذكر أقوال المجرحين.
(١٤) سيأتي في ذكر أقوال المجرحين.

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 43 03/04/2023 12:47 PM

الجوزي[١]، ابن رجب[٢]، ابن حجر [٣].

❖ ذكر من جرَّحه من الأئمة:

قال الحميدي عن يحيى بن سعيد القطان: « كان لا يراه شيئا» [٤]، وقال ابن المديني: سمعت عبد الرحمن بن مهدي وقيل له: نحمل عن ابن لهيعة، قال: «لا، لا تحمل عنه قليلا ولا كثيرا»[٥]، وقال ابن معين: «ليس هو بذاك»، وقال: «ضعيف الحديث» وقال: «ابن لهيعة في حديثه كله ليس بشيء»، وقال: «ابن لهيعة ضعيف في حديثه كله لا في بعضه» [٦]، قال الكرماني: سألت أحمد بن حنبل عن ابن لهيعة: «فضعفه» [٧] ، قال أبو زرعة: «وكان ابن لهيعة لا يضبط وليس ممن يحتج بحديثه من أَجْمَلَ القول فيه» [٨]، وقال أيضا: «لم تحترق كتبه؛ ولكنه رديء الحفظ» [٩]، وقال ابن عدي: «فإن ابن لهيعة له أحاديث منكرات يطول ذكرها إذا ذكرناها» [١٠]، وقال النسائي: «ضعيف» [١١]، وقال الترمذي : «ابن لهيعة ضعيف عند أهل الحديث ، ضعفه يحيى القطان وغيره من قبل حفظه » [١٢]، وقال البزار: «كان ابن لهيعة يقرأ من كتب غيره فصار في أحاديثه مناكير» [١٣] وقال الجوزجاني: «ابن لهيعة لا يوقف على حديثه ولا ينبغي أن يحتج به ولا يغتر بروايته»[١٤]، وقال ابن خزيمة: «وليس ابن لهيعة رَحِمَهُ اللَّهُ من شرطنا ممن يحتج به» [١٥]،

(١) سيأتي في ذكر أقوال المجرحين.
(٢) سيأتي في ذكر أقوال المجرحين.
(٣) سيأتي في ذكر أقوال المجرحين.
(٤) التاريخ الكبير ١٨٢/٥، الجرح والتعديل ١٤٦/٥.
(٥) الجرح والتعديل ١٤٦/٥.
(٦) سؤالات محرز لابن معين ٦٧/١.
(٧) الجرح والتعديل ١٤٧/٥.
(٨) الجرح والتعديل ١٤٧/٥.
(٩) الضعفاء وأجوبة أبو زرعة الرازي على سؤالات البرذعي ٣٤٦/٢.
(١٠) الكامل في ضعفاء الرجال ٥٣٧/٢.
(١١) الضعفاء والمتروكين ص ١٥٣.
(١٢) جامع الترمذي رقم (١٠).
(١٣) مسند البزار رقم (١٤٣٧).
(١٤) أحوال الرجال للجوزجاني ص ١٥٥.
(١٥) كتاب التوحيد ٤٣٥/١، قال شيخانا عبد العزيز اللحيدان: « وشرط ابن خزيمة في كتاب التوحيد هو شرط الحديث الصحيح عنده، وهذا من عنوان كتابه الصحيح».

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 44 03/04/2023 12:47 PM

وقال ابن حبان: «وقد سبرت حديثه من رواية العبادلة عنه، ابن المبارك وابن وهب والمقرئ، وبين حديثه الذي حدث به بعد احتراق كتبه، فرأيت في القديم أشياء مدلسة، وأوهاما كثيرة تدل على قلة مبالاة كانت فيه قبل احتراق كتبه، فلما حدث بما ليس من كتبه استحق الترك» [١]، وقال الحاكم: «لم يقصد ابن لهيعة الكذب؛ ولكن احترقت كتبه فحدث من حفظه فأخطأ فيه» [٢]، وقال ابن الجوزي: « وجب التنكب عن رواية المتقدمين عنه قبل احتراق كتبه؛ لما فيها من الأخبار المدلسة عن المتروكين ، ووجب ترك الاحتجاج برواية المتأخرين بعد احتراق كتبه؛ لما فيها مما ليس من حديثه» [٣] وقال أيضا: «ابن لهيعة ذاهب الحديث» [٤]، وقال: «ابن لهيعة مطروح الحديث» [٥]، وقال البيهقي: « أجمع أصحاب الحديث على ضعف ابن لهيعة ، وترك الاحتجاج بما ينفرد به» [٦] ، وقال ابن رجب: «أجمع العلماء على خفة ضبطه [٧] قبل موته بسنين، والأكثر على أن هذا راجع إلى احتراق كتبه» [٨].

❖ نتيجة دراسة حال الراوي:

وثقه عدد قليل جدا ، والجمهور على تضعيفه [٩] .

وممن ضعفه - كما قد مر - ابن مهدي ويحيى القطان[١٠] ، وقد اجتمعا

(١) المجروحين ١/٧٦.
(٢) سؤالات السجزي للحاكم ص ١٣٥.
(٣) الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي ٢/١٣٧.
(٤) الموضوعات ١/١٩٠، ١/٤٠٦، ٣/٧٦، ٣/١٢٧.
(٥) الموضوعات ٢/٤٦.
(٦) معرفة السنن والآثار ٩/٤٣.
(٧) ابن لهيعة رَحِمَهُ اللَّهُ موصوف بالاختلاط والتدليس، للاستزادة انظر: غير مأمور، المختلطين للعلائي ص ٢، فقد عده من القسم الثاني: ممن كان متكلما فيهم قبل الاختلاط، فلم يحصل من الاختلاط إلا زيادة في ضعفه، وكذلك الاغتباط بمن رمي من الرواة بالاختلاط ص ١٩٠، والكواكب النيرات لابن كيال ص ٤٨١، والتبيان لأسماء المدلسين، وتعريف أهل التقديس ص ١٣ وجعله في المرتبة الخامسة.
(٨) شرح العلل ص ٣٤.
(٩) قاله الشيخ عبد الكريم الخضير في (درر الفوائد) ص٣، بواسطة الشاملة.
(١٠) يقول الذهبي: « عبد الرحمن بن مهدي ويحيى القطان قد انتدبا لنقد الرجال، وناهيك بهما جلالة ونبلا وعلما وفضلا، فمن جرحاه لا يكاد - والله - يندمل جرحه، ومن وثقاه فهو الحجة المقبول، ومن اختلفا فيه اجتُهد في أمره ونزل عن درجة الصحيح إلى الحسن ...» ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل ص ١٦٧، بواسطة: ضوابط الجرح والتعديل للشيخ عبد العزيز العبد اللطيف رَحِمَهُ اللَّهُ ص ٧٣.

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 45 03/04/2023 12:47 PM

على تركه وتضعيفه، واجتماعهما على ترك راو من أقوى قرائن الترجيح ، وقال الذهبي: «العمل على تضعيف حديثه» [1]، وضعفه جمع من أهل العلم ممن يُعَدُّوْنَ من المتساهلين: كالترمذي وابن حبان والدارقطني والحاكم والبيهقي - عليهم رحمة الله -.

وأما توثيق الإمامين الثوري وأحمد - عليهم رحمة الله-:

فتوثيق الثوري، كان مجملا، والجرح المفسر مقدم على التوثيق المجمل.

وأما توثيق أحمد، فقد تنوعت رواياته وتعددت، والأولى - والله أعلم - أن يحمل قوله على قول الأئمة النقاد في هذا الفن؛ خصوصا وقد ثبت عنه - أنه ضعفه في بعض الروايات عنه.

وأما رواية أهل السنن (د ت ق) له، فلم يشترط فيهم الصحة في أحاديث كتابه وأما مسلم، «فقد روى له مقرونا» كما قال ابن حجر في التقريب [2].

والترمذي روى له وضعفه كما سبق.

ويستثنى من تضعيف مرويات ابن لهيعة - والله أعلم - ما كان من رواية العبادلة عنه (ابن المبارك، وابن وهب، والمقري) وذلك لقدم سماعهم منه ، ولتنصيص الأئمة عليها ، أحمد وابن المديني، وأبو زرعة، والأزدي، والفلاس، الدارقطني، والألباني [3].

وهذا الاستثناء لرواية هؤلاء الأئمة عنه لا يقتضي صحتها مطلقاً، فالضعيف أصح من الضعيف جداً ، وكلاهما ضعيف ، وإنما هو حكم نسبي ، ويظهر ويتجلى بالقرائن التي تحتف بما قد رواه من حديث - كل حديث على حده - فإذا سلمت من تدليسه وزياداته والشذوذ والنكارة قد تقبل ، كما قال الإمام أحمد : « سماع العبادلة من ابن لهيعة عندي صالح » ، وكما قال -

(١) الكاشف ١/٥٩٠.

(٢) وابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ صدرت منه ثلاثة أقوال في ابن لهيعة، قال في التقريب ٢/٣١٩: « صدوق خلط بعد احتراق كتبه »، وقال في الفتح ٤/٩٣: « وابن لهيعة لا بأس به في المتابعات »، وقال في الفتح في عدة مواطن: « ضعيف » ١/٢٣، ٣/٤٤١، ٣/٥٩٧، ٤/١٨٤، ٤/٣٥٤، ١٢/٧١.

(٣) صرح في ذلك في غير ما موطن من كتبه النافعة، غفر الله له ذنبه وذب الله عن وجهه النار يوم القيامة وإخوانه من العلماء أهل السنة.

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 46 03/04/2023 12:47 PM

أيضا - الفلاس: « عبد الله بن لهيعة احترقت كتبه ، فمن كتب قبل ذلك مثل ابن المبارك وعبد الله المقرئ أصح من الذين كتبوا بعدما احترقت الكتب، وهو ضعيف ».

هذا ما تيسر ذكره وإيراده والله تعالى أعلم، وصلى الله وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 47 03/04/2023 12:47 PM

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 48 03/04/2023 12:47 PM



مفهوم

الخدمات التمويلية
في الفقه الإسلامي

بقلم

د. جاسم كاظم الكندري

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 49 03/04/2023 12:47 PM

المقدمة

للخدمات التمويلية أهمية بالغة في الفقه الإسلامي لما لها من أثر في حياة الناس ، ولهذه الأهمية نجد رعاية الشريعة الإسلامية لهذا الجانب من النشاط البشري، ومن ذلك: الأمر بحفظ المال وتثميره وجعله أحد الكليات الخمس. وإذا كان من خصائص الملك في الإسلام تخويل صاحبه سلطة التصرف فيه بالمعروف، حيث تنص القاعدة الفقهية على «إن الناس مسلطون على أموالهم»[1]، ومن هنا؛ فإن نماء المال يعود إلى مالكه في الأصل ، لأن من ملك شيئا ملك نماءه وكل ما يتولد عنه من ثمرة، إلا أن حكمة الله تعالى اقتضت أن يجعل بعض الناس فوق بعض درجات، فمنهم من يملك المال ومنهم من يملك العمل، وكأنه سبحانه قد فتح أمامهم طريق العمل بالمشاركة وغيرها لتحصيل الربح ومنافع الحياة لكل فريق منهم، لذلك فإن الشريعة الإسلامية رغبت بالتعاون بين الناس وحثت عليه بالأمر به صراحة حيث يقول الله تعالى ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾[2]، ويقول الرسول الكريم ﷺ «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[3]، قال ابن خويزمنداد[4] في أحكامه: «والتعاون على البر والتقوى يكون بوجوه فواجب على العالم أن يعين الناس بعلمه، فيعلمهم،

(١) هذه قاعدة فقهية وردت في كتب الفقهاء المختلفة في مواضع عدة انظر منها: الأم للشافعي ١٩١/٨ ط دار المعرفة، الطرق الحكمية لابن القيم ص٢١٥ ط مكتبة دار البيان، نيل الأوطار للشوكاني ٢٦٠/٥ ط دار الحديث بالقاهرة، عون المعبود لشمس الحق العظيم آبادي ٢٣٠/٩ ط الثانية ١٤١٥هـ دار الكتب العلمية بيروت، تحفة الأحوذي للمباركفوري ٢٥٢/٤ ط دار الكتب العلمية بيروت د.ت.

(٢) سورة المائدة من الآية رقم ٢.

(٣) رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، الصحيح ١٩٩٩/٤ ط دار إحياء التراث العربي.

(٤) ابن خويز منداد: محمد بن علي بن إسحاق بن خويز منداد ويقال خواز منداد الفقيه المالكي البصري أبا عبد الله، صنف كتبا كثيرة منها كتابه الكبير في الخلاف وكتابه في أصول الفقه وكتابه في أحكام القرآن وعنده شواذ عن مالك واختيارات وتأويلات لم يعرج عليها حذاق المذهب، وقد تكلم فيه أبو الوليد الباجي ولم يكن بالجيد النظر ولا بالقوي في الفقه، وطعن ابن عبد البر فيه أيضا وكان في أواخر المائة الرابعة.
لسان الميزان لابن حجر ٢٩١/٥ ط الثانية ١٩٧١م مؤسسة الأعلمي للطباعة، الديباج المذهب لابن فرحون ص٢٦٨ ط دار الكتب العلمية.

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 50 03/04/2023 12:47 PM

ويعينهم الغني بماله، والشجاع بشجاعته في سبيل الله، وأن يكون المسلمون متظاهرين كاليد الواحدة»[1]، ومن هنا؛ فإن من باب التعاون بينهم تثمير المال بتمليكه للغير سواء عن طريق المعاوضة الميسرة بالتقسيط أو المرابحة، فيستفيد كل طرف من المال ويفيد الآخر، وكذا عن طريق المشاركة المتناقصة أو عن طريق الإجارة المنتهية بالتمليك أو غيرها من أنواع التمويل الحديثة، فيؤدي ذلك إلى جميل التعاون بينهما وفائدة كل منهما من ناحية وفائدة المجتمع بزيادة الناتج الذي يعم بالرخاء على الجميع من ناحية أخرى، ومن هنا كان موضوع التمويل أو الخدمات التمويلية من أهم الابتكارات المعاصرة في سياق القواعد والضوابط الفقهية التي جاءت بها الشريعة الغراء.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن طرق استثمار المال في الإسلام متنوعة، فهي قد تتم عن طريق عمل رب المال نفسه فيها كما في اتحاد رأس مال مع آخر لإنشاء شركة أو مصنع أو غير ذلك، وقد يتم بين المال والعمل كما في المزارعة والمساقاة بما فيه فائدة لهما معا[2].

ولما كانت الحاجة لبعض الناس فيمن ينمي أموالهم أو مشاريعهم موجودة -كما أشرنا إليه- فقد نتج عن ذلك ما يسمى بالخدمات التمويلية.

وعلى ما سبق؛ فقد ارتأينا إلقاء الضوء على هذا المصطلح (الخدمات التمويلية) مستعرضين المقصود به ومفهوم التمويل، والفرق بين التمويل وبين ما يشتبه به من مصطلحات في هذا الجزء من البحث على أن نستكمل البحث في خصائص التمويل الإسلامي وأدواته ومؤسساته في عدد آخر بإذن الله تعالى.

وكما ذكرنا سنعمد في هذا البحث إلى بيان مفهوم الخدمات التمويلية في الفقه الإسلامي من خلال المطالب التالية :

المطلب الأول: المقصود بالخدمات التمويلية في الفقه الإسلامي.
المطلب الثاني: تعريف المال في الفقه الإسلامي.

(١) نقلا عن تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤٧/٦، ط الثانية ١٣٧٢هـ دار الشعب بالقاهرة.
(٢) مفهوم التمويل للدكتور منذر قحف ص ٩ وما بعدها.

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 51 03/04/2023 12:47 PM

المطلب الثالث: الفرق بين مفهوم التمويل وما يتشابه معه من مصطلحات.

المطلب الأول: المقصود بالخدمات التمويلية في الفقه الإسلامي:

إن مصطلح الخدمات التمويلية يتكون من كلمتين خدمات وتمويلية، أما الخدمة في اللغة فمعناها معروف وهو القيام بأمر للغير طلبا لراحته، يقال خدم فلانا أي قام بحاجته، واستخدمه اتخذه خادما، والخدوم كثير الخدمة[1].

وأما (التمويل) لغة فهو مصدر مشتق من الفعل موّل أي أعطاه مالا، وفي الفقه الإسلامي؛ فإنه يمكننا القول بأن هذه الكلمة لم ترد في كتب الفقهاء القدامى بالمعنى المراد هنا وهو إعطاء المال للغير للانتفاع ونفع المعطي نفسه، وإنما نصوا على (التمول) ويقصد به أن يكون المال مباح الاستعمال والانتفاع شرعا.

ولقد وردت كلمة (التمويل) في مواضع قليلة في كتب الفقهاء القدامى، وقصد بها المعنى السابق ذاته وهو كون المال مباح الانتفاع شرعا، ومن ذلك مثلا قول البهوتي[2] أو أصدقها ما لا يقدر على تسليمه كالطير في الهواء والسمك في الماء، وما لا يتمول عادة كقشرة جوز وحبة حنطة لم يصح الإصداق للجهالة أو الغرر أو عدم التمويل «[3]، فقوله لا يتمول أي لا يعد مالا شرعا، ولا شك أن هذا خلاف المراد من التمويل في موضوع البحث، والذي يقصد به إعطاء الغير مالا معاوضة أو مشاركة بقصد الربح.

أما الفقهاء المحدثون؛ فرغم كتاباتهم المتعددة عن الاستثمار والأموال وكيفية إنمائها، إلا أن المعنى الذي قصدوه من الخدمة التمويلية أو التمويل هو الذي ورد من معنى في الفقه الإسلامي تماما ولم يرد عنهم كثير تعريف له، وقد عرف (التمويل الإسلامي) بأنه «عبارة عن تقديم ثروة عينية أو نقدية بقصد

---

(١) المعجم الوجيز، ص١٨٧ وما بعدها مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط وزارة التربية والتعليم بمصر سنة ١٩٩٤م، المصباح المنير للفيومي ص١٦٦ ط المكتبة العلمية بيروت.

(٢) البهوتي: منصور بن يونس بن صلاح الدين بن حسن بن إدريس البهوتي، شيخ الحنابلة بمصر في عصره، وكتبه من أكثرها اعتمادا عند الحنابلة، ومن أشهرها كشاف القناع، ودقائق أولي النهي المسمى بشرح منتهى الإرادات، والروض المربع بشرح زاد المستقنع، توفي سنة ١٠٥١هـ. الأعلام لخير الدين الزركلي ٣٠٧/٧.

(٣) كشاف القناع عن متن الإقناع للبهوتي ١٣٣/٥ ط دار الكتب العلمية بيروت.

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 52 03/04/2023 12:47 PM

الاسترباح من مالكها إلى شخص آخر يديرها ويتصرف فيها لقاء عائد تبيحه الأحكام الشرعية»[1].

ومن هذا التعريف يظهر أن الخدمة التمويلية تتمثل في قيام البنك أو المؤسسة المالية المتخصصة بإعطاء ثروة معينة نقدية كانت أو عينية للغير عن طريق تمليكها له أو تخويله إدارتها بقصد الاستثمار والمنفعة المشتركة بين الطرفين، فالبنك أو المؤسسة المالية لا تبغي بتقديم هذه الخدمة منفعة من يطلبها أو يحصل عليها فقط وإلا تعرضت أموال المودعين أو المشاركين فيها للضياع، وهي ليست ملكا للمؤسسة حتى تتصرف فيها بما يهلكها، وإنما الهدف من الخدمة التمويلية تيسير الأمر على الطالب لها مع انتفاع البنك أو الشركة التمويلية بعائد استثماري يحفظ أموال المودعين، ويساهم في استمرار نشاط المؤسسة المالية عن طريق توفير المصروفات الإدارية وربح معقول للمساهمين.

ولا شك أن القيام بهذه المهمة وبالطريقة والضوابط الشرعية أمر مطلوب لتحفيز النشاط الاقتصادي في البلدان المسلمة وبأسلوب يحفظ حق الجميع دون ميل من أحدهما على الآخر، واتباع الضوابط الشرعية في هذا الشأن يسهل عملية الوصول إلى الأهداف المرجوة من عملية التمويل بشروطها واعتباراتها المختلفة.

المطلب الثاني : تعريف المال في الفقه الإسلامي

تعريف المال لغة:

المال في اللغة مأخوذ من الميل، يقال مال الإنسان ناحية الشيء بمعنى أنه يتشهاه ويهواه، وهو يطلق على كل ما يتملكه الإنسان من الأشياء، ولكنه في الأصل يعرف به ما يملك من الذهب والفضة، ثم أطلق على كل ما يقتنى ويملك من الأعيان[2].

(١) مفهوم التمويل في الاقتصاد الإسلامي للدكتور منذر قحف ص١٠ ط الثالثة ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م، البنك الإسلامي للتنمية بجدة، سلسلة البحوث، العدد رقم ١٣.

(٢) القاموس المحيط للفيروز آبادي ص١٣٦٨ ط مؤسسة الرسالة بيروت، المغرب لأبي المكارم المطرزي ص٤٤٩ ط دار الكتاب العربي.

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 53 03/04/2023 12:47 PM

وفي الاصطلاح:

اختلف الفقهاء في تعريف المال تبعا لاختلافهم في مفهومه وما يطلق عليه مال من الأشياء، إضافة إلى تعدد التراكيب اللفظية في تعريفاتهم التي تعددت في المذاهب المختلفة بل وفي المذهب الواحد، وتفصيل ذلك على الوجه التالي:

١- عرفه الحنفية بتعريفات متعددة، منها أنه ما يميل إليه الطبع ويمكن ادخاره لوقت الحاجة[١]، وأيضا هو ما خلق لمصالح الآدمي ويجري فيه الشح والضنة[٢]، كما عرف أيضا بأنه ما يميل إليه الطبع ويجري فيه البذل والمنع[٣].

ويزيد الحنفية تعريفهم توضيحا بقولهم إن المالية إنما تثبت بتمول الناس كافة أو بتقوم البعض، والتقوم يثبت بها وبإباحة الانتفاع له شرعا، فما يكون مباح الانتفاع بدون تمول الناس لا يكون مالا كحبة القمح، وما يكون مالا بين الناس ولا يكون مباح الانتفاع لا يكون متقوما كالخمر، وإذا عدم الأمران لم يثبت واحد منهما كالدم[٤].

ومن التعريفات السابقة؛ يظهر أن عناصر المالية عند الحنفية هي أن يكون منتفعا به عرفا بين الناس، وأن يكون له قيمة مادية بينهم، وأن يكون موجودا زمانين فأكثر، وهو ما يظهر من قولهم يمكن ادخاره إلى وقت الحاجة، ولذا فإن المنفعة عندهم ليست مالا ولا تضمن بالغصب، فمتى اجتمعت هذه العناصر كان الشيء مالا، وإن تخلف واحد منها فيه لم يعتبر مالا عندهم.

٢- المالكية يعرفون المال بتعريفات متعددة أيضا منها قول الشاطبي: « إن المال ما

(١) كشف الأسرار عن أصول البزدوي لعبد العزيز البخاري ٢٦٨/١ ط دار الكتاب الإسلامي، شرح التلويح على التوضيح لمسعود بن عمر التفتازاني ٤٢١/١ ط مكتبة محمد علي صبيح بمصر، البحر الرائق ٢٧٧/٥ ط دار الكتاب الإسلامي، وهو تعريف مجلة الأحكام العدلية في المادة ١٢٦، انظر درر الحكام لعلي حيدر ١١٥/١ ط دار الجيل بيروت.

(٢) كشف الأسرار ٢٦٨/١، شرح التلويح على التوضيح ٤٢١/١، منحة الخالق على البحر الرائق لابن عابدين ٢٧٧/٥ مطبوع على هامش البحر الرائق.

(٣) رد المحتار على الدر المختار المعروف بحاشية ابن عابدين٥/٥٠ ط دار الكتب العلمية بيروت.

(٤) البحر الرائق ٢٧٧/٥، غمز عيون البصائر للحموي ٥/٤ ط دار الكتب العلمية بيروت.

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 54 03/04/2023 12:47 PM

يقع عليه الملك ويستبد به المالك عن غيره إذا أخذه من وجهه»[1]، وقال ابن العربي في تعريفه عند حديثه عن متعلق المال المسروق هو: «ما تمتد إليه الأطماع ويصلح عادة وشرعا للانتفاع به»[2].

ويفهم من هذين التعريفين أن الشيء لا يطلق عليه مال عند المالكية إلا إذا اجتمعت فيه عناصر معينة، وهي أن يكون مما يباح الانتفاع به شرعا، فما لا يباح الانتفاع به لا يجوز تملكه ولا بيعه ولا يتموله الناس فلا يكون مالا، كما يشترط في المال أن يكون له قيمة مادية بين الناس، فإن لم تكن له قيمة مادية عندهم فلا يعد مالا، لأنه لا تمتد إليه الأطماع كما عبروا عنه، ويجب أيضا أن تكون فيه منفعة مقصودة شرعا وهو ما عبره عنه ابن العربي في التعريف الثاني حين قال «ويصلح عادة للانتفاع به»، فإن توافرت هذه العناصر أو الشروط كان الشيء مالا، وإن اختل أحدها لم يصلح أن يطلق عليه مال شرعا عندهم.

٣- ذهب الشافعية في تعريفهم المال على أقوال منها ما ذكره الشافعي بقوله « لا يقع اسم المال إلا على ما له قيمة يباع بها، وتكون إذا استهلكها مستهلك أدى قيمتها، وإن قلت، وما لا يطرحه الناس من أموالهم مثل الفلس وما أشبه ذلك الذي يطرحونه»[3]، وهذا التعريف يكاد يكون شرحا للمعنى لا تعريفا موجزا مختصرا كما هو معهود في التعريفات، ولذا عرفه الزركشي مختصرا بأنه: «ما كان منتفعا به»[4]، أي مستعدا لأن ينتفع به على الوجه المباح شرعا، وهو إما أعيان أو منافع.

ويظهر من هذين التعريفين أنه لكي يكون الشيء مالا شرعا لابد من توافر شرطين وهما أن يكون له قيمة مقصودة شرعا في حال السعة والاختيار، وأن يكون له قيمة مادية بين الناس بأن يكون متمولا في عرفهم، فإن اختل أحد هذين الشرطين لم يكن الشيء مالا شرعا عند الشافعية.

(١) الموافقات في أصول الشريعة لأبي إسحاق الشاطبي ٢/ ١٠ ط المكتبة التجارية الكبرى بمصر.
(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٢/ ١٠٧ ط دار الكتب العلمية بيروت.
(٣) وذلك عند حديثه عن مهر الزوجة، الأم ٥/ ١٧٠، ونقله عنه السيوطي في الأشباه والنظائر بلفظ مقارب ص٣٢٧ ط دار الكتب العلمية بيروت.
(٤) المنثور في القواعد الفقهية ٣/ ٢٢٢ ط وزارة الأوقاف بالكويت.

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 55 03/04/2023 12:47 PM

٤- الحنابلة عرفوه بأنه ما يباح نفعه مطلقا أي في كل الأحوال، أو يباح اقتناؤه بلا حاجة[١]، وعرفوه أيضا بأنه ما فيه منفعة مباحة لغير حاجة أو ضرورة[٢].

ومن هذين التعريفين يظهر أن الحنابلة لا يعدون الشيء مالا شرعا إلا إذا توافر فيه شرطان، أن يكون مما يباح اقتناؤه شرعا في حال السعة والاختيار، وأن يكون له قيمة مادية بين الناس، وعلى هذا لا يعد مالا ما تضطر الظروف إلى الانتفاع به كالخمر والميتة والحشرات، وكذا ما تدعو له الحاجة ككلب الصيد، فحل الانتفاع به مقيد بالحاجة، وكذا ما لا يتموله الناس لحقارته لا يعد مالا كحبة القمح[٣].

وبنظرة عامة على التعريفات السابقة في المذاهب المختلفة؛ يظهر بوضوح أن الفقهاء متفقون على اشتراط كون المال مما ينتفع به، ولكنهم مختلفون في كون المال مباحا شرعا، فالحنفية لم يجعلوا من عناصر المالية كونه مباحا فيما اشترطها الجمهور مما حدا بهم إلى تقسيم المال إلى متقوم وغير متقوم، وكذا انفرد الحنفية باشتراط كون المال مما يمكن ادخاره لوقت الحاجة مما جعلهم لا يقولون بمالية المنافع على الوجه السابق، بينما لم يشترطها الجمهور ومن ثم قالوا بمالية المنافع وضمانها بالتفويت والغصب، وهو ما أراه راجحا لكون المنافع مالا وإن لم تكن مادية لكنها تصير كذلك بالتسليم للغير وإلا ما جازت الإجارة لوقوعها على ما لا يمكن تسلمه، وهو ما يتفق عليه الجميع في مشروعية الإجارة رغم وقوعها على المنافع المعدومة والله تعالى أعلم.

المطلب الثالث: الفرق بين مفهوم التمويل وما يتشابه معه من مصطلحات:

إن مفهوم التمويل قد يتشابه مع بعض المصطلحات الأخرى مثل مصطلح الاستثمار والائتمان والتجارة، والحق أن هناك تشابها قد ينبئ عن وجود تماثل مع هذه المصطلحات، ولذا يلزمني هنا بيان معناها والفرق بينها وبين التمويل، وذلك في الفروع الثلاثة التالية:

---

(١) شرح منتهى الإرادات للبهوتي ٢/٧ ط دار عالم الكتب بيروت، مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى للرحيباني ٣/١٢ ط المكتب الإسلامي بيروت.

(٢) الإنصاف للمرداوي ٤/٢٧٠ ط دار إحياء التراث العربي، كشاف القناع للبهوتي ٣/٥٥٩.

(٣) الإنصاف ٤/٢٧٠، غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب للسفاريني ٢/٧٩ ط مؤسسة قرطبة.

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 56 03/04/2023 12:47 PM

الفرع الأول: التمويل والائتمان:

«الائتمان» مصطلح قانوني ظهر في العصر الحديث بظهور البنوك التجارية، لذلك فإن الفقهاء القدامى لم يتعرضوا له في كتبهم وإن ذكروا معناه في أبواب الفقه المختلفة، أما الفقهاء المعاصرون؛ فقد تعرضوا لهذا المصطلح في كتاباتهم حيث عرف الائتمان لدى بعضهم بأنه منح دائن مهلة من الوقت يلتزم المدين بانتهائها دفع قيمة الدين[١]، كما عرف بأنه عملية مبادلة قيمة حاضرة في مقابل وعد بقيمة آجلة مساوية لها وغالبا ما تكون هذه القيمة نقودا[٢].

وعلى هذا؛ فإن الائتمان - بالنسبة للفرد المودع مالا لدى البنك - يعادل الوديعة في الفقه الإسلامي؛ فهو إيداع واستيداع[٣]، ولذا فإنه يأخذ حكمها، والوديعة في الفقه الإسلامي جائزة شرعا باتفاق الفقهاء[٤] سواء أكانت بأجر أم بدون أجر، وذلك لما فيها من التعاون، ويجب على المودع لديه حفظها بما يحفظ به ماله، وردها للمودع متى طلبها، لقوله ﷺ «أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك»[٥]، وقوله ﷺ «آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان»[٦].

---

(١) المصارف الإسلامية للدكتور محمود محمد بابللي ص١٠٦.

(٢) النظرية الاقتصادية في الإسلام لفكري أحمد نعمان ص٤٣٦، ط الأولى ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م، المكتب الإسلامي بيروت.

(٣) المصارف الإسلامية للدكتور محمود محمد بابللي ص١٠٦.

(٤) المبسوط ١٠٨/١١، درر الحكام لملا خسرو ٢٤٤/٢ وما بعدها، بدائع الصنائع ٢٠٧/٦، مجمع الضمانات للبغدادي ص٦٨ ط دار الكتاب الإسلامي، مواهب الجليل ٢٥١/٥، شرح ميارة الفاسي ١٨٨/٢، شرح الخرشي ١٠٨/٦، الغرر البهية ٥٢/٤، تحفة المحتاج ٩٩/٧، مغني المحتاج ١٢٥/٤، حاشيتا قليوبي وعميرة ١٨١/٣ وما بعدها، المغني ٣٠٠/٦، الفروع ٤٧٩/٤، الإنصاف ٣١٦/٦، شرح منتهى الإرادات ٣٥٢/٢.

(٥) رواه الترمذي عن أبي هريرة ﷺ وقال: هذا حديث حسن غريب، سنن الترمذي ٥٦٤/٣، ورواه الحاكم عنه أيضا وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وله شاهد عن أنس، المستدرك ٥٣/٢.

(٦) متفق عليه واللفظ للبخاري رواه في أكثر من موضع، فرواه في كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، الصحيح ٢١/١، وفي كتاب الشهادات، باب من أمر بإنجاز الوعد وفعله، الصحيح ٩٥٢/٢، وفي كتاب الوصايا، = باب قول الله تعالى من بعد وصية يوصي بها أو دين، الصحيح ١٠١٠/٣، ورواه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، الصحيح ٧٨/١.

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 57 03/04/2023 12:47 PM

أما من يطلب الائتمان من البنك، فهو في الصورة العظمى له يمثل نوعا من القرض، والقرض في الفقه الإسلامي عقد جائز ومشروع باتفاق الفقهاء[1] بشرط ألا يجر نفعا للمقرض، فإن جر به نفعا كان ربا محرما، ولذا كانت القاعدة عند الفقهاء قولهم « كل قرض جر نفعا فهو ربا »[2].

ومما سبق يظهر أن مفهوم الائتمان وإن كان غير وارد في الفقه الإسلامي بلفظه كمصطلح؛ إلا أنه وارد بمعناه ولا يخرج عن الوديعة أو القرض، ولكن الفقه الإسلامي يتميز بأنه يجيز كون الوديعة بأجر، ولا يجيز القرض بمقابل وإلا كان ربا محضا وهو محرم باتفاق الفقهاء، أما في القانون الوضعي؛ فكما هو معلوم أنه يجوز للبنك إعطاء فائدة على الوديعة النقدية وأخذ مقابل في إعطاء القرض أو الائتمان بصفة عامة، وهو وإن كان جائزا في بعض صوره في الفقه كمصروفات إدارية كما في خطاب الضمان وفتح الاعتماد مثلا؛ لكنه قطعا غير جائز كفائدة محددة على المال بغض النظر عن الكسب أو الخسارة.

ويظهر أيضا أن التمويل نوع من أنواع الائتمان، فالائتمان أعم من التمويل، لأن الائتمان كما يكون بالإقراض والاعتماد وغيره؛ يكون أيضا بتمويل العميل بما يطلبه للقيام بمشروعه متى توافرت شروط معينة في طلبه.

الفرع الثاني: التمويل والاستثمار:

الاستثمار في اللغة استفعال من الثمرة، ويراد به طلب الحصول على الثمرة، وثمرة الشيء ما تولد عنه من نتاج، ولذا يقال ثمر الشجر إذا ظهر ثمره، وأثمر إذا بلغ أوان الإثمار، ويقال ثمر مال الرجل أي كثر، وأثمر الشيء إذا

(١) المبسوط ٣٥/١٤، بدائع الصنائع ٣٩٥/٧، شرح الخرشي ٢٢٩/٥، الشرح الصغير وحاشية الصاوي عليه المسمى بلغة السالك ٢٩٠/٣ ط دار المعارف بمصر، أسنى المطالب ١٤٠/٢، المغني ٢٠٧/٤، الفروع ١٩٩/٤، مطالب أولي النهى ٢٣٧/٣.

(٢) أصلها حديث رواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده ٥٠٠/١ ط الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٢م مركز خدمة السنة والسيرة النبوية بالمدينة المنورة، وانظر الدراية في تخريج أحاديث الهداية لابن حجر ١٦٤/٢ ط دار المعرفة بيروت، نصب الراية للزيلعي ٦٠/٤ ط دار الحديث بمصر، وانظر في ذلك من كتب الفقهاء: تبيين الحقائق ١٧٥/٤، شرح فتح القدير ٢٥٠/٧، حاشية ابن عابدين ١٦٦/٥، بريقة محمودية للخادمي ٢٦٩/٤ ط دار إحياء الكتب العربية، حاشية البيجرمي على الخطيب المسمى تحفة الحبيب على شرح الخطيب ١٨/٣ ط دار الفكر.

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 58 03/04/2023 12:47 PM

تحققت نتيجته المرجوة [١]، فالمراد من الاستثمار في اللغة طلب تنمية المال بوجه ما عن طريق مالكه أو طريق غيره.

وأما في الاصطلاح؛ فلم يرد عن الفقهاء القدامى أنهم استعملوا هذا اللفظ في كتبهم لطلب حصول ثمرة المال إلا نادرا، ومن ذلك مثلا ما قاله ابن تيميه « الأصل الثاني: أن يقال إكراء الشجر للاستثمار يجري مجرى إكراء الأرض للازدراع»[٢]، وإن ورد كثيرا عندهم لمعان أخرى، ومن ذلك مثلا ما قاله الغزالي «في طريق الاستثمار وهو وجوه دلالة الأدلة وهي أربعة: دلالة بالمنظوم، ودلالة بالمفهوم، ودلالة بالضرورة والاقتضاء، ودلالة بالمعنى المعقول»[٣]، فهنا المراد بالاستثمار طلب ثمرة الدليل لا ثمرة المال، وقد ورد هذا المعنى في أكثر من موضع من كتب الفقهاء[٤].

وبالرغم من أن الفقهاء لم يوردوا الاستثمار بنصه، وكون هذه الكلمة من المصطلحات الاقتصادية المعاصرة؛ لا يعني أنهم أغفلوا الحديث عنه، وإنما تكلموا عن الاستثمار ببيان طرقه من التجارة والإجارة والمضاربة والمساقاة والمزارعة وغيرها من وسائل الاستثمار المباحة شرعا، وكانوا لا يطلقون الكلمة بنصها؛ وإنما ما ورد عنهم هو لفظ «التثمير»، ومن ذلك مثلا ما ورد عن الزيلعي من قوله « ولو رهن الوصي مال اليتيم عند الأجنبي بتجارة باشرها، أو رهن لليتيم بدين لزمه بالتجارة صح، لأن الأصلح له التجارة تثميرا لماله، فلا يجد بدا من الرهن»[٥]، وكذا ما ورد عن ابن العربي من قوله « يقتضي خطاب كل واحد منهم بالنهي عن دفع ماله إلى السفهاء لما في ذلك من تضييعه لعجز هؤلاء

(١) القاموس المحيط للفيروز آبادي ص٤٥، المعجم الوجيز ص٨٧، مختار الصحاح للرازي ص٧٦ ط مكتبة لبنان سنة ١٩٩٦م.

(٢) الفتاوى الكبرى ٤٥/٤ ط دار الكتب العلمية.

(٣) المستصفى في أصول الفقه ص٧، ٨، والمعنى نفسه في ص٨٦، ط دار الكتب العلمية.

(٤) انظر مثلا: كشف الأسرار للبخاري ٢٨/١، ٢١/٤، البحر المحيط للزركشي ٣١٥/٧، ٣٤٥/٨، ط دار الكتبي، المجموع للنووي ٦٠/١، ٦٥ ط مطبعة المنيرية، التقرير والتحبير لابن أمير الحاج ٢٤/١، ط دار الكتب العلمية.

(٥) تبيين الحقائق ٧٣/٦، والمعنى نفسه في الهداية وشرحيها العناية وفتح القدير ١٦١/١٠، وفي درر الحكام لملا خسرو ١٣٠/٢.

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 59 03/04/2023 12:47 PM

عن حفظه وتثميره» [١]، ولا شك أن المعنى واضح هنا، وأن المراد بالاستثمار طلب حصول نماء المال، وقال الباجي»... المعنى المعتبر في الرشد هو المعرفة بمصالح المال ومنافعه وتثميره والحفظ له، وذلك لا يحصل إلا بمباشرة الناس ومعاملتهم والتصرف معهم» [٢]، بل وفسر ما ورد عن النبي ﷺ من النهي عن إضاعة المال بأنه « يحتمل أن يريد بتضييعه ترك تثميره وحفظه »[٣].

وبناء على ما سبق؛ يمكن القول بأن لفظ التثمير الوارد عند الفقهاء القدامى مساو تماما للفظ الاستثمار المستعمل حديثا، فكل منهما القصد به والهدف منه طلب تنمية المال وتكثيره بوجه مشروع حتى لا تأكله النفقة والصدقة[٤]، ولذا قال النبي ﷺ « ألا من ولى يتيما له مال فليتجر فيه ولا يتركه حتى تأكله الصدقة »[٥]، ورغم عدم وجود تعريف لهذه الكلمة سواء أكانت تثميرا أم استثمارا؛ إلا أن المعنى الذي جاء في اللغة يتطابق مع المعنى الذي ورد في كتب الفقهاء، ومن هنا جاء تعريف الاستثمار في الاقتصاد الإسلامي بأنه توظيف النقود لأجل في أي أصل أو حق ملكية أو ممتلكات أو مشاركات محتفظ بها للمحافظة على المال، أو تنميته سواء بأرباح دورية أو بزيادات في قيمة الأموال أو بمنافع غير عادية[٦]، فهذا التعريف ينظر إلى الاستثمار باعتبار أنه نشاط إنساني إيجابي مستمد من الشريعة الإسلامية[٧].

وقد يعيب هذا التعريف - في رأيي – أنه قصر التوظيف على النقود

(١) أحكام القرآن ٨٩/٢، والمعنى واللفظ نفسه ورد عند حديثه عن تثمير مال اليتيم ٢٩٧/٣، وقريب منه ما جاء في نيل الأوطار للشوكاني ٢٩٤/٥.
(٢) المنتقى ٢٧٣/٣، والمعنى نفسه في ١٩٢/٥، ١٥٥/٦.
(٣) المنتقى ٣١٦/٧.
(٤) ينظر في هذا المعنى: المصارف الإسلامية للدكتور محمود محمد بابللي ص١٠٦.
(٥) رواه الترمذي وقال: وإنما روي هذا الحديث من هذا الوجه وفي إسناده مقال لأن المثنى يضعف هذا الحديث، سنن الترمذي ٣٢/٣، ورواه البيهقي من عدة طرق ورواه أثرا عن عمر ورواه مرسلا، السنن الكبرى ٢/٦ ط مكتبة الباز بمكة المكرمة سنة ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.
(٦) وهو تعريف الموسوعة العلمية والعملية للبنوك الإسلامية ١١/٦، ط اتحاد البنوك الإسلامية عام ١٩٨٢م، وانظر أيضا: د/ إبراهيم مختار، بنوك الاستثمار ص٢٩٥، ط الثانية ١٩٨٧م، مكتبة الأنجلو المصرية.
(٧) د/ إبراهيم مختار، المرجع السابق ص٢٩٥.

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 60 03/04/2023 12:47 PM

فقط، فكأنه جعل المال هي النقود السائلة، في حين أن نظرة الفقه الإسلامي إلى المال أوسع بكثير، فهو يشمل النقود والأشياء عقارات كانت أو منقولات مما يجوز التعامل بها شرعا، ولهذا يمكن تعريف الاستثمار بأنه عبارة عن طلب حصول نماء المال بطريق مشروع بالعمل فيه بنفسه أو دفعه مشاركة أو انتفاعا مع الغير[١]، والله أعلم.

الفرع الثالث: التمويل والتجارة:

التجارة في اللغة مصدر يدل على المهنة، فعله تَجَرَ يَتْجُرُ تَجْراً وتجارة، أي مارس البيع والشراء، وتاجر فلان اشتغل بالتجارة، واتَّجر مارس البيع والشراء، والتاجر اسم فاعل والجمع تِجار – بالكسر والتخفيف – وتجّار بالتشديد، والتاجر هو الذي حرفته التجارة، أو هو الحاذق الماهر وعارف الوجه المكتسب منه، أو هو القائم بعملية البيع والشراء[٢].

وفي الاصطلاح عرفت بتعريفات كثيرة منها ما عرفها به الجصاص بأنها اسم واقع على عقود المعاوضات المقصود بها طلب الأرباح[٣].

وقال الرازي هي التصرف في المال، سواء كان حاضراً أو في الذمة لطلب الربح[٤].

وعرفها ابن خلدون في مقدمته بأنها محاولة الكسب بتنمية المال بشراء السلع بالرخص وبيعها بالغلاء، وهذا القدر النامي يسمى ربحا[٥].

---

(١) وانظر في حكم الاستثمار بحث الاستثمار في الأسهم للدكتور علي محي الدين القره داغي بمجلة المجمع الفقهي الإسلامي، العدد التاسع، السنة السابعة ص٢٤٥.

(٢) لسان العرب لابن منظور مادة تجر ١٩/٢، ط دار إحياء التراث العربي، القاموس المحيط: للفيروز آبادي ٣٧٩/١،، مجمع اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ١٤٥/١، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م، مؤسسة الرسالة بيروت.

(٣) أحكام القرآن ٢٤٥/٢، والتعريف نفسه ذكره الكياالهراسي الشافعي في كتابه أحكام القرآن ٤٣٨/٢ ط الثانية ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م دار الكتب العلمية بيروت.

(٤) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير ٢١/٤، ط الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩٢م، دار الغد العربي بمصر.

(٥) المقدمة لابن خلدون ص٢٧٧، ط دار ابن خلدون بمصر.

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 61 03/04/2023 12:47 PM

فهذه التعريفات وغيرها الكثير[1] اختلفت في الألفاظ والصياغات والتراكيب اللغوية، ولكنها اتفقت في المعنى المقصود من التجارة وهو شراء السلع بقصد بيعها للحصول على الربح أيا ما كانت هذه السلع، عقارات أو منقولات، حاضرة أم غائبة عند من يقول بجواز بيع العين الغائبة.

والتجارة مشروعة في الفقه الإسلامي ودليل مشروعيتها الكتاب والسنة والإجماع.

أما الكتاب:

فآيات كثيرة نصت على التجارة وذكرتها بذاتها في القرآن الكريم ومنها:

١- **قوله تعالى** ﴿وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا﴾[2].

٢- **وقوله تعالى** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾[3].

وجه الدلالة:

فالآيتان السابقتان وما يماثلهما كثير قد بينتا أن التجارة عن تراض مستثناة من المنهي عنه من أكل أموال الناس بالباطل، فدل ذلك على مشروعيتها.

٣- **قوله تعالى** ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾[4].

---

(١) انظر بعض هذه التعريفات في الموسوعة الفقهية الكويتية ١٥١/١٠، معجم المصطلحات الاقتصادية في لغة الفقهاء للدكتور نزيه حماد، ص ٩١، ط الأولى ١٤١٤هـ ١٩٩٣م المعهد العالي للفكر الإسلامي، المعجم الاقتصادي الإسلامي للدكتور أحمد الشرباصي ص ٧١، ط سنة ١٤٠١هـ ١٩٨١م دار الجيل بيروت، قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية للدكتور محمد عمارة ص ١١٤ وما بعدها، ط الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٣م دار الشروق، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية للدكتور محمود عبد الرحمن عبد المنعم ٤٣١/١، ط دار الفضيلة بالقاهرة.

(٢) سورة البقرة من الآية ٢٨٢.

(٣) سورة النساء الآية ٢٩.

(٤) سورة البقرة من الآية ١٩٨.

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 62 03/04/2023 12:47 PM

وجه الدلالة:

ذكر المفسرون في هذه الآية؛ أن المقصود بالابتغاء هنا هو التجارة الحلال، وذلك أن الناس تأثموا من التجارة في موسم الحج، فنزلت هذه الآية لترفع التأثم عنهم وتخبرهم برفع الحرج في التجارة فيه، فدل ذلك على مشروعيتها مطلقا[1]، وما ماثل هذه الآية كثير.

وأما السنة:

فأحاديث كثيرة أيضا منها ما يلي:

١- عن أبي بردة قال: سئل رسول الله ﷺ أي الكسب أطيب أو أفضل ؟ قال: عمل الرجل بيده، وكل بيع مبرور»[2].

٢- عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال ﷺ « التاجر الصدوق الأمين المسلم مع الشهداء يوم القيامة»[3].

٣- عن رفاعة بن رافع أنه خرج مع رسول الله ﷺ إلى البقيع والناس يتبايعون، فنادى يا معشر التجار؛ فاستجابوا له ورفعوا إليه أبصارهم، وقال: إن التجار يبعثون يوم القيامة فجارا إلا من اتقى وبر وصدق»[4].

وجه الدلالة:

فقد وضح من الأحاديث السابقة وغيرها الكثير؛ أن الصحابة كانوا يتاجرون وكان النبي ﷺ يقرهم على ذلك؛ بل كان ﷺ يعمل بالتجارة للسيدة خديجة - رضي الله عنها - قبل بعثته، بل جعل التاجر الصدوق مع الكرام البررة، فدل ذلك دلالة صريحة على مشروعية التجارة في الحلال، وأنها من أطيب أسباب الكسب وأوفرها.

(١) انظر مثلا: أسباب نزول القرآن: للواحدي ص ٦٤ وما بعدها، ط دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، أحكام القرآن للجصاص ٤٢٣/١، مفاتيح الغيب للرازي ١٩٢/٣.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك ١٢/٢، ورواه البيهقي مرسلا عن وائل بن داود، السنن الكبرى ٢٦٣/٥.

(٣) رواه الحاكم وقال: فيه كلثوم بن جوشن القشيري وهذا بصري قليل الحديث ولم يخرجاه، وله شاهد في مراسيل الحسن علي بن محمد بن عقبة الشيباني، المستدرك ٧/٢.

(٤) رواه ابن حبان في صحيحه ٢٧٧/١١ ط الثانية ١٤١٣هـ مؤسسة الرسالة بيروت، ورواه الحاكم وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، المستدرك ٨/٢.

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 63 03/04/2023 12:47 PM

وقد خص المحدثون في كتبهم أبوابا كاملة في التجارة وأحكامها، وأوردوا في ذلك أحاديث عدة عن أحوالها وما ورد عن رسول الله ﷺ فيها[١].

وأما الإجماع: فقد أجمعت الأمة من لدن رسول الله ﷺ حتى يومنا هذا على مشروعية التجارة وأنها أحد أسباب الكسب الطيب ولم يخالف في ذلك أحد، وقد نقل الفقهاء في كتبهم هذا الإجماع[٢].

وعرفت التجارة في المفهوم الاقتصادي بأنها: عملية الوساطة بين المنتج والمستهلك – أي تداول السلع وتوزيع الثروات – دون الإنتاج[٣]، وعرفت أيضا بأنها مبادلة مال بمال على سبيل التراضي[٤]، ولكن بالنظر في هذين التعريفين يظهر أنهما أضيق في مدلولهما عن ذاك الوارد بمعناه في القانون التجاري في البلدين عند الحديث عما يعد من الأعمال تجاريا أو مدنيا، ولذا فإن المعتمد قانونا هو ما ورد من مفهوم لها في القانون التجاري.

الفرق بين التمويل والتجارة في الفقه الإسلامي:

بناء على ما سبق من بيان لمفهومي التمويل والتجارة؛ يظهر أن الفقه الإسلامي لا يعد التمويل تجارة إلا في حال الشراء والبيع بقصد الربح، وهو ما ينطبق على البيع بالتقسيط وبيع المرابحة والمشاركة المتناقصة والإجارة المنتهية بالتمليك، ولكن لا تندرج تحته المزارعة والمساقاة، وهذا يجعل من مفهوم العمل التجاري في الفقه الإسلامي يقتصر على ما ذكر فلا يعتبر العمل تجاريا إلا إذا كان شراء للسلع أو الأشياء؛ عقارات كانت أو منقولات؛ وكان الشراء بقصد بيعها

(١) انظر مثلا: كتاب البيوع للبخاري وما فيه من أبواب كاملة للتجارة، الصحيح ٦٢٨/٢ ط الثالثة ١٤٠٧هـ دار ابن كثير بيروت.

(٢) وقد ذكروا ذلك في استدلالهم على مشروعية البيع لأنه أصل التجارة، انظر مثلا: تبيين الحقائق ٢/٤، المغني لابن قدامة ٣/٤.

(٣) د/ محمود سمير شرقاوي، القانون التجاري ٣/١، ط دار النهضة العربية ١٩٨٢م، ومثله ما جاء في كتاب د/ فايز نعيم رضوان، مبادئ القانون التجاري طبقاً لأحكام قانون التجارة الجديد ص ٣، ط دار النهضة العربية، ط الثانية ٢٠٠٠م – ٢٠٠١م، د/ نادرة محمود سالم، الوجيز في أحكام القانون التجاري ص ٨، ط الثانية د.ت، دار النهضة العربية، د/ أحمد محمد محرز، القانون التجاري ٩/١، بدون دار نشر وطبعة.

(٤) د/ محيي الدين إسماعيل علم الدين، شرح قانون التجارة الجديد ص٥٨ ط المؤلف د.ت.

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 64 03/04/2023 12:47 PM

من أجل الربح، أما الأعمال الخدمية فلا تعد تجارة ولو كانت بقصد الربح وإنما تعد عملا من أعمال الإجارة أو الاستصناع، بخلاف القانون الوضعي الذي ينظر إلى الغرض لا إلى المال المشترى، والهدف من ذلك؛ أن القانون التجاري يسعى لفرض صفة التجارة على الشيء بغرض فرض الضرائب عليه بنسبة معينة؛ بخلاف الأعمال المدنية فنسبتها أقل؛ وقد لا توجد أصلا كما لو اشترى سلعا بقصد الاستهلاك، يضاف إلى ذلك أن الفقه الإسلامي لا يفرق في الأحكام بين العمل المدني والعمل التجاري، فالأحكام التي تطبق على الاثنين واحدة، على خلاف القانون الوضعي الذي يطبق على كل منهما أحكاما مختلفة وخاصة في الإثبات والإفلاس، ولذا خص كلا منهما بقانون خاص، ورغم ذلك فإن الخلاف هنا لا يدخل في نطاق الحلال والحرام ولا مشاحة فيه، فهو أمر تنظيمي بحت بناء على القاعدة الفقهية التي تقول «تصرف الإمام على الرعية منوط بالمصلحة»[1].

وفي الختام ؛ نرجو أن نكون قد استعرضنا نبذة مختصرة غير مخلة عن مفهوم الخدمات التمويلية آملين أن يكون ما قدم مفيدا وإن الحمد لله رب العالمين.

(١) انظر في بيان هذه القاعدة: غمز عيون البصائر للحموي ٣٦٩/١، المنثور في القواعد للزركشي ٣٠٩/١، الأشباه والنظائر للسيوطي ص١٢١، درر الحكام لعلي حيدر ٥٧/١ وما بعدها.

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 65 03/04/2023 12:47 PM

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 66 03/04/2023 12:47 PM



طرق تدريس وإدارة حصص

القرآن الكريم

بقلم الموجهة الأولى

ريـم المتـروك

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 67 03/04/2023 12:47 PM

المقدمة

يسعى المعلم الناجح إلى تطوير وتنمية أدائه في التدريس باستمرار، لذلك فهو يبذل جهده في التخطيط لدرسه ، وصوغ الأهداف ، واختيار الوسائل والأنشطة المناسبة له ، وكذلك اختيار الطريقة التي سيوصل بواسطتها المادة العلمية للمتعلمين ، وهي ما تعرف بطرق التدريس .

تعريف طرق التدريس

ويمكن تعريف طريقة التدريس بعدة تعريفات، ذكرها التربويون في كتبهم نوجزها بأنها: سلسلة من الإجراءات والنشاطات التي يقوم بها المعلم داخل الفصل ، لمساعدة المتعلمين على تحقيق الأهداف المرسومة للمنهج المقرر لهم بأيسر السبل وأقل الوقت والجهد ، وهي عملية تفاعلية بين المعلم والمتعلم .

وتتنوع طرق التدريس حسب أمور، أهمها:

١- الأهداف المرسومة للمنهج .

٢- خصائص المتعلمين .

٣- طبيعة المادة العلمية .

قواعد عامة لطرق التدريس.

وهي قواعد تم استنباطها من القرآن الكريم ، لا بد من معرفتها واتباعها في التدريس ، منها :

١- التدرج من البسيط إلى المركب .

ويهدف منها التبسيط والتسهيل وتفكيك المعاني ، ليسهل على المتعلم فهمها، وقد ورد في القرآن مثل هذا في قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ سورة فصلت

فقد تدرجت الآيات من ذكر ما يشاهده الإنسان كل يوم في عالم النبات ، وهو أمر بسيط مألوف لديه ، ثم يتوصل به إلى قضايا أكثر تركيبا وتعقيدا من

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 68 03/04/2023 12:47 PM

تقرير قضايا التوحيد والقدرة الإلهية والعلم الشامل .

٢- التدرج من المحسوس إلى المعقول . وذلك حتى يسهل على الإنسان فهم الشيء المطلوب فهمه، ولتقريب المعنى له ، وقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ سورة الأعراف

حيث شبه الله سبحانه نزول الماء على الأرض الهامدة ببعث الحياة في الأموات ، وشبه سبحانه قلب المؤمن الذي يقبل هدى الله بالبلد الطيب ، و العكس تماما قلب الكافر .

٣- التدرج من المعلوم إلى المجهول . حيث يتم ربط معلومة جديدة ، هي في الواقع مجهولة بالنسبة للمتعلم ، بذكر معلومة قديمة ، هي معروفة لديه حتى يسهل عليه فهمها ، وقد ورد في القرآن مثل هذا في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾ ﴾

سورة الفيل

ذكر المولى عز وجل قصة أصحاب الفيل وما حل بهم من العذاب وهو أمر معلوم لأهل مكة، وربط ذلك بالعذاب الذي سيقع على الكافرين المكذبين للرسول ﷺ وهو أمر مجهول بالنسبة لديهم .

وفيما يلي الطرق العامة للتدريس :

الطرق العامة للتدريس ، وكيفية تفعيلها في حصة تلاوة القرآن الكريم :

وهي طرق كثيرة ومتنوعة ، من أشهرها : الطريقة الإلقائية ، الطريقة القياسية ، الطريقة الاستقرائية ، طريقة المناقشة ، الطريقة الحوارية ، طريقة حل المشكلات ، طريقة التعلم التعاوني.

ما تعريف كل طريقة بشكل عام ؟

وكيف يمكن استخدامها في حصص تلاوة القرآن الكريم بشكل فعال ومفيد للمتعلمين؟

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 69 03/04/2023 12:47 PM

أولا : الطريقة الإلقائية :

وهي من أقدم وأكثر الأساليب شيوعا في التدريس ، ويقصد بها :

عرض المعلم للمعلومات والمعارف على المتعلمين بأسلوب السرد ، ويغلب على هذه الطريقة الاتصال من جانب واحد وباتجاه واحد ، أي من المعلم ومباشرة إلى المتعلمين .

ويستخدم المعلم صوراً متنوعة من خلال هذه الطريقة ، مثل : المحاضرة والشرح والوصف والقصص.

من إيجابيات هذه الطريقة :

١- عرض قدر كبير من المعلومات والمعارف للمتعلمين .

٢- تناسب الأعداد الكبيرة من المتعلمين في الفصل .

٣- تنمي لدى المتعلمين فن الاستماع والإنصات .

من المآخذ عليها :

١- تتسبب في إرهاق المعلم ، لأن الجهد ملقى عليه طوال الحصة .

٢- تؤدي إلى تسرب الملل إلى المتعلمين وذلك لعدم مشاركتهم في غالب الوقت .

٣- تركز هذه الطريقة على عرض المعلومات ، وتتجاهل الجانب المهاري للدرس .

استخدام طريقة الإلقاء في حصة تلاوة القرآن الكريم .

لا يمكن أبدا إغفال طريقة الإلقاء والمحاضرة في حصة المعلم ، مهما كثرت المآخذ عليها، ويمكن للمعلم تقسيم حصته إلى أجزاء يكون للإلقاء نصيب منها ، وخاصة في حصة التلاوة حيث يمكن أن يبدأ حصته بتمهيد مشوق ، أو يكسر الرتابة في الحصة كفاصل منشط في وسط الحصة ، أو ينهيها بخاتمة فيها نوع من التحفيز والتشويق ، يستحث المتعلمين خلالها على تعلم القرآن وتلاوته واستشعار الأجر من وراء ذلك . وذلك عن طريق :

١- ذكر قصة يرويها من قصص السلف أو الخلف من أهل القرآن .

٢- شرح حديث من الأحاديث النبوية التي وردت في فضل أهل القرآن ، وفضل تعلمه وتعليمه للآخرين.

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 70 03/04/2023 12:47 PM

٣- شرح بعض أحكام التجويد التي ترد في الآيات .

٤- ذكر سبب نزول الآيات .

٥- ربط بسيط بين الآيات وواقع المتعلمين .

ثانيا : الطريقة القياسية :

وهي طريقة تقوم على عرض القاعدة أولا ثم ضرب الأمثلة ، وينتقل فيها من الكل إلى الجزء ، والتدرج من الصعب إلى السهل .

من إيجابيات هذه الطريقة :

١- تساعد المعلم على إنجاز قدر كبير من محتوى المادة العلمية .

٢- تستهلك القليل من الجهد الذهني .

٣- تناسب المادة العلمية التي تحتوي على قواعد وقوانين .

من المآخذ عليها :

١- البدء بذكر الصعب إلى السهل ، وهذا عكس القاعدة الأساسية في التعلم وهو التدرج من السهل إلى الصعب .

٢- تعود المتعلمين على الحفظ وليس الفهم والاستنباط .

٣- تضعف جانب الاعتماد على النفس عند المتعلمين .

استخدام الطريقة القياسية في حصة تلاوة القرآن الكريم .

وتستخدم الطريقة القياسية في حصة تلاوة القرآن الكريم ، عندما يخصص المعلم جزءا من حصته لشرح أحد أحكام التجويد ، وفق الخطوات المتسلسلة كما في المثال التالي :

١- ذكر القاعدة وعرضها مثل : قاعدة إدغام النون الساكنة والتنوين عند حروف (يرملون).

٢- عرض الأمثلة من الآيات ، مثل : من يؤمن ، من وال ، .....

٣- التطبيق على القاعدة قياسا على ما تم عرضه من الأمثلة ، وذلك باستخراج كلمات وأمثلة تنطبق عليها القاعدة .

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 71 03/04/2023 12:47 PM

ثالثا : الطريقة الاستقرائية :

وهي طريقة تقوم على عرض الأمثلة ، ثم مناقشة المتعلم وصولا به إلى استنتاج واستنباط القاعدة ، ثم التدريب عليها .

وهي تنتقل بالمتعلم تدريجيا من السهل إلى الصعب ، ويطلق عليها أحيانا بالطريقة الاستنتاجية أو الطريقة الاستنباطية ، وهي عكس الطريقة القياسية

من إيجابيات هذه الطريقة :

١- تنمي مهارات التفكير العليا لدى المتعلم مثل الاستنتاج والاستقراء .

٢- تتيح مشاركة المتعلم بشكل فعال من خلال جهده في استنباط القاعدة.

٣- تناسب كثيرا المواد العلمية التي تحوي على قواعد وقوانين كاللغة العربية والتجويد .

من المآخذ عليها:

تحتاج وقتا طويلا لتفعيلها وتطبيقها بالشكل الصحيح .

استخدام الطريقة الاستقرائية في حصة تلاوة القرآن الكريم .

ويمكن استخدامها في حصة تلاوة القرآن الكريم عند شرح المعلم لأحد أحكام التجويد المهمة أثناء ورودها عند التلاوة عن طريق الخطوات التالية :

١- تتم قراءة وجه أو وجهين من المصحف .

٢- يجمع المعلم الأمثلة المتشابهة في الحكم التجويدي ، ثم يتم عرضها على المتعلمين .

٣- يحدد موضع التشابه بين الأمثلة التي جمعها بوضع خط أو دائرة عليها .

٤- يناقش المعلم المتعلمين في الأمثلة مع المقارنة والموازنة وصولا إلى القاعدة .

٥- يصوغ القاعدة بالشكل النهائي ويكتبها ، ثم يعرضها على المتعلمين .

٦- يطبق المتعلمون على القاعدة من خلال ذكر أمثلة أخرى .

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 72 03/04/2023 12:47 PM

رابعاً : طريقة المناقشة :

وهي طريقة التدريس التي تعتمد على قيام المعلم بإدارة حوار شفوي خلال الموقف التدريسي، مستندا إلى البنى المعرفية السابقة عند المتعلمين ، بهدف الوصول إلى معارف جديدة.(١)

وهي طريقة جيدة إذا تم فيها صوغ الأسئلة بشكل محدد وفاعل ، وبشكل ملائم للدرس ، ويناسب مستوى المتعلمين .

من إيجابيات هذه الطريقة :

١- تثير الدافعية للتعلم لدى المتعلمين .

٢- يمكن كشف مدى فهم المتعلمين للدرس من خلال المناقشة .

٣- تنمي أسلوب الحوار المنظم والهادف لدى المتعلمين .

من المآخذ عليها :

١- قد تكون سببا لنفور بعض المتعلمين من الحصة ، بسبب إحراجهم عند عدم معرفة الإجابة الصحيحة للسؤال ، لذلك ينبغي على المعلم أن يكون سريع البديهة ، حسن التصرف عند استخدام هذه الطريقة .

٢- قد تبعد المعلم عن العناية بالجانب المهاري والوجداني في تحقيقه لأهداف الدرس .

ويستطيع المعلم في حصة تلاوة القرآن الكريم أن يستخدم المناقشة جزئيا في حصته ، من خلال إلقاء أسئلة حول أحكام التجويد ، وكيفية تطبيقها عمليا بالشكل الصحيح ، خاصة أثناء الاستماع لتلاوة المتعلمين .

خامساً : الطريقة الحوارية :

وهي طريقة تعتمد أساسا على الحوار بين المعلم والمتعلم بهدف الوصول إلى المعلومات والمعارف والحقائق والخبرات .

ولكن لا يمكن أبدا إفرادها كطريقة للتدريس في الحصة ، وإنما يمكن

(١) فن التدريس وطرائقه العامة ص ٢٥٠

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 73 03/04/2023 12:47 PM

اعتبارها طريقة مساندة لطرق التدريس الأخرى ، وجزء لا يتجزأ منها ، فتدمج مع طريقة المناقشة أو طريقة الإلقاء والمحاضرة وغيرها .

ولكي تنجح هذه الطريقة ، لا بد من أمور هي :

١- التخطيط للحوار والتحضير الجيد للمادة العلمية .

٢- تنبيه المتعلمين أن الحوار هو مادة الدرس نفسه .

٣- دعوة المتعلمين للمشاركة في الحوار، لإنجاحه وتفعيله في الحصة .

٤- دمج طريقة الحوار مع طرق التدريس الأخرى .

من إيجابيات هذه الطريقة :

١- تتدرج من المعلوم الخطأ إلى المجهول الصحيح .

٢- تبدأ وتنطلق من المتعلم نفسه وخبراته .

٣- تظهر المشاركة الفعالة من المتعلمين .

٤- تنمي أسلوب الكلام والحوار لدى المتعلمين .

٥- تنمي الثقة بالنفس .

من المآخذ عليها :

١-قد تقوم على فرضية خطأ المعلومات لدى المتعلمين ، وهذا ليس بالضرورة أن يكون صحيحا .

٢- قد تتسبب في نفور المتعلمين الذين يميلون إلى الاستماع أكثر من المشاركة في الحوار .

استخدام الطريقة الحوارية في حصة تلاوة القرآن الكريم .

يستطيع المعلم في حصة التلاوة والقرآن استخدام الحوار بشكل طبيعي ومستمر في حصته لأن المتعلم للقرآن غالبا ما تكون معرفته بالقراءة الصحيحة محدودة وبسيطة لذلك يستطيع المعلم تحقيق الهدف المرجو منه في الحصة من

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 74 03/04/2023 12:47 PM

خلال الحوار واكتشاف الخطأ أثناء التلاوة ثم العمل على تصحيحه .

سادساً : طريقة حل المشكلات :

وهي طريقة تعتمد على التفكير العلمي في حل المشكلات ، حيث تقوم على أساس معالجة مشكلة هي من صميم المادة العلمية في الدرس .

ويتشارك المتعلمون في استكشاف الحقائق ، لإيجاد حل لها بتوجيه وإشراف من المعلم .

ما ينبغي مراعاته في طريقة حل المشكلات :

١- أن تكون مرتبطة بالمتعلم حتى تستأثر على اهتمامه لحلها .

٢- بيان كيفية نشوء وتحديد نوع المشكلة .

٣- التأكد من معرفة حلها وتوصيل الحل للمتعلم .

الخطوات المتبعة لحل المشكلة :

١- الشعور بالمشكلة، وذلك بإثارة الحيرة والقلق عند المتعلمين للشعور بالمشكلة .

٢- تحديد المشكلة، وذلك بحصرها حتى لا تتشعب فيصعب حلها .

٣- افتراض الحلول للمشكلة من خلال استعراض واقتراح الحلول من المتعلمين أنفسهم .

٤- تحقيق الفروض (الحلول المقترحة) ، وذلك عن طريق تجربة واختبار صحة الفروض التي تم الوصول إليها ، للتأكد من صحتها حتى تتحول إلى حقائق .

٥- تقويم صحة الفروض ويكون هذا بعد إزالة المشكلة فيثبت صحة الفرض المناسب للحل.

من إيجابيات هذه الطريقة :

١- إشراك المتعلم إيجابيا في تحديد المشكلة ، ومحاولة إيجاد حلول لها .

٢- تنمية جانب البحث العلمي لدى المتعلم ، وتشجيعه على التعامل مع المصادر الرئيسية والمراجع من خلال البحث في المكتبات والمعاجم .

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 75 03/04/2023 12:47 PM

٣- تنمية التعلم الذاتي عند المتعلم .

٤- تدريب المتعلم على أساليب التفكير في الوصول إلى الحل وتنميته .

من المآخذ عليها :

١- تحتاج وقتا طويلا قد لا تكفي حصة واحدة للوصول إلى نتيجة مرضية .

٢-لا تصلح لبعض مستويات المتعلمين ، مثل الصفوف الأولى أو صفوف التمهيدي، وذلك لأنها تحتاج مستويات عليا من التفكير والتحليل .

٣- قد يصعب الحصول على المصادر والمراجع اللازمة لحل المشكلة .

استخدام طريقة حل المشكلات في حصة تلاوة القرآن الكريم .

يستطيع المعلم تطبيق هذه الطريقة في حصة تلاوة القرآن الكريم في عدة دروس مثل درس مخارج الحروف ، كما في المثال التالي :

١- عندما يخطئ المتعلمون في إخراج حرف وإبداله بحرف قريب منه، مثل حرفي الضاد والظاء ، يستطيع المتعلمون اعتبار هذه مشكلة،

٢- يطلب المعلم افتراض حلول مناسبة لتصحيح هذا الخطأ أو هذه المشكلة .

٣- يقوم المتعلمون بتوجيه من المعلم بالتفكير، ثم بافتراض حلول خاصة بمخرج الحرف أو صفاته وتجريب الإتيان بها صحيحة واختبارها فرضاً فرضاً أو حلاً حلاً .

٤-يتم اختيار الحل المناسب ثم التثبت منه حتى يعتمد كحل سليم ودائم لحل هذه المشكلة، يستطيع المتعلمون التفريق بين الحرفين في النطق السليم بينهما دون مشكلة أو عائق في المستقبل.

سابعاً : طريقة التعلم التعاوني (الجمعي) :

وتقوم هذه الطريقة على التعلم من خلال مجموعات صغيرة، يتم التعاون بين أفرادها بفاعلية ، حتى يتم تحقيق الهدف التعليمي المنشود .

ويتم التعلم التعاوني وفق مبادئ أساسية هي :

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 76 03/04/2023 12:47 PM

١-أن تكون المشاركة كاملة من جميع أفراد المجموعة الواحدة، ويشتركون في النجاح والفشل.

٢-يجب التأكد من تعلم جميع الأفراد ، وكل فرد يتحمل مسؤولية تعليم نفسه ، ويمكن تقديم المساعدة لمن يحتاجها .

٣-لا بد من التأكيد على التعزيز والتشجيع خاصة بعد إنجاز المهمة بإتقان .

٤- الحرص على تقويم الأفراد وذلك بسؤال كل فرد عن المستوى الذي وصل إليه، وهل هو بحاجة لتقديم المساعدة إليه أو لا .

٥- التأكيد على التدرب على مهارات الاتصال بين المجموعة بفعالية ، وبث روح الثقة والتحلي بالصبر لحين الانتهاء من المهمة الموكلة إليهم .

من إيجابيات هذه الطريقة :

١- تعزيز مفهوم التعاون بين المتعلمين .

٢- تنمية مهارات التواصل فيما بينهم .

٣- التجديد وتجنب التعلم بالطرق التقليدية .

من المآخذ عليها :

١- تحتاج وقتا وجهدا طويلين من المعلم والمتعلمين .

٢- قد تفشل عند وجود بعض الأنماط الصعبة من المتعلمين .

يمكن للمعلم استخدام طريقة التعلم التعاوني أو الجمعي في حصص التلاوة بشكل كبير وفعال، وذلك عند تلقين المعلم الآيات لكل مجموعة وقيام المجموعات بالترديد الجماعي بعد تلاوة المعلم، وكذلك عند طلب المعلم من كل مجموعة استخراج الأحكام التجويدية من وجه من المصحف، وعمل مسابقة حول الأسرع فيهم والأقل أخطاء.

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 77 03/04/2023 12:47 PM

الخلاصة

من كل ما سبق ذكره من أساليب وطرق مختلفة ومتنوعة في التدريس، يستطيع معلم القرآن أن ينوع في حصته ، ويضفي عليها عنصر التشويق والجذب والحيوية ، كما يستطيع أن يمزج بين طريقتين أو أكثر لتقديم حصة تلاوة ناجحة وفاعلة للمتعلمين .

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 78 03/04/2023 12:47 PM



مدخل إلى
أخلاق المهنة في الإسلام

بقلم الموجه الفني العام

د. مشعل الحداري

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 79 03/04/2023 12:47 PM

مقدمة

مع تطور الحياة وتنامي شدة وطأتها على الناس، تمس الحاجة إلى صياغة ما يقرره الشرع المطهر، ويقتضيه البحث العلمي، وتتفق عليه العقول الرشيدة، وما يستجد من حاجة الأفراد والجماعات إلى قوانين أدبية تحفظ لهم جودة المهن والعمل، لاسيما مع حاجة المجتمعات العربية والإسلامية إلى نقل الخبرات من الجيل السابق إلى الجيل اللاحق، أو من شعب إلى شعب آخر، ومن منظمة فعّالة إلى منظمة ناشئة، مما يحوجها في كثير من الأحيان إلى مواثيق مهنية تصل بها إلى بر الأمان، ثم إلى التميز.

ولا سبيل إلى ذلك إلا بتطبيق الجودة المتكاملة، والتي أسها الأخلاق المهنية؛ التي تستمد أصولها من ديننا الحنيف بشكل رئيس، والوقوف على معالم ومكانة هذه الأخلاقيات في ضوء الآيات القرآنية الصريحة، والأحاديث النبوية الصحيحة، والتي تمثل العمود الفقري للإسلام.

من هنا جاءت الحاجة لهذا المدخل؛ ولأن الناس في احتياج متجدد لموضوعها، مع تسارع الحياة، وتحول الاهتمام إلى طلب معرفة التفاصيل الدقيقة؛ وللإيمان بدورها الحيوي في تطبيق الجودة الشاملة المنشودة والتي ستكون عونًا للأفراد والعاملين على تحقيق الاستقرار، والتكامل، والتميز، للمجتمع بأسره.

■ مفاهيم ومصطلحات:

من الأهمية بيان المراد بالمفاهيم التي قام عليها المدخل، وهي ألفاظ: الأخلاق، والمهنة.

■ مفهوم الأخلاق:

الخُلُق لغة: يأتي بمعنى السَّجيَّة، والطبع، والمروءة، والدِّين [١].

واصطلاحًا: هي «صفة مستقرة في النفس، فطرية أو مكتسبة، ذات آثار في السلوك، محمودة أو مذمومة» [٢].

(١) القاموس المحيط، الفيروزآبادي، ص١١٣٧. مادة: خلق، الرسالة- بيروت، ط: ٨/ ١٤٢٦هـ.
(٢) الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن الميداني، ١/٧-٨، دار القلم- دمشق، ط: ١/ ١٣٩٩هـ.

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 80 03/04/2023 12:47 PM

والأخلاق تحتكم للشرع أولاً، ثم للعرف ثانيًا، ومنه ما تتعارف عليه بعض المنظمات، ونحوها.

تعريف أخلاق العمل:

حدد بعض علماء السلوك المراد بأخلاق العمل بأنه المبادئ التي تعدّ أساسًا للسلوك المطلوب لأفراد المهنة، والمعايير التي تعتمد عليها المنظمة في تقييم أدائهم إيجاباً وسلبًا.

«فلكل مهنة من المهن قيم، ومبادئ، ومعايير أخلاقية، ومعرفة علمية، وأساليب ومهارات فنية، تحكم عمليات المهنة، وتحدد ضوابطها. وللمهنة مجالات متعددة ووظائف معينة، وقد تتداخل مجالات المهنة، ووظيفتها، ومادتها العلمية، ومهاراتها، وأساليبها الفنية مع مهن أخرى، وتعد دراسة فلكسنر عام١٩١٥م أقدم دراسة في مجال المهن، وقد توصلت إلى معايير عدة، منها: أن يكون للمهنة قواعد أخلاقية تحكم عملياتها» [١].

والمهنة لغة: تأتي بمعنى الحذق بالخدمة، والعمل[٢]

وهذا يلفت النظر إلى أن صاحب المهنة ينبغي أن يكون ملمًا بمهنته، ومتقنًا لها [٣].

واصطلاحا: هي مجموعة من الأعمال تتطلب مهارات معينة يؤديها الفرد من خلال ممارسات تدريبية [٤].

الأخلاق في الكتاب والسنة

ليس من السهل الكلام عن الأخلاق في القرآن الكريم أو السنة النبوية في مثل هذه العجالة، وذلك للعناية الفائقة التي أولاها القرآن الكريم للأخلاق[٥].

(١) انظر: أخلاقيات الإدارة في الوظيفة العامة، ص٤٢. عن أخلاقيات المهنة في الإسلام وتطبيقاتها في أنظمة المملكة العربية السعودية، د. عصام الحميدان، ص٢٢، العبيكان- الرياض، ط: ١/ ١٤٣١هـ.

(٢) القاموس المحيط، ص١٢٣٦، مادة: مهن.

(٣) انظر: المعجم الوسيط، ٢/ ٨٩٠، مادة: مَهَن. محمد النجار وآخرون، ط: مجمع اللغة العربية- مصر.

(٤) أخلاقيات المهنة، الحميدان، ص٤٧.

(٥) قام جمع من الباحثين ببيان الأخلاق في القرآن الكريم من أبرزهم د. محمد عبد الله دراز في كتابه دستور الأخلاق في القرآن الكريم، وهي رسالته الدكتوراه المقدمة إلى جامعة السربون باللغة الفرنسية، والتي ترجمها إلى اللغة العربية د. عبد الصبور شاهين، وطبعتها مؤسسة الرسالة في بيروت عدة طبعات.

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 81 03/04/2023 12:47 PM

وقد ذكر الله-تبارك وتعالى- الخُلق نصًا في القرآن الكريم بمعنى السجية والطبع، وما يجرى عليه المرء من عادة لازمة في موضعين، الأول منهما سيق مساق الذم لقائله، وهو قوله تعالى: ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ الشعراء: ١٣٧، والثاني سيق مساق المدح للنبي ﷺ، وهو قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ القلم: ٤.

والمستعرض للتصنيف الموضوعي للقرآن الكريم يجد فيه أكثر من مائة آية تتحدث عن المهنة والعمل، منها:

قوله سبحانه على لسان موسى عليه السلام: ﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ يوسف: ٥٥، وقوله سبحانه على لسان ابنة صاحب موسى عليه السلام: ﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴾ القصص: ٢٦، وقوله سبحانه: ﴿ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ المزمّل: ٢٠.

والاهتمام بأخلاق المهنة ينطلق من مفهوم قول الله سبحانه: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ النحل: ٨٩، فالقرآن الكريم بيَّن ما يحتاجه الناس في حياتهم، وهذا يدلّ على ضرورة ربط العمل بمبادئ الإسلام، لأن مبادئ الإسلام جاءت بما فيه صلاح الخلق في معاشهم ومعادهم.

■ وتتضح مكانة الأخلاق في الإسلام من خلال عدة أمور:

الأول: كثرة النصوص الواردة فيها في الكتاب والسنة:

ففي القرآن الكريم أكثر من (٣٠٠) آية تتحدث عن الفضائل الخُلقية صراحةً[1]، هذا سوى الآيات الكريمة التي تعرضت للأخلاق في ثنايا القصص القرآنية، والأحكام الشرعية.

مثل قوله تعالى في قصة موسى عليه السلام: ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ (القصص: ٢٤)، وهو ابتداء خلق الإحسان إلى الناس بلا مقابل مادي.

(١) انظر: تفصيل آيات القرآن الحكيم، لجول لابوم، ص٣٨٥-٤٤٥، دار الفكر- بيروت. ودستور الأخلاق في القرآن، لمحمد عبدالله دراز، ص٦٩١-٧٧٨. الرسالة- بيروت، ط: ١٠/ ١٤١٨هـ.

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 82 03/04/2023 12:47 PM

وقوله سبحانه في قصة يوسف عليه السلام: ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ (يوسف: ٩٢)، وهو خلق العفو. وغير ذلك كثير. وفي السنة الشريفة أكثر من (٢٠٠٠) حديث في الفضائل الخُلقية[١].

الثاني: المنزلة العظيمة التي جعلت لها في ميزان الإسلام:

حيث مدح بها النبي ﷺ في قوله سبحانه ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ القلم: ٤. وأُمر بها المؤمنون في القرآن الكريم، فالأخلاق الحسنة مأمورٌ بها، والأخلاق السيئة منهيٌّ عنها، وأمثلة ذلك كثيرة، منها قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ﴾ النساء: ٥٨، وقوله سبحانه: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ الأنعام: ١٥٢. وجعل النبي ﷺ أعلى درجة في الجنة لمن حَسُن خُلقه[٢]، وبيَّن ﷺ أن رسالته جاءت لتكمِّل مكارم الأخلاق، فقال: (إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلَاقِ)[٣]، وهذا الحصر في قوله (إنما) تأكيد على مكانة الأخلاق في الإسلام. وأوضح ﷺ أن (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خُلُقاً)[٤]. وبيَّن ﷺ أن (أثقل شيء في ميزان المؤمن يوم القيامة حسن الخلق)[٥].

الثالث: جعل الشارع الكريم الأخلاق هدفاً من أهداف أركان الإسلام العبادية:

فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، قال تعالى: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ

---

(١) انظر: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، للمتقي الهندي، ٣/٣-٤٤٠. الرسالة- بيروت، ط: ٥/ ١٤٠١هـ.

(٢) أخرجه أبو داود، السنن، ٤/ ٢٥٣، ح٤٨٠٠، دار الكتاب العربي- بيروت، وغيره. وحسنه الألباني، صحيح أبي داود، ح٤٨٠٠، المعارف- الرياض، ط: ٢/ ١٤٢١هـ.

(٣) أخرجه أحمد، المسند، ٥١٢/١٤، ح٨٩٥٢. ت: شعيب الأرنؤوط، الرسالة- بيروت، ط: ٢/ ١٤٢٠هـ. وصححه الألباني، صحيح الجامع، ح٤١١٤. المكتب الإسلامي- بيروت، ط: ٣/ ١٤٠٨هـ.

(٤) أخرجه الترمذي، الجامع، ٢/ ٤٥٧، ح١١٦٢. ت: د. بشار عواد، دار الغرب- بيروت، ط: ١/ ١٩٩٨م. وغيره، وقال: «حسن صحيح». ووافقه الألباني، صحيح الترمذي، ح١١٦٢. مكتب التربية العربي- الرياض، ط: ١/ ١٤٠٨هـ.

(٥) أخرجه البخاري، الأدب المفرد، ص١٦٤، ح٤٦٤. دار البشائر الإسلامية- بيروت، ط: ٣/ ١٤٠٩هـ. وغيره. وصححه الألباني، صحيح الأدب المفرد، ح٤٦٤، دار الصديق- الطائف، ط: ١/ ١٤٢١هـ.

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 83 03/04/2023 12:47 PM

ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾العنكبوت: ٤٥.

والزكاة تطهِّر النفس من الشحّ والكبر، قال تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ التوبة: ١٠٣.

والصيام يعصم المسلم من لغو الحديث كما قال رسول الله ﷺ : (من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه)[1].

والحجّ يربي المسلم على ترك الجدال والأخلاق الرذيلة، قال تعالى: ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ البقرة:١٩٧.

الرابع: الوعيد الشديد لمن ترك شيئاً منها:

وعلى سبيل المثال جعل القرآن الكريم البخيل مبغوضاً لله في قوله سبحانه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ النساء: ٣٦، ومن يسعى في نشر الفاحشة ليفسد أخلاق المؤمنين له عذاب أليم ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾النور: ١٩، وخائن الأمانة مبغوضاً لله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴾ النساء: ١٠٧، وغير ذلك.

وفي السنة النبوية جعل النبي ﷺ الخلق السيئ علامة على النفاق كما في قوله: (آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان)[2] ، وشهد على المرأة التي تؤذي جيرانها بأنها في النار، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلَاتِهَا ، وَصِيَامِهَا ، وَصَدَقَتِهَا ، غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا ، قَالَ : (هِيَ فِي النَّارِ)[3].

(١) أخرجه البخاري، الصحيح، ٢/ ٦٧٣، ح١٨٠٤. ت: د. مصطفى البغا، دار ابن كثير- بيروت، ط: ١/ ١٤٠٧هـ.

(٢) أخرجه البخاري، الصحيح، ١/ ٢١، ح ٣٣. ومسلم، الصحيح، ١/ ٧٨، ح١٠٧، ت: محمد عبد الباقي، دار إحياء التراث- بيروت.

(٣) أخرجه أحمد، المسند، ح٩٦٧٥. وحسنه محققوه.

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 84 03/04/2023 12:47 PM

الخامس: اهتمام علماء الشريعة بها:

فقد اهتم علماء الشريعة بالأخلاق منذ العصر الأول الهجري، حين كانوا يحرصون على الالتزام بالأخلاق الإسلامية ويحثون الناس على الالتزام بها.

كما جاء عن أبي بكر الصدِّيق ﷺ أنه كان يحلب للحي أغنامهم، فلما ولي الخلافة قالت جارية منهم: الآن لا يحلب لنا منايح الغنم. فسمعها أبوبكر، فقال: بلى لعمري لأحلبنها لكم[1].

المؤلفات الإسلامية في الأخلاق

اهتمام علماء الإسلام بالأخلاق من خلال الكتب التي ألفوها في الأخلاق الإسلامية، ككتب الأخلاق عموماً، والكتب التي ألفت في خلق معيَّن، أو لفئات معينة.

■ **أولا: من المؤلفات في الأخلاق الإسلامية عموما:**

وفيما يلي ذكر بعض الكتب المطبوعة التي ألفت في الأخلاق حسب تواريخ وفيات مؤلفيها:

١) رسالة المسترشدين، للحارث المحاسبي (ت٢٤٣هـ).

٢) الأدب المفرد، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ).

٣) مكارم الأخلاق، لأبي بكر عبد الله بن محمد، ابن أبي الدنيا (ت٢٨١هـ).

٤) مكارم الأخلاق ومعاليها، للخرائطي (ت٣٢٧هـ).

٥) مساوئ الأخلاق، للخرائطي (ت٣٢٧هـ).

٦) مكارم الأخلاق، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت٣٦٠هـ).

٧) أخلاق النبي ﷺ وآدابه، لأبي الشيخ الأصبهاني (ت٣٦٩هـ).

٨) تهذيب الأخلاق، لابن مسكويه (ت٤٢١هـ).

٩) الأخلاق، للراغب الأصفهاني (ت٤٢٥هـ).

١٠) أدب الدنيا والدين، للماوردي (ت٤٥٠هـ)، وغيرها الكثير.

(١) تاريخ دمشق، ابن عساكر، ٣٢٤/٣٠. ت: علي شيري، دار الفكر- بيروت، ط: ١/ ١٤١٩هـ.

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 85 03/04/2023 12:47 PM

■ ثانيا: من الكتب التي أُلِّفت في أخلاق مخصوصة:

١) الكرم والجود وسخاء النفوس، لأبي جعفر محمد بن الحسين البرجلاني (ت٢٣٨هـ).

٢) البر والصلة، لأبي عبد الله الحسين بن الحسن المروزي (ت٢٤٦هـ).

٣) الورع، لأبي بكر أحمد بن محمد المروزي(ت٢٧٥هـ).

٤) التواضع والخمول، والصمت وحفظ اللسان، ومداراة الناس، والحلم، وقضاء الحوائج، والورع، وذم البغي، ومحاسبة النفس، .. جميعها لأبي بكر عبد الله بن محمد، ابن أبي الدنيا(ت٢٨١هـ).

٥) المروءة، لأبي بكر محمد بن خلف المرزبان (ت٣٠٩هـ).

٦) القناعة، لأبي بكر أحمد بن محمد ابن السني(ت٣٦٤هـ).

٧) البر والصلة، لابن الجوزي (ت٥٩٧هـ).

٨) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، لابن القيم(ت٧٥١هـ).

وغير ذلك من المؤلفات.

■ ثالثا : من الكتب التي أُلِّفت في أخلاق فئة معينة:

وهي كثيرة تخصصية عما سبق ومنها:

١) الإخوان، لأبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا (ت٢٨١هـ).

٢) أخلاق الطبيب، للرازي (ت٣٢٠هـ).

٣) أخلاق أهل القرآن، لأبي بكر محمد بن الحسين الآجري (ت٣٦٠هـ).

٤) التوبيخ والتنبيه (في حقوق الأخوة) ، لأبي الشيخ عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان (ت٣٦٩هـ).

٥) آداب الصحبة، لأبي عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي (ت٤١٢هـ).

٦) الأحكام السلطانية، وتسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك وسياسة الملك، كلاهما للماوردي (ت٤٥٠هـ).

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 86 03/04/2023 12:47 PM

٧) التبر المسبوك في نصيحة الملوك، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي (ت٥٠٥هـ).

٨) الأحكام السلطانية، للقاضي أبي يعلى الحنبلي (ت٥٢٧هـ).

٩) أداب الفتوى والمفتي والمستفتي، لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦ هـ).

١٠) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ).

هذه نماذج من الكتب التراثية، أما الكتب الحديثة في الموضوع فهي كثيرة جدًا، وكل ذلك يدل على أهمية موضوع الأخلاق ومكانته عند المسلمين.

أسس الأخلاق الوظيفية في الإسلام

من خلال العرض السابق للأخلاق الإسلامية في ضوء نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية، يمكن تحديد بعض أسس الأخلاق الوظيفية في الإسلام كالتالي:

١- الأمانة

وهو من الأخلاق بل والصفات المرتبطة بمسمى الإيمان، ومن الأسس المتينة التي يقوم عليها خلق الأمانة قول الحق تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾ النساء: ٥٨. فأخبر سبحانه وتعالى أنه يأمر بأداء الأمانات-على اختلاف أنواعها- إلى أهلها.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ الأنفال: ٢٧.

ويقصد بالأمانة أيضا: الطاعة، والفرائض، والدين، والحدود، وحفظ المواثيق، وغير ذلك.

وأثنى الله على المحافظين على الأمانة بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ﴾ المؤمنون: ٨. قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا اؤتمنوا لم يخونوا، بل يؤدونها إلى

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 87 03/04/2023 12:47 PM

أهلها، وإذا عاهدوا أو عاقدوا أوفوا بذلك، لا كصفات المنافقين الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: (آية المنافق ثلاث: إذا حَدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان)[١].[٢]

وجعل من علامات الساعة اضاعتها، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِذَا ضُيِّعَتْ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ). قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: (إِذَا أُسْنِدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ)[٣].

٢ - العدل

اهتم القرآن الكريم بإعطاء العدل والعادلين أهمية كبيرة، وتمثل هذا الاهتمام بالأمر بالعدل والحث عليه، والثناء على العادلين، و بيان جزاء العدل عند الله-تبارك وتعالى- ، في صور متعددة ومتنوعة. قال الله تعالى على لسان رسوله ﷺ: ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ الشورى: ١٥ . فقرن سبحانه الأمر بالإيمان بالكتب السماوية مع الأمر بالعدل لعظم مكانته.وقال رسول الله ﷺ : (سبعة يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله)[٤]. وذكر في مقدمتهم: (إمام عادل) ، مما يؤكد على أهمية العدل، والتنكير يفيد دخول كل من تولى ولاية عامة أو خاصة، حتى شمل ذلك المرأة في بيت زوجها، والخادم في بيت سيده، والأجير والموظف في وظيفته.

ومن جزاء العادلين الوارد على لسان رسول الله ﷺ قوله: (إن المقسطين عند الله على منابر من نور، عن يمين الرحمن-وكلتا يديه يمين- ، الذين يعدلون في حكمهم وأهلهم وما ولوا)[٥].

فعلى الموظف أن يكون قدوة في العدل، وأن يعدل بينهم بحسب ما تقتضيه أخلاقيات ومسؤوليات مهنته.

(١) أخرجه البخاري، الصحيح، ٢١/١ ، ح٣٣. ومسلم، الصحيح، ٧٨/١، ح١٠٧.
(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٣٦٤/٥، ت: د. يوسف المرعشلي، دار المعرفة- بيروت.
(٣) أخرجه البخاري، الصحيح، ٢٣٨٣/٥. ح٦١٣١.
(٤) أخرجه البخاري، الصحيح، ٥١٧/٢ ، ح١٣٥٧. ومسلم، الصحيح، ٧١٥/٢، ح١٠٣١.
(٥) أخرجه مسلم، الصحيح، ١٤٥٨/٣، ح١٨٢٧.

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 88 03/04/2023 12:47 PM

٣ - القوة والإتقان

أمر الله ﷻ المكلفين بالاستعداد المعنوي والمادي للقيام بمهام ومقتضيات التكليف، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ البقرة: ٦٣ أي: بقوة وحزم وهمة وامتثال.

ومن الأخذ بقوة: إتقان العمل، وعدم الإهمال، أو التفريط في أداء الواجبات.

وفي هذا يقول رسول الله ﷺ : (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه)[١].

ومن صور الإتقان في حق الموظف: أن يتابع كل ما هو جديد في تخصصه؛ لتكمل جودة عمله، وأن يكون مطلعا على أصول مراجع ومصادر تخصصه، وأن يستفيد من خبرات من سبقه وزملائه.

٤ - المحاسبة والمراقبة الذاتية

قال الله تعالى آمرا عبادة بالمحاسبة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ الحشر: ١٨.

قال ابن كثير: «قوله: ﴿ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾ أي: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وانظروا ماذا ادخرتم لأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم معادكم وعرضكم على ربكم، ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ تأكيد ثان، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ أي: اعلموا أنه عالم بجميع أعمالكم وأحوالكم، لا تخفى عليه منكم خافية، ولا يغيب عنه من أموركم جليل ولا حقير»[٢].

وقال ﷻ مبينا أن الحساب في الآخرة يشمل أعمال السمع والبصر والفؤاد: ﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ الإسراء: ٣٦ .

قال ابن قيم الجوزية رحمه الله: «فإذا كان العبد مسئولاً ومحاسبًا على كل شيء، حتى على سمعه وبصره وقلبه .. فهو حقيق أن يحاسب نفسه قبل أن يناقش

---

(١) أخرجه أبو يعلى، المسند، ٣٤٧/٧. ح٤٣٨٦، ت: حسين أسد، دار المأمون- دمشق، ط:١/١٤٠٤هـ. وصحح المتن الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ١٠٦/٣، المعارف- الرياض ، ط: ١/ ١٤٠٧هـ.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٧٧/٨.

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 89 03/04/2023 12:47 PM

الحساب»[1]. وقال جل وعلا: ﴿ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾ القيامة: ٢ . قال الحسن البصري: «لا يُلقى المؤمن إلا يعاتب نفسه، ماذا أردت بكلمتي، ماذا أردت بأكلتي، ماذا أردت بشربتي، والعاجز يمضي قدمًا، لا يعاتب نفسه»[2].

٥ - حسن الخلق والمعاملة

قال الله ﷻ: ﴿ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ ﴾ البقرة: ١٩ ، وقال الله تعالى آمرا نبيه ﷺ ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ الأعراف: ١٩٩ ، وقال رسول الله ﷺ : إِنَّ الرَّجُلَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ الْخُلُقِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ)[3] ، وقال أيضا ﷺ : (مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ)[4]، وقال : (خيركم من يرجى خيره ويؤمن شره، وشركم من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره)[5] ، وقال : (إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم، ولكن يسعهم منكم بسط الوجه، وحسن الخلق)[6]، وسئل عبد الله بن المبارك رحمه الله عن حسن الخلق، فقال: «هو بسط الوجه، وبذل المعروف، وكف الأذى»[7]، فعلى الموظف أن يكون بشوش الوجه، مبادرا لخدمة الناس كافة ونصحهم، وأن لا يصدر منه ما يؤذيهم.

٦ - التواضع

قال رسول الله ﷺ : (ما تواضع أحد لله إلا رفعه الله ﷻ)[8].

وقال عز وجل عن المتكبرين :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ

(١) إغاثة اللهفان، ابن قيم الجوزية، ١/ ٨٤. دار المعرفة- بيروت، ط: ٢/ ١٣٩٥هـ.
(٢) محاسبة النفس، ابن أبي الدنيا، ص٢٤، رقم٤، ت: مصطفى علي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط: ١/ ١٤٠٦هـ.
(٣) أخرجه أحمد، المسند، ٤١/ ٤٧٠. ح٢٥٠١٣. وغيره. وصححه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٤٢١/٢.
(٤) أخرجه أبو داود، السنن، ٤/ ٤٠٠. ح٤٨٠١. وصححه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٥٦٣/٢.
(٥) أخرجه أحمد الترمذي، الجامع، ٤/ ٩٨. ح٢٢٦٣. وصححه الألباني، صحيح الترمذي، ٢٦٣/٥.
(٦) أخرجه أبو يعلى، المسند، ١١/ ٤٢٨. ح٦٥٥٠. وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٩/٣، رقم٢٦٦١ : «حسن لغيره».
(٧) أخرجه الترمذي، الجامع، ٣/ ٤٣١. رقم٢٠٠٥.
(٨) أخرجه مسلم، الصحيح، ٤/ ٢٠٠١. ح٢٥٨٨.

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 90 03/04/2023 12:47 PM

﴿هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ غافر: ٥٦ ، وقال رسول الله ﷺ : (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر). فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا. قال : (إن الله تعالى جميل يحب الجمال. الكبر: بطر الحق، وغمط الناس[١]

إن الكبر الذي قرن مع الشرك، والذي لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة منه، إنما هو الكبر على الحق ورفضه بعد تبينه، والطعن في الناس الأبرياء بغير حق. فليحذر المسلم أن يتصف بشيء من مثل هذا الكبر كما يحذر أن يتصف بشيء من الشرك الذي يخلد صاحبه في النار.

فعلى الموظف أن يكون متواضعا لله أولا حتى يوفقه ويصوب عمله، كما عليه أن يكون قريبا من الناس-لا سيما من يحتاج إليه- ، سهل المنفعة والإفادة.

٧ - الرِّفق والتودد

قال الله تعالى :﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ آل عمران: ١٥٩. وهذه الآية تبين صفات الأنبياء كقدوة ليقتدي بهم، وتوضح خطر الغلظة والشدة، وقال النبي ﷺ : (ما كان الرفق في شيء إلا زانه، وما نزع من شيء إلا شانه[٢]، وقال أيضا ﷺ : (ألا أخبركم بمن يحرم على النار أو بمن تحرم عليه النار؟ على كل قريب هين سهل)[٣]. قال الحسن البصري رحمه الله: (التودد إلى الناس نصف العقل)[٤]. فعلى الموظف أن يكون رفيقا ودودا مع الناس لتأخذ مشورته طريقها إلى قلوبهم قبل عقولهم بإذن الله تعالى.

---

(١) أخرجه مسلم، الصحيح، ٩٣/١. ح١٤٧.

(٢) أخرجه أبو داود، السنن، ٣/٣، ٢٤٧٨. وغيره. وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٤٤/٢. ح٥٢٤.

(٣) أخرجه الترمذي، الجامع، ٢٣٥/٤،ح٢٤٨٨. وغيره. وصححه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٦٤٩/٢. ح٩٣٨.

(٤) الإخوان، ابن أبي الدنيا، ١٩٢/١. رقم١٣٩ ت: مصطفى عطا، دار الكتب العلمية- بيروت، ط:١/ ١٤٠٩هـ.

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 91 03/04/2023 12:47 PM

٨ - الحلم

قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ الشورى: ٣٧. فالغضب إذا كظم يصير حلمًا، وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال لأشج عبد القيس: (إن فيك لخصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة[١]. فعلم من هذا أن الله-تبارك وتعالى- يحب الحلم والأناة، ويبغض الغضب والاستعجال من غير سبب وجيه. وقال رسول الله ﷺ : (إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَإِنَّمَا الْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ)[٢]. فعلى الموظف أن يتحلى بالحلم، وأن يتحراه في كل أمر، وأن يجاهد نفسه فيه إن ثقل عليه؛ لأنه يمكن أن يحصل بشيء من الدربة والتعلم.

مصادر الأخلاق، وعلاقة الأخلاقيات بالإسلام.

يحدد بعض الباحثين مصادر الأخلاق[٣] بما يلي:

١ - العرف. ٢ - الضمير. ٣ - المنفعة. ٤ - العقل. ٥ - التشريعات الوضعية. وغير ذلك.

وعلى كل مصدر من هذه المصادر مناقشات واعتراضات إذا قلنا أنها يمكن أن تستقل بمصدريتها-كلها أو أحدها- للأخلاق .

أما إمكانية الاستفادة منها بما لا يتعارض مع الإسلام فلا حرج فيه، وكذلك علاقتها ببعض الصور التي يكون مبدأها سببه أحد هذه المصادر، إن توفرت له النية الشرعية.

ولكون الأخلاق داخلة في مسمى العمل في الإسلام فهي داخلة فيما يحاسب ويكافأ عليه المكلف عند الله تعالى.

---

(١) أخرجه مسلم، الصحيح، ١/٤٦. ح٢٥.

(٢) أخرجه الطبراني، المعجم الكبير، ١٤/ ٣٩٤. ت: حمدي السلفي، ط: ٢/ ١٤٠٤هـ، ابن تيمية- مصر، وغيره. وحسنه الألباني، صحيح الجامع، ح٢٣٢٨.

(٣) أخلاقيات المهنة، د. محمد البيومي، ص٣٥. وانظر: أخلاقيات الوظيفة العامة، د. عبد القادر الشيخلي، ص١٩، مجدلاوي- عمان، ط: ٢/ ١٤٢٣هـ.

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 92 03/04/2023 12:47 PM

وللأخلاقيات الإسلامية مميزات هي[١]:

١- الإلزام الذاتي: ويقصد به «القوة التي لها سلطان على الإنسان، وما يصدر عنه من أفعال، وبموجبها يمكن الحكم على الأشياء بالخير أو الشر»[٢] ، فإذا انعدم هذا المعنى انعدمت المسئولية، وإذا انعدمت المسئولية انعدمت العدالة.

٢ - تعدد الرقابة: لحصول الرقابة الذاتية: بناء على وجود الإيمان، والقانونية: بناء على امتثاله لحكم الله في الدنيا والآخرة، والشعبية: ولوجود الشعور العام بالمسئولية.

٣ - اقتران الحقوق بالواجبات: فكل حق يقابله أداء واجب سواء كان لله تعالى كالشكر، أو للمجتمع، أو لأسرة الفرد، أو له نفسه.

٤ - الشمول: فهي شاملة لجميع المصالح الدنيوية والأخروية، وشاملة للعلاقة بين الإنسان وربه، وبين الإنسان ونفسه، وبين الإنسان والكائنات الأخرى.

٥ - الواقعية: فهي لا تكلف بغير الممكن، قال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ البقرة: ٢٨٦.

٦ - الصلاحية الدائمة: فهي صالحة لكل زمان ومكان.

٧ - الإيجابية: لأن منافعها حاصلة للفرد ومتعدية للمجتمع، بل البشرية جمعاء.

٨ - مطابقة الظاهر للباطن: فالإسلام يؤكد على كون الظاهر مصدق للباطن.

٩ - المسئولية: لانطباق تعريف المسئولية على نتائج وأخلاقيات الإسلام، فالمسئولية هي «حالة للمرء يكون فيها أهلا للحكم عليه أو على عمله بالخيرية أو الشرية»[٣].

١٠ - اشتماله على الجزاء: لأن الجزاء هو «الإثابة على عمل الخير، والعقوبة

---

(١) انظر: موسوعة الأخلاق الإسلامية، موقع الدرر السنية، على هذا الرابط: http://www.dorar.net/enc/akhlaq/17

(٢) مباحث في فلسفة الأخلاق، محمد موسى، ص١٦٢، بتصرف، دار الكتاب العربي، ط: ١/ ١٣٢٦هـ.

(٣) دراسات في التصوف والأخلاق، ص٢٨، عن البيومي، ص٣٥.

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 93 03/04/2023 12:47 PM

على الشر»[1]، وهذا متوافر في الإسلام.

ويمكن أن نضيف :

١١ - وحدة التشريع: فالمشرع الحكيم هو الذي يصدر الأحكام ويأذن بها، بخلاف التشريعات الوضعية التي يتعدد فيها المشرعون، وبالتالي تختلف مداركهم، ولذلك نجدها تأخذ من بعضها البعض، مع وجود الفارق الزمني، فما يهتدي له الأول يأخذ وقتا زمنيا حتى يقتنع به الثاني، وهكذا.

المهنة في الكتاب والسنة

حث القرآن الكريم على العمل وإتقان ما يحتاج إليه من حرف ومهن في غير ما موضع منه، ومن ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ الملك: ١٥.

فبين الله تبارك وتعالى أنه خلق الأرض ليسعى فيها العباد وينتفعوا بها - ومنه الأكل من الرزق -، وهذا الأمر يحتاج إلى دربة وخبرة لا تحصل إلا بالطلب الجاد. ونحوه قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ الجمعة:١٠. وقال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ التوبة: ١٠٥، وهذه الآية وإن كانت في حق المتخلفين عن الجهاد إلا أنها تشمل كل عمل ينبغي أن يفعله المسلم، ومنه المهن العامة التي يحتاجها المجتمع، والخاصة التي يستفيد منها المرء لوحده.

أما السنة النبوية فقد تظاهرت نصوصها على بيان مكانة العمل والمهنة فيها، مع الحث عليها.

فعن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ﷺ قَالَ غَدَوْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ لِيُحَنِّكَهُ، فَوَافَيْتُهُ فِي يَدِهِ الْمِيسَمُ يَسِمُ إِبِلَ الصَّدَقَةِ[2].

فهذا يدل على مُبَاشَرَةُ رسول الله لأَعْمَالِ الْمِهْنَةِ، وَتَرْكُ الاستنابة فِيهَا لِلرَّغْبَةِ

(١) التربية الأخلاقية، ص٢١٤، د.إبراهيم ناصر، دار وائل- عمان، ط: ١/ ٢٠٠٦م

(٢) أخرجه البخاري، الصحيح، ٢/٥٤٦. ح١٤٣١. ومسلم في الصحيح، ٣/١٦٧٤. ح٢١١٩.

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 94 03/04/2023 12:47 PM

في زيادة الأجر، والتواضع . وَعَنْ الأَسْوَدِ بْنِ يَزِيدَ قال: سَأَلْتُ عَائِشَةَ رضي الله عنها مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصْنَعُ فِي الْبَيْتِ قَالَتْ كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِه، فَإِذَا سَمِعَ الأَذَانَ خَرَجَ[1]. وفسرت ذلك بقولها في رواية أخرى: «مَا كَانَ إلا بَشَرًا مِنْ الْبَشَرِ: يُفَلِّي ثَوْبه، وَيَحْلُبُ شَاتَه، وَيَخْدُم نَفْسه»[2]. وفي رواية: «يَخِيطُ ثَوْبَهُ، وَيَخْصِفُ نَعْلَهُ»[3]، وفي أخرى: «وَيَرْقَعُ دَلْوَهُ»[4].

المؤلفات في المهنة

جاءت السنة ببيان أن كل وظيفةٍ مباحة يعمل فيها العامل المسلم بنيةٍ صالحة لبناء مجتمعٍ إسلامي، أو خدمة المسلمين؛ فإنه يحرث للآخرة، سواء كانت الوظيفة شرعيةً، أو علمية، أو صناعية، أو إدارية، أو تربوية، أو غيرها، قال رسول الله ﷺ : (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئٍ ما نوى)[5].

وهذا الشمول أحد الركائز الأساسية للعقيدة الإسلامية، والحضارة الإسلامية.

وكان نوح عليه السلام نجاراً يأكل من كسبه، وإدريس عليه السلام كان خياطاً، وإبراهيم -عليه السلام- كان بزازاً، وداود عليه السلام كان يأكل من كسبه، وسليمان صلوات الله عليه كان يصنع المكاتل من الخوص فيأكل من ذلك، وزكريا عليه السلام كان نجاراً، وعيسى عليه السلام كان يأكل من غزل أمه[6].

وجاءت السنة النبوية كتطبيقٍ عمليٍّ لأخلاق العمل، حيث كان النبي الكريم ﷺ يعمل في شبابه راعيًا للغنم على قراريط لأهل مكة -وبيَّن أن كلَّ الأنبياء عليهم السلام قد رعوا الغنم، وعمل لخديجة رضي الله عنها قبل نبوّته في التجارة، فنجحت تجارتها وبورك فيها، وعرضت نفسها عليه وقالت: يا ابن عم، إني قد رغبت فيك لقرابتك وسطتك في قومك، وأمانتك، وحسن خلقك، وصدق حديثك.

---

(١) أخرجه البخاري، الصحيح، ٢٠٥٢/٥. ح٥٠٤٨.

(٢) أخرجه أحمد، المسند، ٤٣/. ح٢٦١٩٤.

(٣) أخرجها أحمد، المسند، ٢٨٩/٤٣. ح٢٦٢٣٩.

(٤) أخرجها ابن حبان، الصحيح، ٤٩٠/١٢، ح٥٦٧٦. ت: شعيب الأرنؤوط وآخرين، الرسالة- بيروت، ط: ٢ / ١٤١٤هـ. وصحح إسناده محققوه.

(٥) أخرجه البخاري، الصحيح، ٣/١، ح١. ومسلم، الصحيح، ١٥١٥/٣. ح١٩٠٧.

(٦) انظر: الكسب، لمحمد بن الحسن لشيباني، ص٣٥-٣٦. ت: سهيل زكار، دمشق، ط: ١/ ١٤٠٠هـ.

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 95 03/04/2023 12:47 PM

قال ابن قيم الجوزية: «إن النبي ﷺ باع واشترى، وشراؤه أكثر، وآجر واستأجر وإيجاره أكثر، وضارب وشارك، ووكل وتوكل وتوكيله أكثر، وأهدى وأهدي له، ووهب واستوهب، واستدان واستعار، وضمن عامّاً وخاصّاً، ووقف وشفع، فقبل تارة وردّ أخرى»[١].

كذلك حثّ النبي ﷺ على العمل، وبيَّن أنه خير الكسب (ما أكل أحدٌ طعاماً خيراً له من عمل يده)[٢]. بل عدّه من الجهاد في سبيل الله (إن كان خرج يسعى على ولده صغاراً فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفّها فهو في سبيل الله، وإن كان خرج رياءً ومفاخرةً فهو في سبيل الشيطان)[٣].

وفسَّر الإمام أحمد قوله ﷺ (لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما ترزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً)[٤] بقوله: «فيه ما يدل على الطلب، لا القعود»[٥].

ففي كل ما تقدم ردٌّ على من زعم أن الاتجار ينافي التوكل، وأجمع العلماء على مشروعية التكسُّب.

وقد صنّف بعض العلماء في طريقته ﷺ في الحكم، وما كان يمارسه من المهام بنفسه، وما كان يفوِّض فيه الآخرين، وأنواع العَمالات والوظائف التي كانت في عهده، ومن تولاها من الصحابة[٦].

(١) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن قيم الجوزية، ١/١٥٤. ت: شعيب الأرنؤوط وزميله، الرسالة - بيروت، ط: ١٤/ ١٤٠٧هـ.

(٢) أخرجه البخاري، الصحيح، ٢/٧٣٠. ح١٩٦٦.

(٣) أخرجه الطبراني، المعجم الكبير، ١٤/١٢٨. وصححه الألباني في صحيح الجامع، ح١٤٢٨.

(٤) أخرجه الترمذي، الجامع، ٤/١٥١. ح٢٣٤٤. وقال : «حسن صحيح» . وابن ماجه في السنن، ٢/١٣٩٤، ح٤١٦٤. وصححه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ح٣١٠، المعارف- الرياض.

(٥) التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدينة الإسلامية في المدينة المنورة العلية، محمد عبد الحي الكتاني، ٢/٣، دار الكتاب العربي- بيروت.

(٦) منها: تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله ﷺ من الحرف والصنائع و العمالات الشرعية، لأبي الحسن الخزاعي التلمساني(ت٧٨٩هـ)، من مطبوعات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر. ومن الكتب القديمة في الوظائف والمهن: الأخطار والمراتب والصناعات، للجاحظ، ومدح التجار، له أيضاً، والإشارة إلى محاسن التجارة، لجعفر الدمشقي، والصناع من الفقهاء والمحدثين، لمحمد بن إسحاق الهروي.

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 96 03/04/2023 12:47 PM

الوظائف في صدر الإسلام :

من الوظائف التي كان يشغلها بعض الصحابة-رضوان الله عليهم-بتكليفٍ من النبي ﷺ :

- التعليم: قام به مصعب بن عمير، ومعاذ بن جبل، وعمرو بن حزم رضي الله عنهم .
- القضاء: قام به علي بن أبي طالب، ومعاذ بن جبل رضي الله عنهم.
- الأذان: قام به بلال بن رباح، وابن أم مكتوم، وأبو محذورة رضي الله عنهم .
- أخذ الجزية: قام به أبو عبيدة بن الجراح ﷺ.
- أخذ الصدقات: قام به جماعة كثيرون منهم عمر بن الخطاب، ومعاذ بن جبل، وعدي بن حاتم رضي الله عنهم .

واختلاف أنواع الوظائف بين الصحابة رضي الله عنهم لا يدلّ على أفضلية بعضها على بعض، بل كلٌّ منهم على ثغرة، فلو عمل كل الصحابة في التعليم لما وجد الناس من يبيع لهم الثياب لستر العورات، أو يبري لهم النبال للجهاد، أو يصنع لهم السرُج للإنارة!

إن الوظيفة لا تقدِّس صاحبها، وإنما ترفعه وتضعه نيته وقصده فيما بينه وبين الله تعالى.

وكان الصحابة رضي الله عنهم بعد النبي ﷺ يعملون في الوظائف المختلفة، وكذا الأئمة من بعدهم دون نكيرٍ منهم، مما يدلّ على إجماعهم على مشروعية العمل والوظيفة[1]:

ففي التجارة: كان يعمل أبوبكر الصدِّيق، وعمر بن الخطاب، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وخديجة بنت خويلد، وسعيد بن عائذ، وأبو معلق الأنصاري، وحاطب بن أبي بلتعة، وزيد بن أرقم، والبراء بن عازب رضي الله عنهم.

وفي بيع الثياب (البزَّاز): كان يعمل عثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله، وسويد ابن قيس العبدي، وعبدالرحمن ابن عوف رضي الله عنهم.

(١) المصادر السابقة. وانظر أيضاً: الكسب، الشيباني، ص١٤. وأخلاقيات المهنة، الحميدان، ص١١-٢١.

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 97 03/04/2023 12:47 PM

وفي نسج الخوص: كان يعمل سلمان الفارسي ﷺ حتى وهو أمير في المدائن، وغير ذلك مما يذكر في تراجمهم.

علاقة القيم بالأخلاق

القِيَم لغة:

القيمة-بالكسر- واحدة القيم، وتقويم السلعة بيان قيمتها [١]. وقيَّم الشيء تقييما: قدر قيمته.

ويقولون: عقد نفيس، أو ذو قيمة عالية؛ لأن القيم في اللغة هو المستقيم، ومنه قوله تعالى: ﴿ فِيهِ وَإِذَآ أَظَلَمَ ﴾ البينة :٣ أي: مستقيمة تبين الحق من الباطل[٢].

القِيَم اصطلاحاً:

تعددت المعاني الاصطلاحية للقيم بتعدد مجالات استخدامها في النشاطات الإنسانية، وإن كل معنى من هذه المعاني يتخذ خاصية المعيار للمجال الذي استخدم فيه وهكذا ظهرت نظرية القيم أو علم القيم (Axiology). ويُعزى ظهور هذا المفهوم إلى الفيلسوف الألماني «نيتشه» وتنحصر مهمة هذه النظرية في القيام بتحليل طبيعة القيم وأنواعها ومعاييرها وتُعتبر وثيقة الصلة بكثير من العلوم ومنها «الأخلاق»[٣].

القيم من منظور إسلامي:

القيم في الفكر الإسلامي تختلف عن غيرها في الفلسفات السابقة فهي ليست من نتاج الفكر البشري، وإنما تعتمد في أساسها على القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، كما أن القيم في الإسلام تنزع إلى الشمول، فالدين الإسلامي لم يأت خاصًا بأمة دون أخرى بل هو للناس كافة، أما ميدان تطبيقه فهو شامل في قواعده

(١) مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الراغب الأصفهاني، ص٣٩٦، مادة: قَوَم، ت: صفوان داوودي، دار العلم- دمشق، ط:١٤٢١هـ.

(٢) معجم الأخطاء الشائعة، محمد العدناني: ص٢١٢، مكتبة لبنان، ط: ١٩٨٣م.

(٣) انظر نظريات: أرسطو٣٢٢م، وكانت١٩٦٥م، وفينكس١٩٦٥م في أخلاقيات المهنة، الحميدان، ص٧٢-٨٢.

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 98 03/04/2023 12:47 PM

وتشريعاته جميع نواحي الحياة الدنيا والآخرة، وقد كونت مبادئ الإسلام وقيمه نظامًا اجتماعيًا له قيمه ومعاييره والتي تمثلت في العلم، والعمل، والتقوى، والعدل. فقيمة العمل تأتي في مقدمة القيم، ولم تكن مكانتها أقل من قيمة العلم وإنما هي مرتبطة بها. أما قيمة التقوى فهي تمثل ركيزة أساسية لقيمة العمل، والتقوى بمنزلة المعيار الذي يُقاس العمل به، وهي ترمز في الشريعة الإسلامية إلى صون الإنسان نفسه من القيام بأفعال يجب المعاقبة عليها، أوترك أفعال يُعاقب على تركها. أما قيمة العدل في الإسلام فذات مضمون اجتماعي، ويضع المفكرون من المسلمين قيمة العدل على رأس قائمة المبادئ، وقيمة العدل تطبق على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع[1].

والقيم في الإسلام هي فضائل خلقية، وهي المعيار لسلوك أفراد المجتمع عامة وأرباب المهن خاصة، فالدين الإسلامي بمنزلة المعيار الذي على أساسه تُحدد قيمة أخلاقية العمل، فجميع المسلمين تقوّم أعمالهم في إطار غايات وأهداف الدين الإسلامي الحنيف، والمسلم الحق ذو أخلاق إسلامية، يخشى الله ويلتزم بالقيم التي حث عليها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة»[2].

علاقة الأخلاق بالمهنة

بما أن المهنة عمل يؤديه الموظف أو العامل لزبائنه أو أرباب عمله فهو يحتاج إلى سلوك ينظم العلاقة بين هذه الأطراف بما يخدمهم كأفراد أو جماعات أو منظمات.

وسلوك الإنسان ليس وليد الموقف، بل هو رصيد تراكمي لمجموعة من الخبرات والعوامل التي أفرزته بما يتناسب مع أهدافه.

---

(١) أخلاقيات المهنة، الحميدان، ص٢٩.

(٢) أخلاقيات العمل في القطاعين الحكومي والأهلي، ورقة مقدمة للدورة المنعقدة في معهد الإدارة العامة في المملكة العربية السعودية، الرياض، يوم الثلاثاء، ٦٢٤١/١/٠٢هـ، الموافق ٥٠٠٢/٣/١م، بعنوان: أخلاقيات مهنة التعليم وسبل تعزيزها في نظام التعليم السعودي، د. حمدان أحمد الغامدي، و د. خالد بن عبد الله بن دهيش، عن أخلاقيات المهنة، الحميدان، ص٩٢.

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 99 03/04/2023 12:47 PM

أما الأخلاق المهنية فهي المبادئ والمعايير التي تعتبر أساساً لسلوك أفراد المهنة المستحبة والتي يتعهد أفراد المهنة بالتزامها[1].

ولذلك تهدف أخلاقيات المهنة إلى:

١ - تحديد ما هو الصواب، وما هو الخطأ.

٢ - تحديد ما يجب أن يكون عليه سلوك المعني في هذا إطار هذه المعايير.

٣ - ضمان تصرف المهني بشكل موضوعي ونزيه وغير متحيز بعيدا عن المصلحة الشخصية الذاتية على حساب الآخرين.

٤ - تساعد في محاسبة المهنيين عندما ينحرف أو يخل أحدهم عن هذه الحدود الأخلاقية[2].

(١) دراسات في قوانين المهنة وآدابها لبدران وحرسة، ص٩٤-٩٥. دار صفاء- عمان، ط: ١/ ٢٠٠٠م، عن التربية الأخلاقية، ص٨٥.

(٢) التربية الأخلاقية، ص٨٧.

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 100 03/04/2023 12:47 PM



نبذة عن

القواعد الفقهية

بقلم

د. سعود ذعار شعيب المطيري

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 101 03/04/2023 12:47 PM

المطلب الأول: تعريف القواعد الفقهية لغةً واصطلاحًا

الفرع الأول: مفردات القاعدة:

القواعد لغةً[1]: هي جمع قاعدة، مأخوذة من القعود، وهو في الأصل نقيض القيام والجلوس. والقاعدة: أصل الأُسّ، والقواعد الأسس، فقاعدة كل شيء أساسه، ومنه قواعد البيت، ومن هذا المعنى قول الله(ﷻ): ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾[2]. وقوله ﷻ: ﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾[3].

ومنه: قواعد الهودج؛ أي: خشابات أربع معترضة في أسفله تركب عيدان الهودج فيه، وقواعد السحاب: أصولها المعترضة في آفاق السماء، شبهت بقواعد البناء. وتأتي القواعد بمعنى الثبات والاستقرار، ومن ذلك: المُقعد، وهو المريض الذي لا يقدر على القيام، سمى بذلك لقراره بالأرض، ومنه: قعيدة الرجل: وهي امرأته القاعدة في بيته؛ سميت بذلك لكثرة قرارها في البيت، قال الله (ﷻ): ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾[4].

---

(١) انظر: ابن منظور؛ محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري: لسان العرب. دار صادر، بيروت، الطبعة: الأولى سنة ١٩٩٧، ٣/ ٣٥٧ -٣٦١

- الفيروز آباد؛ محمد بن يعقوب. القاموس المحيط. مادة (قعد)،تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي. دار الرسالة، بيروت، بدون تاريخ، ١/ ٣٤٠

- ابن فارس؛ أحمد بن فارس بن زكريا، أبو الحسين. معجم مقاييس اللغة. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. دار الفكر، سنة ١٩٧٩م،ص: ١٠٨ - ١٠٩، مادة:(قعد).

- الزَّبيدي؛ محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني: تاج العروس من جواهر القاموس. تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، بدون تاريخ. ص١٩٥

(٢) سورة البقرة، آية: ١٢٧

(٣) سورة النحل، آية: ٢٦

(٤) سورة النور، آية: ٦٠

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 102 03/04/2023 12:47 PM

الفرع الثاني: القاعدة في الاصطلاح العام:

هي قضية كلية منطبقة على جميع جزئياتها[١].

القضية: قول يحتمل الصدق والكذب لذاته [٢].

كلية: أي القضية المحكوم على جميع أفراد موضوعها.[٣]

منطبقة: أي تجزأ وتعمل على فروعها.

الفرع الثالث: في تعريف الفقه والقواعد الفقهية.

قبل أن نعرف القواعد الفقهية اصطلاحًا لا بد أن نعرف الفقه لغة واصطلاحًا، وما المقصود بفقه الأسرة.

الفقه لغة: الفهم، قال الله ﷻ عن قوم (شعيب): ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ﴾[٤]؛ أي: ما نفهم كثيرًا مما تقول [٥] .

الفقه اصطلاحًا: العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية[٦] .

(١) انظر: الجرجاني؛ علي بن محمد بن علي: التعريفات. تحقيق: إبراهيم الأبياري. دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٥هـ، ص١٨٨
- أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي. المكتبة العلمية، بيروت، بدون تاريخ، ص ٤١٦
- ابن النجار؛ محمد بن أحمد بن عبد العزيز: شرح الكوكب المنير. تحقيق: محمد الزحيلي. مكتبة العبيكان، سنة ١٩٩٣م، ج١، ص ٤٥، ٤٤

(٢) التعريفات للجرجاني١٧٦.

(٣) حاشية العطار على شرح جمع الجوامع١/٣١ انظر: القاموس المحيط، ص١٢٥٠؛ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، ص٣٩٠؛ التعريفات، ص ١٨٥؛ المدخل الى الشريعة والفقه الإسلامي للدكتور عمر الأشقر، ص٣١، مادة: (فقه).

(٤) سورة هود، آية: ٩١

(٥) ابن كثير؛ إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، ت ٧٧٤هـ: تفسير القرآن العظيم. تحقيق: سامي بن محمد السلامة. دار طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٩م، ٢/ ٤٣٩

(٦) انظر: الإسنوي؛ عبد الرحيم بن الحسن. غاية السول في شرح منهاج الوصول الى علم الأصول. تحقيق: شعبان محمد إسماعيل. دار ابن حزم، ١/ ١٦
- الثعالبي؛ محمد بن الحسن: الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي. تحقيق: شعبان محمد إسماعيل. دار ابن حزم، سنة ١٩٩٩، ص ٦١
- الباحثين؛ يعقوب بن عبد الوهاب: القواعد الفقهية. مكتبة الرشد، سنة ١٩٩٨م، ص ٣٨.
- المدخل الى الشريعة والفقه الإسلامي، ص٣١.

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 103 03/04/2023 12:47 PM

شرح التعريف:

العلم لغة: نقيض الجهل، وعلمت الشيء علما إذا عرفته[١].

العلم اصطلاحا : هو الادراك الجازم المطابق للواقع.[٢]

الأحكام: جمع حكم، والحكم لغة القضاء والمنع.[٣]

الحكم اصطلاحا: إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه.[٤]

وهذا قيد أول يشمل الأحكام التكليفية والوضعية، ومخرج لما ليس حكم، كالذوات والصفات والأفعال.[٥]

الشرعية: قيد ثان في التعريف، لإخراج الأحكام غير الشرعية كالعقلية والعادية[٦]

العملية: قيد ثالث، لإخراج الشرعية غير العملية، وهي الأحكام الاعتقادية.[٧]

من أدلتها: أي أدلة الأحكام، وهذا قيد رابع لإخراج ما علم من غير دليل، كعلم المقلد الذي لم يجتهد في تحصيل الأدلة الشرعية.[٨]

التفصيلية: وهذا قيد أخير لإخراج الأدلة الإجمالية ، فالبحث فيها من شأن علم أصول الفقه لا الفقه.[٩]

والمراد بفقه الأسرة: هو فقه الأحكام المتعلقة بكتاب النكاح والطلاق والظهار والرضاع والإيلاء واللعان والعدد والنفقات والحضانة.[١٠]

القواعد اصطلاحًا: اختلفت عبارات العلماء في تعريفات القاعدة بناءً على اختلافهم في مفهومها: هل هي قضية كلية أو أغلبية، وسبب الخلاف: نابع من

---

(١) لسان العرب ٤١٧/١٢، والقاموس المحيط١٤٧١.مادة:(علم)

(٢) التعريفات للجرجاني١٥٥،شرح الكوكب المنير١/٦٠.

(٣) القاموس المحيط١٤١٥،مادة:(حكم).

(٤) مذكرة الأصول للشنقيطي٢٨.

(٥) القواعد والضوابط الفقهية عند ابن تيمية في فقه الأسرة للصواط١/٨٢.

(٦) الأصول من علم الأصول مع شرحه كلاهما لابن عثيمين٢٩.

(٧) المرجع السابق.

(٨) نهاية السول للأسنوي١/٢٩.

(٩) الأصول من علم الأصول وشرحه٣١.

(١٠) القواعد والضوابط الفقهية عند ابن تيمية في فقه الأسرة١/٩. بتصرف يسير.

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 104 03/04/2023 12:47 PM

نظرتهم للقاعدة الفقهية، فمن لحظ أصل القاعدة ووضعها اللغوي وصفها بالكلية، ومن نظر إلى القاعدة باعتبار وجود مستثنيات خارجة عنها وصفها بالأغلبية[١].

والراجح: هو أن القاعدة كلية لما يلي:

١- أن القول بكلية القاعدة الفقهية قول معتضد بالأصل ،لما تقرر من القاعدة في الاصطلاح العام قضية كلية.

٢- أن تخلف بعض الجزئيات عن القاعدة الكلية لا يخرجها عن كونها كلية، لما علم في الشريعة من أن الغالب الأكثري معتبر اعتبار الكلي المطرد[٢]

- هو أبو عبدالله محمد بن أبي بكر الدمشقي المشهور بابن قيم الجوزية، ولد في مدينة دمشق سنة ٦٩١هـ، وتوفي سنة ٧٥١هـ، من مؤلفاته: مدارج السالكين، وزاد المعاد.

٣- أن الملتفت إليه في كلية القاعدة الفقهية هو العموم العادي الاستقرائي الذي لا يقدح في كليته بعض الجزئيات، لا العموم العقلي الذي يمنع فيه تخلف فرد من أفراده، إذ أن هذا التخلف يعتبر قادحاً في كليته. [٣]

فمن هذه التعريفات:

- هي حكم كلي ينطبق على جميع جزئياتها؛ لتعرف أحكامه منه[٤] ..

- هي الأمر الكلي المنطبق على الجزئيات لتعرف أحكامها منها[٥] .

- هي الأمر الكلي الذي ينطبق عليه جزئيات كثيرة يفهم أحكامها منها[٦] .

- هي أصول فقهية كلية في نصوص موجزة دستورية تتضمن أحكامًا تشريعيةً عامةً في الحوادث التي تدخل تحت موضوعها[٧] .

(١) القواعد والضوابط الفقهية عند ابن تيمية في فقه الأسرة١/٨٨.
(٢) النظريات الفقهية لمحمد الزحيلي١٩٩.
(٣) موسوعة القواعد الفقهية للبورنو١/٢٣ــ٢٤.
(٤) مختصر من قواعد العلائي وكلام الأسنوي لنور الدين محمود الحموي ١/ ٦٤
(٥) الضياء اللامع شرح جمع الجوامع لأحمد بن عبد الرحمن القروي المالكي ١/١٢٢
(٦) انظر: الأشباه والنظائر للسبكي، ج١، ص ١١؛ شرح الكوكب المنير، ١/ ٣٠
(٧) المدخل الفقهي العام لمصطفى الزرقا فقره ٥٥٦

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 105 03/04/2023 12:47 PM

- هي حكم أكثري لا كلي، ينطبق على أكثر جزئياته لتعرف أحكامها منه[١].

هذه بعض تعاريف العلماء للقاعدة الفقهية، فبعضهم جعلها كلية، والبعض الآخر جعلها أغلبية.

التعريف المختار: هو أن القاعدة حكم كلي ينطبق على جزئيات كثيرة يفهم أحكامها منها[٢]، حكم: أي اثبات أمر لأمر أو نفيه عنه.

تفهم أحكامها منه: أي تفهم أحكام الجزئيات من ذلك الحكم الكلي، والحكم الكلي يعني الشامل، والشمول أمر نسبي؛ فقد يكون لجميع الأفراد دون استثناء، وقد يكون لأغلبها فيكون الحكم للأغلب[٣].

المطلب الثاني: الفرق بين القواعد الفقهية والضوابط الفقهية

قبل أن نعرف الفرق بينهما لا بد أن نعرَّف الضابط الفقهي؛ حتى يظهر الأمر جليًا؛ إذ الحكم على الشيء فرع عن تصوره.

الفرع الأول: الضابط لغةً: اسم فاعل من الضبط، وهو لزوم الشيء وحبسه، ويطلق على حفظ الشيء بحزم، يقال: ضبط ضبطًا وضباطةً، إذا حفظه بالحزم[٤].

الفرع الثاني: اصطلاحًا: قضية كلية فقهية تنطبق على فروع كثيرة من باب واحد[٥].

الفرع الثالث: الفرق بين القواعد الفقهية والضوابط الفقهية فيما يلي:

أولاً: القاعدة تجمع فروعًا فقهية كثيرة من أبواب شتى، كقاعدة: اليقين لا يزول بالشك، فإنه يندرج تحتها فروع كثيرة من أبواب شتى؛ كالطهارة والصلاة

(١) غمز عيون البصائر شرح الأشباه والنظائر للحموي، ١/ ٥١

(٢) إسماعيل علوان، الدكتور: القواعد الفقهية الخمس الكبرى. دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٠هـ، ص٢٠

(٣) القواعد الفقهية الخمس الكبرى، ص ٢٠

(٤) انظر: - الجوهري؛ إسماعيل بن حماد: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، سنة ١٩٨٧م، ٣/ ١١٣٩
- معجم مقاييس اللغة، ٣/ ٣٨٦؛ لسان العرب، ٧/ ٣٤٠؛ القاموس المحيط، ص٨٧٢

(٥) انظر: - الأشباه والنظائر للسبكي ١/ ١١؛ القواعد الفقهية للباحسين، ص ٥٨-٦٧
- ابن نجيم؛ زين الدين بن إبراهيم الحنفي: الأشباه والنظائر. دار الكتب العلمية، سنة ١٩٨٥م، ص١٣٧

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 106 03/04/2023 12:47 PM

والحج وغيرها، بينما الضابط يجمع فروعًا من باب واحد فحسب، كقولهم: الرهن أمانة في يد المرتهن غير مضمون، فإنه ضابط فقهي يختص بباب الرهن ولا يخرج عنه، فالقاعدة أعم وأشمل من حيث جمع الفروع وشمول المعاني، والضابط أخص وأضيق[١].

ثانيًا: أن القاعدة الفقهية أكثر شذوذًا من الضابط الفقهي؛ لأن الضابط يضبط موضوعًا واحدًا، فلا يسمح فيه بشذوذ كثير[٢].

ثالثًا: أن القاعدة الفقهية غالبًا ما تكون محل اتفاق بين المذاهب الفقهية –من حيث الجملة– وإن اختلفوا في بعض فروعها، أما الضابط الفقهي فكثيرًا ما يختص بمذهب معيَّن، بل قد يكون وجهة نظر لقضية واحدة في مذهب معين، يخالف فيه فقهاء آخرون من نفس المذهب[٣].

المطلب الثالث: الفرق بين القواعد الفقهية والقواعد الأصولية

تقدم فيما سبق معنى القواعد الفقهية، وقبل أن نعرف الفرق بينها وبين القواعد الأصولية لا بد أن نعرف علم أصول الفقه والقواعد الأصولية.

الفرع الأول: تعريف علم أصول الفقه: وهو العلم بالقواعد التي يتوصل بها إلى استنباط الأحكام الشرعية الفرعية من أدلتها التفصيلية[٤].

الفرع الثاني: تعريف القواعد الأصولية: هي قضية كلية يتوصل بها إلى استنباط الأحكام الشرعية الفرعية من أدلتها التفصيلية، ومثالها: الأمر بعد الحظر يفيد

(١) انظر:= المقري؛ أبو عبدالله محمد بن محمد بن أحمد: القواعد. تحقيق: أحمد بن عبدالله بن حميد. جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية، المملكة العربية السعودية، بدون تاريخ. ١/ ٢١٢
– السيوطي؛ جلال الدين عبد الرحمن: الأشباه والنظائر. دار الكتاب العربي، سنة ١٩٩٣م، ١/٩.
– الأشباه والنظائر لابن نجيم، ص ١٣٧؛ الأشباه والنظائر للسبكي، ١/ ١١
– الندوي؛ علي أحمد: القواعد الفقهية. دار القلم، دمشق، الطبعة الخامسة، سنة ٢٠٠٠، ص ص ٤٦-٥١
– محمد عثمان شبير: القواعد الكلية والضوابط الفقهية. دار النفائس، سنة ٢٠٠٧م، ص ٢٣
(٢) انظر: القواعد الفقهية للندوي، ص ٥٢؛ القواعد الكلية والضوابط الفقهية، ٢٣
(٣) موسوعة القواعد الفقهية للبورنو ١/ ٣٥
(٤) الدمشقي؛ عبد القادر بن بدران: المدخل الى مذهب الامام أحمد بن حنبل. تحقيق: عبدالله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط:٣ ، ص ٥٨

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 107 03/04/2023 12:47 PM

الإباحة، والنهي يقتضي الفور والدوام[١].

الفرع الثالث: الفرق بين القواعد الفقهية والقواعد الأصولية:

هناك فروق بين القواعد الفقهية والقواعد الأصولية تميز كلًا منهما عن الآخر منها ما يلي:

أولاً: أن القواعد الأصولية تتعلق بالألفاظ ودلالتها على الأحكام في غالب أحوالها، أما القواعد الفقهية فتتعلق بالأحكام نفسها[٢].

ثانيًا: أن قواعد علم الأصول مطردة؛ فلا يكاد يكون لإحداها أي مستثنى، أما القواعد الفقهية فتوجد فيها الاستثناءات[٣].

ثالثًا: أن القواعد الأصولية ناشئة في أغلبها من الألفاظ العربية، وما يعرض لتلك الألفاظ من النسخ والترجيح، نحو: الأمر للوجوب والنهي للتحريم، وأما القواعد الفقهية فناشئة عن الأحكام والمسائل الشرعية المتشابهة[٤].

رابعًا: أن قواعد الأصول إنما تنبني عليها الأحكام الإجمالية، وعن طريقها يستنبط الفقيه أحكام المسائل الجزئية من الأدلة التفصيلية، أما القواعد الفقهية؛ فهي مجموعة الأحكام الفقهية المتشابهة التي ترجع إلى حديث نبوي، أو إلى ضابط فقهي، أو إلى قياس واحد يربطها[٥].

خامسًا: القواعد الأصولية سابقة للجزئيات والفروع الفقهية، أما القواعد الفقهية فهي متأخرة عن الجزئيات والفروع الفقهية[٦].

سادسًا: القواعد الأصولية لا يفهم منها أسرار الشرع ولا حكمته، في حين أن القواعد الفقهية يفهم منها ذلك[٧].

---

(١) القواعد الكلية والضوابط الفقهية، ص ٢٧

(٢) محمد صدقي بن أحمد البورنو: الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية. مؤسسة الرسالة، بيروت، سنة ١٩٩٦م، ص٢٠

(٣) انظر: القواعد الكلية والضوابط الفقهية، ص٢٩؛ القواعد الفقهية الخمس الكبرى، ص٣٠

(٤) المرجعين السابقين.

(٥) الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية، ص ٢١

(٦) القواعد الكلية والضوابط الفقهية، ص ٢٨

(٧) الفروق أو أنوار البروق في أنواء الفروق، ١/ ٢

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 108 03/04/2023 12:47 PM

سابعًا: القواعد الأصولية لها من الحجيّة والقوة بحيث يمكن الاستناد إليها في استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية، أما القواعد الفقهية فلا يصح الاعتماد عليها وحدها؛ لبيان الحكم الشرعي، إلا إذا كانت تستند إلى دليل شرعي يعضدها[١].

المطلب الرابع: أهمية علم القواعد الفقهية

إن لكل علم فوائد، ومن هذه العلوم علم القواعد الفقهية؛ فله فوائد عظيمة وأهمية كبرى لا يستهان بها، فمن فوائده ما يلي:

أولاً: يستطيع الفقيه بالقواعد الفقهية أن يضبط الكثير من مسائل الفقه، وينظمها في سلك واحد، قال ابن رجب الحنبلي[٢] عن علم القواعد الفقهية: تنظم له منثور المسائل في سلك واحد، وتقيد له الشوارد، وتقرب عليه كل متباعد[٣]. وقال الشيخ مصطفى الزرقا: لولا هذه القواعد لبقت الأحكام الفقهية فروعًا مشتتةً قد تتعارض ظواهرها دون أصول تمسك بها، وتبرز من خلالها العلل الجامعة[٤]. وقال القرافي[٥]: ومن ضبط الفقه بقواعده استغنى عن حفظ أكثر الجزئيات لاندراجها في الكليات[٦].

ثانيًا: أن فهم هذه القواعد وحفظها يساعد الفقيه على فهم مناهج الفتوى، ويطلعه على حقائق الفقه ومآخذه، ويمكنه من تخريج الفروع على الأصول

---

(١) القواعد الكلية والضوابط الفقهية، ص ٢٩

(٢) هو زين الدين عبدالرحمن بن أحمد بن رجب البغدادي الدمشقي، ولد سنة: ٧٣٦هـ، وتوفي سنة: ٧٩٥هـ، من مؤلفاته: فتح الباري شرح صحيح البخاري، وجامع العلوم والحكم، وذيل طبقات الحنابلة.
انظر: الدرر الكامنة لابن حجر٢/ ٣٢١، والمقصد الأرشد لابن مفلح٢/٨١.

(٣) القواعد لابن رجب الحنبلي، ص ٣

(٤) مقدمة شرح القواعد الفقهية لأحمد الزرقا ص٣٥

(٥) هو أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن، أبو العباس، شهاب الدين الصنهاجي القرافي: من علماء المالكية نسبته إلى قبيلة صنهاجة (من برابرة المغرب)، وهو مصري المولد والمنشأ والوفاة. له مصنفات جليلة في الفقه والأصول، منها (أنوار البروق في أنواء الفروق) و (الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرف القاضي والإمام) و (الذخيرة) في فقه المالكية، وفاته سنة ٦٨٤ هـ.
انظر ترجمته في: الديباج المذهب ٦٢ – ٦٧ ،وشجرة النور الزكية١٨٨.

(٦) الفروق أو أنوار البروق في أنواء الفروق، ١/ ٢

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 109 03/04/2023 12:47 PM

وإلحاق الجزئيات بالكليات. قال السيوطي[١] : إن فن الأشباه والنظائر فن عظيم، به يطلع على حقائق الفقه ومداركه ومآخذه وأسراره، ويتمهر في فهمه واستحضاره، ويقتدر على الإلحاق والتخريج، ومعرفة أحكام المسائل التي ليست بمسطورة، والحوادث والوقائع التي لا تنقضي على مر الزمان[٢].

ثالثًا: أن الفقيه الذي يعمل من خلال القواعد الفقهية سيطلع على الكثير من مقاصد التشريع وحكمته، قال القرافي : ....قواعد كلية جليلة كثيرة العدد عظيمة المدد مشتملة على أسرار الشرع وحكمه[٣]. وقال الطاهر بن عاشور: القواعد الفقهية –وبخاصة الكبرى منها– تساعد على إدراك مقاصد الشريعة؛ لأن القواعد الأصولية تركز على جانب الاستنباط، وتلاحظ جوانب التعارض والترجيح وما شابه ذلك من القواعد التي ليس فيها شيء من ملاحظة مقاصد الشارع، وأما القواعد الفقهية فهي مشتقة من الفروع والجزئيات المتعددة لمعرفة الرابط بينها، ومعرفة المقاصد الشرعية التي دعت إليها[٤].

رابعًا: أن دراسة القواعد الفقهية تنمي الملكة الفقهية عند دارسها؛ قال ابن نجيم[٥]: بها يرتقي الفقيه إلى درجة الاجتهاد ولو في الفتوى[٦]. وقال السيوطي: قال بعض أصحابنا: الفقه معرفة النظائر[٧].

---

(١) هو جلال الدين أبو الفضل عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد الخضيري السيوطي الشافعي، ولد بالقاهرة سنة: ٨٤٩هـ، وتوفي سنة: ٩١١هـ، من مؤلفاته: الدر المنثور، وتدريب الراوي.
انظر: العكبري؛ عبد الحي بن أحمد بن محمد الحنبلي، ت: ١٠٨٩هـ: شذرات الذهب في أخبار من ذهب. تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، ومحمود الأرنؤوط. دار ابن كثير، دمشق، طبعة سنة ١٤٠٦هـ، ٨/ ٥١ -٥٥، البدر الطالع للشوكاني١/٣٢٨-٣٢٩.

(٢) الأشباه والنظائر للسيوطي، ص ٦

(٣) الفروق أو أنوار البروق في أنواء الفروق، ١/ ٢

(٤) مقاصد الشريعة الإسلامية لابن عاشور ص٦

(٥) هو زين الدين بن إبراهيم، فقيه حنفي كبير، ولد في مصر، وتوفي سنة ٩٧٠هـ، من مؤلفاته: البحر الرائق شرح كنز الدقائق، والأشباه والنظائر.
انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ٨/ ٣٥٨،والأعلام للزركلي٣/٦٤.

(٦) الأشباه والنظائر لابن نجيم، ص١٠

(٧) الأشباه والنظائر للسيوطي، ص٥

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 110 03/04/2023 12:47 PM

خامساً: أن القواعد الفقهية تمكن غير المختصين في علوم الشريعة من الإطلاع على الفقه ومضمونه بأيسر طريق.[١]

المطلب الخامس: نشأة علم القواعد

هذا العلم كغيره من العلوم الشرعية؛ حيث ابتدأ تاريخه مع ابتداء التشريع ونزول الوحي على النبي ﷺ، فإن في آيات القرآن وأحاديث الرسول ﷺ ما يعد قواعدَ تندرج تحتها فروع ومسائل كثيرة[٢]. مثال ذلك من آيات القرآن قوله ﷻ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾[٣]. وقوله ﷻ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾[٤]. وقوله ﷻ: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ﴾[٥] وقوله ﷺ: ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ﴾[٦] وقوله ﷻ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[٧] وغير ذلك من الآيات التي تجري مجرى القواعد العامة[٨].

قال ابن القيم[٩]: إذا كان أرباب المذاهب يضبطون مذاهبهم ويحصرونها بجوامع تحيط بما يحل ويحرم عندهم مع قصور بيانهم، فالله ورسوله المبعوث بجوامع الكلم أقدر على ذلك، فإنه يأتي بالكلمة الجامعة، وهي قاعدة عامة، وقضية كلية تجمع أنواعًا وأفرادًا[١٠].

وأما الأمثلة من السنة التي تجري مجرى القواعد العامة فكثيرة؛ منها ما يلي:

---

(١) القواعد والضوابط الفقهية عند ابن تيمية في فقه الأسرة١/١٣٠.

(٢) انظر: القواعد الفقهية الخمس الكبرى، ص٣٦؛ الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية، ص٤٤

(٣) سورة الأعراف، آية: ١٩٩

(٤) سورة النحل، آية: ١٢٦

(٥) سورة الشورى، آية: ٤٠

(٦) سورة البقرة، آية: ٢٣٣

(٧) سورة البقرة، آية: ١٨٥

(٨) انظر: القواعد الفقهية للباحسين، ص٢٨٨

(٩) انظر: ابن كثير؛ إسماعيل بن عمر، الدمشقي: البداية والنهاية. تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز هجر للدراسات والبحوث الإسلامية. مركز هجر، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٧م، ١٤/٢٣٤، وذيل طبقات الحنابلة٢/٤٤٧.

(١٠) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ١/ ٣٣٣

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 111 03/04/2023 12:47 PM

قول النبي ﷺ: (إنما الأعمال بالنيات...) [١]، فهذا الحديث دليل القاعدة الفقهية الكبرى: الأمور بمقاصدها. وقول النبي ﷺ: (لا ضرر ولا ضرار) [٢]، حيث أخذت منه القاعدة الكلية: الضرر يزال. وغير ذلك من الأحاديث النبوية.

وقد جاء عن سلف الأمة من الصحابة والتابعين ما يدل على وجود القواعد الفقهية ومعرفتهم بها، واستدلالهم بها، ومن أمثلة ذلك:

ما جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لـ أبي موسى الأشعري رضي الله عنه في القضاء حيث قال: (... البينة على المدعي، واليمين على من أنكر، والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحًا أحل حرامًا أو حرم حلالًا...) [٣].

قول ابن مسعود رضي الله عنه: (يحرم من الإماء ما يحرم من الحرائر إلا العدد) [٤].

قول الحسن البصري[٥] : (إذا اختلف الراهن والمرتهن فالقول قول الراهن[٦].

وغير ذلك من الآثار التي تدل على أن القواعد الفقهية ليست شيئًا مبتدعًا؛ بل هي من العلوم التي جاء بها الشرع، وأما تدوين علم القواعد الفقهية فهذا جاء بعد تدوين الفقه وظهور المذاهب الفقهية، يقول الدكتور يعقوب عبد الوهاب الباحسين: يعد كتاب الخراج لأبي يوسف المتوفى سنة ١٨٢هـ -وهو من

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، الحديث الأول، ومسلم، كتاب الإمارة، باب قول النبي ﷺ انما الأعمال بالنيات، وأنه يدخل في الغزو وغيره، حديث رقم: ١٩٠٧

(٢) أخرجه ابن ماجه في الأحكام، باب من بنى في حقه ما يضر بجاره، رقم الحديث: ٢٣٤٠، وأحمد في المسند، ٥/ ٣٢٦، وصححه النووي في الأربعين النووية، والألباني في السلسلة الصحيحة برقم: ٢٥٠

(٣) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ١٠/ ١١٩ - ١٣٥، وصححه الألباني؛ محمد بن ناصر الدين: إراواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل. المكتب الإسلامي، سنة ١٩١٥م٨/ ٢٤١

(٤) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٧/ ١٦٣

(٥) هو الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد: تابعي، كان إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمنه. ولد بالمدينة، وشب في كنف علي بن أبي طالب، وكان أبوه من أهل ميسان، مولى لبعض الأنصار. قال الغزالي: كان الحسن البصري أشبه الناس كلامًا بكلام الأنبياء، وأقربهم هديا من الصحابة، وكان غاية في الفصاحة، تتصبب الحكمة من فيه توفي بالبصرة سنة ١١٠هـ.
انظر: الأصبهاني؛ أحمد بن عبد الله، أبو نعيم: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، سنة ١٤٠٥هـ، ٢/ ١٣١؛ ميزان الاعتدال، ١/ ٢٤٥

(٦) أخرجه عبد الرزق في المصنف، ٨/ ٢٤٣، رقم ١٥٠٦٠

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 112 03/04/2023 12:47 PM

الكتب الفقهية المحدودة الموضوع- من المصادر التي اشتملت على طائفة من الضوابط التي تدخل في المجال الذي نتكلم فيه [١]. وقد جاء في كتاب الخراج لـ أبي يوسف [٢]: التعزير إلى الإمام على قدر عظم الجرم وصغره[٣]، وأنه ليس للإمام أن يخرج شيئًا من يد أحد إلا بحق ثابت معروف.

وكذا كتاب المدونة التي حوى جملة كبيرة من فقه الإمام مالك بن أنس[٤] ، جاء فيه: كل ما يفسد الثوب فلا يفسد الماء [٥]. وأيضًا: لا يرث أحدٌ أحدًا بالشك.

وكذا كتاب الأم للإمام الشافعي [٦] الذي حوى كثيرًا من القواعد والضوابط الفقهية، وقد جمعها بعض الباحثين في رسالة علمية عنون لها باسم: القواعد والضوابط الفقهية في كتاب الأم للإمام الشافعي، وقد جاء في كتاب الأم: الرخص لا يتعدى بها مواضعها [٧] وأيضًا: الأعظم إذا سقط عن الناس سقط ما هو أصغر منه، وما يكون حكمه بثبوته عليه.

---

(١) انظر: القواعد الفقهية ، ص٢٩٩ ؛ الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية، ص ٤٥- ٤٦

(٢) هو يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي البغدادي، أبو يوسف: صاحب الإمام أبي حنيفة، وتلميذه، وأول من نشر مذهبه. كان فقيهًا علامة، من حفاظ الحديث. ولد بالكوفة، وتفقه بالحديث والرواية، ثم لزم أبا حنيفة، فغلب عليه (الرأي)، وولي القضاء ببغداد أيام المهدي والهادي والرشيد، ومات في خلافته، ببغداد، وهو على القضاء، وفاته سنة ١٨٢هـ.
انظر: البداية والنهاية، ١٠/ ١٨٠ ؛ الجواهر المضية في طبقات الحنفية ٢/ ٢٢٠

(٣) كتاب الخراج ص١٨٠

(٤) هو مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري، أبو عبد الله: إمام دار الهجرة، وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، وإليه تنسب المالكية، مولده ووفاته في المدينة. من مؤلفاته: الموطأ، توفي سنة ١٧٩هـ.
انظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ٦/ ٣٣٠

(٥) المدونة الكبرى ١/ ٦، والمقصود هو أرواث الطير والدجاج إذا وقعا في الماء.

(٦) هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان ابن شافع القرشي المطلبي، أبو عبد الله: أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، ولد في غزة (فلسطين) وحمل منها إلى مكة وهو ابن سنتين، وزار بغداد مرتين، وقصد مصر سنة ١٩٩ فتوفي بها. قال الإمام ابن حنبل: ما أحد ممن بيده محبرة أو ورق إلا وللشافعي في رقبته منة، وكان ذكيًا مفرطًا، وتوفي سنة ٢٠٤هـ، ومن مؤلفاته: الرسالة، والأم.
انظر: الذهبي؛ محمد بن أحمد بن عثمان: تذكرة الحفاظ. دراسة وتحقيق: زكريا عميرات. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٨م، ١/ ٣٢٩ ؛وتهذيب التهذيب لابن حجر٩/ ٢٥.

(٧) الشافعي؛ محمد بن إدريس، أبو عبد الله، ت ٢٠٤هـ: الأم. الدار المصرية للإفتاء والترجمة، الطبعة المصورة عن طبعة بولاق، سنة ١٣٢١هـ، ١/ ٨٠

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 113 03/04/2023 12:47 PM

وكذلك كتاب المسائل عن الإمام أحمد [١] ، التي رواه عنه الإمام أبو داوود[٢] سليمان بن الأشعث رحمهما الله، قد حوى كثيرًا من الضوابط والقواعد الفقهية، ومن ذلك: كل ما جاز فيه

البيع تجوز فيه الهبة والصدقة والرهن [٣]، وأيضًا: إذا أقر لغير وارث في مرضه، فهو جائز [٤].

وهنا نجد أن القواعد الفقهية لم تدون كعلم مستقل؛ بل تذكر في ثنايا كتب الفقه، ولم يكن التعرض إليها مقصوداً لذاته، بل كانت توجد عرضًا؛ إما بيانًا لحكم أو تعليلاً له، أو لأي سبب آخر[٥].

وأما تدوين القواعد كعلم مستقل؛ فبالنظر إلى المصنفات في هذا العلم نجد أن علماء الحنفية هم أول من صنفوا في هذا الفن، يقول الدكتور محمد صدقي بن أحمد البورنو: ومما يشهد له التاريخ ويظهر ذلك بالتتبع والنظر، أن فقهاء المذهب الحنفي كانوا أسبق من غيرهم في هذا المضمار، ولعل ذلك للتوسع عندهم في الفروع، وأخذ بعض الأصول عن فروع أئمة مذهبهم [٦]. وأول ما عرف من المصنفات في القواعد خاصة هو كتاب أصول الكرخي للإمام أبي الحسن الكرخي المتوفى سنة ٣٤٠ هجرية[٧].

(١) الإمام أحمد بن محمد بن حنبل، أبو عبدالله الشيباني، أحد الأئمة الأربعة، ولد سنة: ١٦٤هـ، وتوفي: ٢٤١هـ، من مؤلفاته: المسند، وفضائل الصحابة.
انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء، ج١١، ص ١٨٨ ؛ وصفة الصفوة لابن الجوزي، ج٢، ص ٣٣٧

(٢) هو سليمان بن الأشعث بن بشير، أزدي من سجستان، ولد سنة ٢٠٢هـ، من أئمة الحديث، رحل في طلبه، انتقل إلى البصرة لكي ينشر بها الحديث، وبها توفي سنة ٢٧٥هـ. من مصنفاته: السنن، ومسائل الامام أحمد.
انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب، ١٤/ ٢٢٧ ؛ طبقات الحنابلة، ١/ ١٢٢

(٣) كتاب المسائل ص٢٠٣

(٤) كتاب المسائل ص٢١٤

(٥) القواعد الفقهية للباحسين، ص٣١٥

(٦) الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية، ص٦١

(٧) القواعد الفقهية للباحسين، ص ٣١٦

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 114 03/04/2023 12:47 PM

المطلب السادس: أهم المؤلفات في القواعد الفقهية[1]

لا يخلو مذهب من المذاهب الفقهية إلا وقد ألفت فيه الكتب المختصة بالقواعد الفقهية، وسوف أذكر في هذا المطلب بعض تلك الكتب حسب المذاهب الفقهية الأربعة، مرتبة ترتيبًا زمنيًا في كل مذهب حسب وفيات المؤلفين:

الفرع الأول: المؤلفات في القواعد الفقهية عند الحنفية.

١-أصول الكرخي، لعبيد الله بن الحسن بن دلّال، الشهير بأبي الحسن الكرخي، توفي سنة ٣٤٠ هـ.

٢-تأسيس النظر، لعبيد الله بن عمر بن عيسى القاضي أبو زيد الدبوسي، ت ٤٣٠ هـ.

٣-الأشباه والنظائر، لزين الدين ابن إبراهيم محمد الشهير بابن نجيم الحنفي المصري، ت ٩٧٠هـ.

٤-غمز عيون البصائر شرح الأشباه والنظائر، لأحمد بن محمد الحموي الحنفي، ت ١٠٩٨هـ.

٥-قواعد مجلة الأحكام العدلية، وهي تسعة وتسعون قاعدة وضعت في أول مجلة الأحكام العدلية من قبل علماء المذهب الحنفي التابعين للدولة العثمانية، وقد شرحت هذه القواعد ضمن شروح المجلة، وشرحت مستقلة بشرح كثير الفوائد للشيخ أحمد بن محمد الزرقا، وطبع باسم: شرح القواعد الفقهية.

الفرع الثاني: المؤلفات في القواعد عند المالكية:

١-أصول الفتيا، لمحمد بن الحارس بن أسد الخشني القيرواني المالكي، ت ٣٦١ هـ.

٢-أنوار البروق في أنواء الفروق، المعروف بكتاب (الفروق) لشهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي المالكي، ت ٦٨٤ هـ.

---

(١) انظر: القواعد الفقهية للباحسين، ص ٣١٦؛ الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية، ص ٩٤؛ القواعد الكلية والضوابط الفقهية، ص ٤٩

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 115 03/04/2023 12:47 PM

٣-القواعد لمحمد بن محمد بن أحمد المقّري، ت ٧٥٨ هـ.

٤-إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام مالك، لأحمد بن يحي بن محمد التلمساني الونشريسي، ت ٩١٤ هـ.

٥-تهذيب الفروق والقواعد السنية في الأسرار الفقهية، لمحمد على المالكي، ت١٣٦٧ هـ.

الفرع الثالث: المؤلفات في القواعد عند الشافعية:

١- قواعد الأحكام في مصالح الأنام، لعبد العزيز بن عبد السلام السلمي الشافعي المعروف بعز الدين بن عبد السلام، ت ٦٦٠ هـ.

٢- الأشباه والنظائر، لمحمد بن عمر بن مكي المعروف بابن الوكيل المصري الشافعي،ت ٧١٦هـ.

٣- الأشباه والنظائر، لتاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي الشافعي المعروف بابن السبكي، ت ٧٧١هـ.

٤- المنثور في القواعد لمحمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، ت ٧٩٤ هـ.

٥- الأشباه والنظائر لعبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، ت ٩١١ هـ.

الفرع الرابع: المؤلفات في القواعد عند الحنابلة:

١- القواعد الكبرى في الفروع، لسليمان بن عبد الله بن عبد القوي الطوفي الصرصري، ت ٧١٦ هـ.

٢- القواعد النورانية، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، ت ٧٢٨ هـ.

٣- تقرير القواعد وتحرير الفوائد، المعروف بقواعد ابن رجب، لأبي الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلي، ت ٧٩٥ هـ.

٤- القواعد الكلية والضوابط الفقهية ليوسف بن حسن بن عبد الهادي المقدسي، ت ٩٠٩ هـ.

٥- القواعد والأصول الجامعة والفروق والتقاسيم البديعة النافعة، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، ت ١٣٧٦ هـ.

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 116 03/04/2023 12:47 PM



ماذا تقرأ في تاريخ الكويت (٢)

بقلم الموجه الفني العام
عثمان أحمد الكندري

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 117 03/04/2023 12:47 PM

تحدثنا في العدد السابق عن مجموعة من المصادر والمراجع والتي كتبت عن تاريخ الكويت ليكون دليلاً ومرشدا للقارئ والباحث، وَوَفَّينا بوعدنا المُضيّ في هذا الطريق بذكر مجموعة أخرى، فإليك أخي القارئ الكتاب السادس :

أيام الكويت / أحمد الشرباصي

مؤلف الكتاب مصري الجنسية أزهري التعليم، وقد طبع كتابه سنة ١٩٥٣م بمطابع دار الكتاب العربي بمصر وهي الطبعة الوحيدة، ولذلك يعتبر الكتاب من الكتب النادرة، وإن وُجِد فهو باهظ الثمن، وقد تجد نسخ مصورة منه، ويصل مجموع صفحات الكتاب إلى ٥٤٤ صفحة.

ألّف الشرباصي كتاب (أيام الكويت) قبل ستين عاما، بعد أن عاش بين ربوعها عاما دراسيا كاملا سنة ١٩٥٢ – ١٩٥٣م، وكانت زيارته للكويت في عهد الشيخ الأمير عبدالله السالم الصباح مبتعثا من الأزهر الشريف لعام واحد ليدرس الدين واللغة العربية في المدرسة المباركية.

وقد جمع المؤلف في الكتاب - كما ذكر – « بين رواية التاريخ ووصف المشاهدة ولمحة الذكرى »، وكما يقول الشرباصي هو « كتاب تاريخ وتصوير » ص ٥٤٠.

عندما تقرا كتاب (أيام الكويت) تجده صادق الكلِم والقلم، يفيض بهما حبا عميقا للكويت وأهلها، حتى سَمَّى الكويت بالعروس المحجبة، وبلؤلؤة الخليج. وأهل الكويت رأوا فيه هذا الحب حتى قال له سليمان العدساني -مدير مالية المعارف بالكويت : « وهل تستطيع إلا أن تكون مصريا كويتيا »، وكذلك قال له الشيخ عبدالله المبارك الصباح : « نعم إنك كويتي وإن كنت مصريا»، وأغلب أصدقاء الشيخ أحمد الشرباصي يطلقون عليه لقب المصري الكويتي ص ٥٣٣

بدأ الشرباصي حديث الذكريات في الثلث الأخير من كتابه من ص ٣٨٦ إلى آخر الكتاب فدوّنها بتواريخها، فسجّل فيها من أول ركوبه الطائرة من بلده في مصر يوم الثلاثاء أكتوبر سنة ١٩٥٢م، بل والأحداث التي سبقت ركوبه الطائرة، حتى وصوله إلى أرض الكويت إلى حين مغادرته الكويت يوم الأربعاء ٢٨ رمضان سنة ١٣٧٢هـ الموافق ١٠ يونيو سنة ١٩٥٣م. ويا ليته كتب كتابه (أيام الكويت)

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 118 03/04/2023 12:47 PM

كله على طريقة الذكريات وأدخل فيها تلك الحوادث التي ذكرها في أول الكتاب بأسلوب جميل لا يَصعُب على أمثال الشيخ أحمد الشرباصي. حيث بدأ المؤلف كتابه عن تاريخ الكويت من ص ٦ – ٣٢ ثم تحدث عن نهضة الكويت، ثم نهضة الكويت، وبعدها وجهٌ كويتيٌ سمح، التجارة في الكويت، قصة اللؤلؤ، قصة النفط، الينابيع السود، أغنى دولة في العالم، المحاكم في الكويت، المساجد في الكويت، أمراء الكويت ووظائفهم، في مجلس أمير، أشعار في القهوة العربية، نهضة التعليم، ...الخ. فكما ترى فالمؤلف لا يستقر على طريقة واضحة في تدوين أيامه في الكويت، فينتقل من موضوع إلى آخر، ومن فن إلى فن، ويفصّل ويستطرد في بعض المواضع، ولعل أقرب وصف لكتابه ما ذكره يعقوب الغنيم حيث يقول: « وهذا الكتاب فريد في نوعه فهو شبيه بما كان يسمى (جراب الحاوي) فيه كل شيء من التاريخ إلى الحكاية إلى القصيدة إلى المعلومات العامة، كان يسير في الطريق فيلتقط ما يعن له، حتى إذا عاد إلى القاهرة نفض ما في الجراب ونسقه، وجعله في كتاب هو : أيام الكويت »، ولعل منهجه الذي ارتضاه لنفسه يشفع له ذلك عندما قال عن كتابه : « جمعت فيه بين رواية التاريخ ووصف المشاهدة ولمحة الذكرى »

لم يأت كتاب (أيام الكويت) من فراغ، فقد كان الشرباصي حريصا كل الحرص وهو في الكويت أن يرحل إلى كل جانب من جوانب الكويت، ويحاول تصوير جوانب الحياة المختلفة فيها، فصال وجال عبر أراضي الكويت متنقلا بين مناطقها وقراها، وقصورها ودورها، وأهلها وبنيها، وأميرها وشيوخها، ونواديها وهيئاتها، ومساجدها ومدارسها وطرقها ومنشآتها، من شمالها إلى جنوبها.

فزار الأمراء والناس، فالتقى بالأمير عبدالله السالم في قصر السيف، وزار عبدالله الجابر الصباح (رئيس المعارف) وعبدالله المبارك الصباح (رئيس الأمن العام) وفهد السالم الصباح (رئيس البلدية والأشغال)، وزار شعراءها وأدباءها، وزار راوية الكويت النوخذة حمد مبارك المناعي (راوية المتنبي).

وقد تهيأت له فرص طيبة في الرحلات المتتابعة مع الأصدقاء والطلاب فجال بقاع الإمارة، فزار القرى والمدن كمدينة الأحمدي والفحيحيل والشعيبة

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 119 03/04/2023 12:47 PM

والجليعة والخيران والبرقان والمنقف وأبوحليفة والفنيطيس والفنطاس والسالمية وحولي والشويخ والقصر الأحمر في الجهرة ومزارعها وبساتينها، والمطلاع وكاظمة والمقوع، وفي كل بقعة ومكان له فيه حديث ذو شجون.

وزار العديد من المنشآت، فذهب إلى ميناء الأحمدي ليشهد قصة النفط ورأى آلات التقطير فيها، والبناء الجديد لمدرسة الثانوية بالشويخ، ومعسكر الكشافة في المنقف، والمستشفى الصدري.

وفي كل تجواله لم يدع الشرباصي مكانا ألقى فيه عصا الترحال إلا وقد وقف خطيبا أو واعظا أو ناصحا.

وقد قام الشرباصي بأداء واجبه على خير وجه، من تدريس في المدرسة المباركية، وقيامه بنشاط اجتماعي خارجها، من إلقاء الخطب والمحاضرات في مساجد الكويت كمسجد السوق ومسجد الملا صالح ومسجد البدر ومسجد النصف ومسجد الأحمدي، وحضور الكثير من الاحتفالات والمناسبات، وحضور الندوات في النوادي والهيئات كجمعية الإرشاد الإسلامية، ونادي المعلمين، والنادي الأهلي، والنادي الثقافي وإلقاء الكلمات والمواعظ فيها، وإلقاء أحاديث الثلاثاء الأسبوعية في المدرسة المباركية، وتسجيل العديد من الأحاديث لمحطة الإذاعة الكويتية، فكان الشرباصي خير من مثّل الأزهر في الخارج.

وكما قال يعقوب الغنيم « ويكفي الاطلاع على كتابه أيام الكويت لكي يعرف المرء مدى حركته ونشاطه ».

كل ذلك مكّنه من كتابة تاريخه القيم عن أيام قضاها في الكويت وصْف المشاهدة والسماع، فكان تاريخه القيم.

ولا يخلو كتابه من الفكاهة والنكتة والطرفة كحديثه عند اجتماعهم لتناول الطعام إذ شبهها بمعركة الغداء «إن الغداء يتم بمعركة يتجلى فيها التنافس بين الزملاء والأقران والتسابق في النزال والطعان بالأيدي والأفواه والسنان... ص ٤٦٧

ولا يخلو كتابه من توجيه أو وعظ أو نصيحة سواء للحكومة أو الجمعيات

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 120 03/04/2023 12:47 PM

والهيئات أو عامة الناس، وقد ظهر ذلك في غالب صفحات الكتاب، ومثاله، عندما تحدث عن التيارات المختلفة في الكويت فقال : « الكويت تشمل الآن على أربعة تيارات مختلفة، إذا لم تتضافر الأيدي على جمعها، أو التوفيق بينها، أو .... فإن الجهود تضيع والأيادي تفترق والعزائم تتضارب، والأشخاص تتحارب » ص ٣٢٣

وامتاز المؤلف في كتابه بإعطاء تفاصيل دقيقة في كل مكان تطأه قدماه وصف الباحث الملم، ومثاله، قوله : « وأما المطبخ المركزي، فإنه سوف يقوم بتحضير وجبات الطعام والشرائح بطريقة صحية، ثم ينقل كل ما يحتاجه إليه الطلبة في أوعية خاصة نظيفة، تحمل في السيارات وتوزع عليهم في أوقات معينة ...الخ» ص ٨٩ ، وعندما تحدث عن محطة إذاعة الكويت يذكر تاريخ إنشائها وقوتها وطول موجتها القصيرة، وأنه يشتغل فيها مهندس باكستاني اسمه محمد خان طفيل، ومذيع كويتي هو السيد مبارك الميال ... ص ٤١٤، ويصف مسجد الأحمدي وصفا عجيبا وكأنك تراه رأي العين، كحال الرحالة عند وصفهم للديار والبلاد، ص ٤٠٢، ووصفه لمدينة الشعيبة فكتب فيها تاريخا مختلجا بشعور فياض عند زيارته تلك ص ٤٦٥.

وتضمن كتابه جانبا مهما بعنوان (أمثال الكويت) من ص ٢٧٥ – ٣٠٤

حيث ذكر فيه ٢٨٦ مثلا كويتيا دارجا على ألسنة أهلها، مع شرح مقاصدها، والعجيب أن المؤلف سبق أهل الكويت بجمعه للأمثال، وهي الباكورة الأولى في هذا المضمار التي دفعت بآخرين يسلكون مسلكه بكتاباتهم.

فالمؤلف يشير إلى أسفه بأن هذه الأمثال غير مجموعة – في زمانه –، وإنما هي على الألسن، وقد لقي مشقة في جمع بعضها الذي بلغ ٢٨٦وضمها كتابه، ولذلك هو يخشى إذا طال العهد على إهمال أهلها لهذه هذه الأمثال أن تضيع وتندثر، وقد استعان المؤلف بمجموعة من أهل البلد كعبدالله النوري وأحمد البشر الرومي وعبدالعزيز حسين ...الخ وغيرهم لمساعدته في هذا الفن.

والجميل في الموضوع أنه كان لصوته صدى في تحقيق مراده، فظهرت بعدها مؤلفات عدة في أمثال الكويت، بعضهم ضمها كفصول داخل مؤلفه، كسيف بن مرزوق الشملان في كتابه (من تاريخ الكويت)، أو كالسعيدان في

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 121 03/04/2023 12:47 PM

الموسوعة الكويتية، وآخرون جعلوا منه مؤلفا خاصا للأمثال، كالشيخ عبدالله النوري في كتابه (الأمثال الدارجة في الكويت) ويحتوي على ألف وثلاثمائة مثل، وكتاب (الأمثال الكويتية المقارنة) في أربعة أجزاء تضمنت ألفين ومائتين وثلاثة وتسعين مثلا لأحمد البشر الرومي، ولعل أول كتاب مختص كان لخالد سعود الزيد (من الأمثال العامية)، ولعل أبرزها كتاب أحمد البشر، وبذلك فقد حُفظت الأمثال بجهود أبنائها. ومن العجيب أن من بين من قام بالتأليف في هذا الفن كان من الذين استعان بهم الشرباصي في جمع الأمثال وتفسيره، كعبدالله النوري وأحمد البشر، فربما كان دافعا لهم في التأليف والإبداع.

إذن فكتاب أيام الكويت للشرباصي من الكتب القيمة التي أُلفت في تاريخ الكويت، ألقت بظلالها على جوانب الحياة المختلفة فيها وخاصة عام ١٩٥٢م وما كانت عليه عروسنا الكويت آنذاك.

الكتاب السابع :

من هنا بدأت الكويت / تأليف : عبدالله خالد الحاتم

المؤلف : أديب ومؤرخ، وهو « أحد أبرز أعلام الكويت في الخمسينات -الميلادية ، فهو رجل صحافة وتاريخ وأنساب ورواية للشعر الشعبي »[١]

طبع كتابه في ثلاث طبعات /ط١ سنة ١٩٦٢م و ط ٢ سنة ١٩٨٠م وط٣ سنة ٢٠٠٤م وللطبعة الأولى من كتابه -إن وُجِد -فله قيمة مادية لجامعي الكتب.

والكتاب مطبوع في ٥٠٨ صفحات، بما في ذلك قائمة بالمصادر العربية والأجنبية والشخصية من روايات أخذها من مشايخ كيوسف بن عيسى القناعي وأساتذة كرام مذيلة أسماؤهم في ص ٢٨٨ مما يعطي الكتاب قيمة علمية كبيرة.

وقد قسم المؤلف كتابه إلى ثلاثة أبواب :

الباب الأول : أوليات كويتية : وهو ما سنذكره لاحقاً في أحد دوافع تأليف الكتاب، وينتهي الباب في ص ٢٠٢ .

الباب الثاني : أحداث وحكايات من ص ٢٠٣ – ٣٧٤

(١) راجع خالد محمد سالم /عبدالله خالد الحاتم / منارات ثقافية كويتية

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 122 03/04/2023 12:47 PM

وهذا لا يقل أهمية عن الباب الأول، ففيه الأحداث والحكايات التي رواها عن أصحابها وفيه من الحقائق والمعلومات ما لا تجده في غيره من المصادر.

وأما الباب الثالث : منطلقات العهد الجديد من ص ٣٧٥ – إلى آخر الكتاب.

ولعل من أهم مواضيعه (حركة عبدالكريم القاسم) ص ٣٩٠، فقد عاصر المؤلف أحداث تلك الفترة فركز الحاتم على حادثة عبدالكريم قاسم ومطالبته بالكويت.

ويأتي أهمية الموضوع في أنه عاصر أحداث مطالبة عبدالكريم قاسم من ذلك قوله : ص ٤١٤ « وما فتئت إذاعة بغداد حتى هذه اللحظة تذيع من التعليقات والأغاني والتمثيليات ما يؤيد بشكل لا يقبل الجدل أن اللواء عبدالكريم قاسم لم يعدل عن مطالبته بضم الكويت والاعتداء على سيادتها واستقلالها، وكان ذلك» من ص ٣٩٠ إلى ص ٤١٨

كما تضمن كتابه فهرسا للأعلام والموضوعات، ولا يخلو الكتاب من صور لأعلام وشخصيات أجنبية وعربية وكويتية.

بدأ الحاتم كتابه بإهداء لمن ضحى في سبيل أرض الكويت، ولكل من ساهم في بنائها، ولكل من ورد اسمه في الكتاب.

يعتبر كتاب الحاتم لبِنة مهمة في كتابة وبيان جزء مهم من تاريخ الكويت، والقارئ لا يملك نفسه من الاسترسال بقراءة الكتاب كله، إذا ما بدأ بقراءة الصفحات الأولى منه، فإنه يمتاز بمنهج وأسلوب رائع في تدوين تاريخ الكويت، فقد قام بجمع كل معلومة وثيقة حول أوليات الأشياء في الكويت وبدايات الأحداث المتميزة في مسيرة هذا البلد حتى أوصلها إلى أكثر من مائة من الأوليات.

ومثاله : أول أمير للكويت / أول مسجد / أول مؤامرة داخلية / أول مكتبة أهلية / أول شاعرة / أول فندق / أول من بدأ بنقل الماء من شط العرب / أول مدفع ... الخ.

فظهر كتابه القيم في جديد محتواه وأسلوبه ومنحاه، مما أعطاه طابعا

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 123 03/04/2023 12:47 PM

مميزا في كتابة تاريخ الكويت عن غيره من الكتب.

ولعل السبب الذي يعود في تدوين الكتاب بهذه الطريقة المشوقة هو سبب تأليفه للكتاب، فالمؤرخ الحاتم يذكر أن أحد دوافع تأليف الكتاب (من هنا بدأت الكويت) هو الرد على المغالطة التاريخية والتي فيها تجني وتحامل على الكويت ممّن يدعي « بأن تاريخ الكويت إنما يبتدئ مع ظهور أول بئر للنفط في أرضها»، ولذلك دوّن الحاتم مادة غزيرة وقيمة فيما يخص أول الأشياء في الكويت.

وأيضاً مما يعطي كتابه أهمية أنه ابن الكويت ومن مواليد حي القبلة عام ١٩١٦م وتوفي سنة ١٩٩٥م.فعاصر الكثير والعديد من الأحداث التي جرت على أرض الكويت وخارجها.

وقد امتاز المؤلف في تاريخه ببعض التحقيقات والاستنتاجات، وتفرّد – على حسب علمي – ببعض المعلومات والأحداث التي قد لا توجد في غيره من الكتب، أو ذكرها بعضهم بصورة موجزة أو أشار إليها إشارة لا يفي بنهم القارئ، إلا أنها جاءت صريحة وواضحة عند الحاتم، ومن أمثلة ذلك :

١. استدراكه على إصدار دائرة الأوقاف (سِجِل تاريخي مصور لمساجد وجوامع الكويت) فقد ورد في تاريخ بناء مسجد ابن بحر تاريخ مغلوط. انظر الموضوع ص ١٤.

٢. تحديد مكان أول وثاني مقبرة في الكويت ص ١٣٩ ،

٣. من التحقيقات المهمة والغريبة في نفس الوقت ما ذكره عن الحاكم الثاني من حكام الكويت وهو اسم لم يرد في مشجرات حكام الكويت وهو والد الحاكم الثاني المشجر عبدالله بن صباح الأول، فيذكر الحاتم بأن لصباح الأول خمسة من الأبناء وهم : جابر ، ومالك، وسلمان، ومبارك ومحمد، وقد حكم جابر فترة قصيرة ومات كسيحاً، أما عبدالله الأول المشهور في التاريخ -الحاكم الثاني لأسرة آل الصباح - فهو ابن جابر بن صباح الأول، وقد حكم الكويت في عهد والده لعجزه، وبذلك يكون عبدالله الأول هو الحاكم الثالث وليس الثاني. ص ٣١٢

٤. من المعلومات التي جاءت صريحة أكثر من غيرها من المصادر عن سبب قتل

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 124 03/04/2023 12:47 PM

الشيخ مبارك لأخويه – من أجل الحكم - كما في الرواية التي يرويها الحاتم عن يوسف بن عيسى القناعي. ص ٢٢٠ -٢٢١

٥. من المعلومات القيمة التي ذكرها في الأوليات (أول مؤامرة داخلية)، وكان ذلك عندما توفي الشيخ عبدالله الصباح الأول سنة ١٢٢٩هـ/ ١٨١٤م، وكان ابنه جابر(العيش) مقيماً في البحرين مغاضباً لوالده، فاختير الشيخ محمد السلمان لتولي شؤون البلاد بالوكالة ريثما يحضر الشيخ جابر الذي أراد بالاستئثار بالحكم والاستمرار به.

٦. يذكر الحاتم أمرا في غاية الأهمية في قضية الشيخ محمد الشنقيطي لم أطلع على هذه القصة على حد علمي إلا عند الحاتم، في قصة هروب العالم الشيخ محمد الشنقيطي من الكويت، وأنه لم يهرب أو بالأحرى لم يخرج من الكويت إلا بإيعاز من الشيخ مبارك نفسه نقلاً عن عبدالله عبدالمحسن العساف – وكيل الشيخ مبارك الصباح ومن المقربين إليه حيث يقول «استدعاني الشيخ مبارك إليه، ولما أقبلت إلى مجلسه قام على الفور وصحبني إلى الخارج، وقال لي كلاماً لا يريد أن يسمعه من في المجلس، طالبا فيه أن أذهب فوراً وأجهز جملاً للشنقيطي وأدفع له عشرين ريالاً وأسأله أن يغادر الكويت قبل حلول النهار، وأن أكتم الأمر عن الجميع .. فغادر الشنقيطي قاصداً الزبير » ص ٣٥.

ومن الحقائق المهمة التي أكدها الحاتم أن الكويت لم تكن تخضع للدولة العثمانية إلا خضوعاً دينياً كالبحرين وقطر ودبي. ص ١٥

والأمور التي كانت سبباً في دفع الشيخ مبارك وصديقه خزعل على محالفة الانجليز والتمرد على العثمانيين : هو الفساد المتفشي في الجهاز الحكومي، والفوضى الضاربة أطنابها في طول البلاد وعرضها، والتفسخ الماثل في الولاة ووكلائهم. حتى إن الشيخ مبارك كثيراً ما كان يردد على سامعيه «لو أخلصت لي الدولة العثمانية لأخلصت لها وأغنيتها عن الفيلق السادس الهمايوني المرابط ببغداد»

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 125 03/04/2023 12:47 PM

ومما يميز الكتاب أيضا : أنك عندما تقرأ تاريخ الحاتم وتقلب صفحاتها، فأنت تستمتع بوقتك ويأخذك الحنين والشوق إلى ذلك الزمن وتضحك مما جرى في ذلك الزمان خاصة عند إدخال المخترعات الحديثة وأثرها على الناس وحديثهم مثلما أدخلوا جهاز (الغرامفون) جهاز المسجل حديثا والناس يجتمعون في القهوة لسماع ما يردد الجهاز من تسجيل حتى قال قائلهم (هذه من علامات القيامة) وقائل (ما أصدق إلا أن الشيطان حاطينه فيها ويغني)، واغتنم الشيخ سالم مبارك المعروف بتدينه فرصة سفر والده مبارك إلى المحمرة فمنعها. ص ١١٣.

ومن الغرائب التي ذكرها أن اليهود كان لهم حظ في سوق الكويت فأول معمل لصناعة الثلج في الكويت كان لرجل يهودي من أهالي الكويت يدعى الخواجة صالح محلب، أسسه ١٣٣٠هـ ، ١٩١٢م، بالقرب من جامع آل خليفة . ص ١٦٠.

ومن الحوادث المهمة التي ذكرها الحاتم (بدايات العلاقات بين مبارك والشيخ خزعل) وهي الفترة الواقعة بين سنة ١٨٩٢ – ١٨٩٥م ، كان مبارك يرسله إخوته إلى الفاو أيام الثمر، وهناك يلتقي بالشيخ خزعل الذي يرسله أخوه الشيخ مزعل بن مرداو إلى مقاطعة (القصبة) لنفس المهمة وكان كلاهما يعاني من الحرمان وكلاهما كان يتمنى اليوم الذي يتحقق فيه خلاصهما، ولهذا السبب وحده توحد شعورهما وتوثقت علاقتهما حتى بلغت الأوج . ص٢٦٠

ومن مميزات الكاتب في كتابه أنه كان جريئا في إصدار بعض الأحكام كما في حديثه عن يوسف عبدالله الإبراهيم أيام حكم الشيخ محمد الصباح، عندما قال عن الإبراهيم : هو حاكم الكويت الخفي وصاحب الكلمة الأولى والأخيرة ... ص ٣٥٢ ووصف كذلك الحاكم (محمد الصباح) بالضعف.

فكتابه بحق تحفة تاريخية قيّمة تضاف إلى قائمة المصادر التي كتبت عن تاريخ الكويت.

ولنا معكم بإذن الله تعالى وقفة جديدة في العدد القادم.

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 126 03/04/2023 12:47 PM



أولادنا والأجهزة الإلكترونية

المخاطر والحلول

بقلم الموجه الفني الأول

د. عماد حمد العون

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 127 03/04/2023 12:47 PM

تعد تربية الأبناء من المسؤوليات الكبيرة التي تقع على كاهل الوالدين خاصة في هذا العصر المليء بالمغريات والملهيات ومن هذه الملهيات الألعاب الإلكترونية التي استنزفت جهد وطاقة الكثير من أبنائنا واثرت عليهم على جميع الأصعدة صحية ونفسية ودينية حول هذا الموضوع سيكون هذا المقال بين ايديكم

أهمية الجانب النفسي للأطفال والمراهقين

- تعتبر الاضطرابات العصبية النفسية من بين الأسباب الرئيسية للعجز لدى الشباب.
- حوالي نصف الاضطرابات النفسية تبدأ قبل سن الـ ١٤ سنة.
- حوالي ٢٠٪ من الأطفال والمراهقين في العالم لديهم اضطرابات أو مشاكل نفسية.
- من ١-٥ الأطفال والمراهقين العالم من الاضطراب النفسي (منظمة الصحة العالمية ٢٠١٩).

حقائق وأرقام الألعاب الإلكترونية

- يوجد حولي ٢ بليون شخص يستخدم الالعاب الإلكترونية
- ٦٤٪ من الأمريكيين يلعبون العاب إلكترونية.
- متوسط عمر الذكور ٣٣ سنه، ومتوسط عمر الإناث ٣٧ الذين يقبلون على الألعاب الإلكترونية.
- ٢٢٪ من المدمنين للألعاب الإلكترونية يقضون حوالي ٦١ – ٨٠ ٪ من وقتهم على هذه الألعاب الإلكترونية
- ٩٤٪ من الذكور و٦٪ من الإناث أكثر عرضة للوقوع في إدمان الألعاب الإلكترونية.
- الذكور بين عمر ١٨-٢٤ هم أكثر عرضة لإدمان العاب الكمبيوتر.

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 128 03/04/2023 12:47 PM

أضرار الألعاب الإلكترونية

يُمكن تلخيص بعض أضرار الألعاب الالكترونية بما يلي:

- نَبذ روح المشاركة والتعاون، وتفضيل العمل المُستقل.
- الحث على العُنف لحل النزاعات بدلاً من حلها بشكل أخلاقي.
- تصوير الآخرين على أنهم أعداء.
- تستهلك وقت أنشطة مفيدة أكثر.
- وأخطر الاضرار الألعاب الإلكترونية الإدمان.

قام رجب (Rajab et all, 2020) بدراسة تحت عنوان: إدمان الألعاب الإلكترونية والتوتر بين المراهقين السعوديين. وكانت عينة الدراسة (٢٦٧٥) من الصف (٧ حتى ١٢).

وأظهرت النتائج أن:

- ٦٤٪ من أفراد العينة يقضون أكبر من ٣ ساعات في اليوم في الألعاب الإلكترونية. و٥٪ وصلوا إلى مرحلة إدمان الألعاب الإلكترونية.

تصنيف الألعاب الإلكترونية بالإدمان

تم تصنيف الألعاب الإلكترونية في اضطراب الألعاب:

(التصنيف الدولي للأمراض) الذي تعده منظمة الصحة العالمية، ويعد مرجعية للأمراض المعترف بها، ٢٠١٩ ويصنف رسميا على أنه مرض.

تعريف ادمان الألعاب الإلكترونية:

إدمان ألعاب الفيديو والألعاب الرقمية بأنه: «نمط من اللعب المستمر أو المتكرر يصبح مفرطا جدا لدرجة أن تكون له الأسبقية على غيره من اهتمامات الحياة».

«نمط سلوك الألعاب قد يكون مستمرًا أو عرضيًا ومتكررًا، لكي يتم تشخيصه بالاضطراب، ويتطلب فترة ١٢ شهرًا لتعيين تشخيص رسمي، أو تكون

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 129 03/04/2023 12:47 PM

الأعراض» شديدة «بما يكفي لضمان تصنيف أكثر سرعة.

عدم القدرة على التحكم في سلوكيات الألعاب سواء كانت مدة اللعب أو شدته أو تردده

وضع «أولوية متزايدة» للألعاب حيث تكون لها الأسبقية على الأنشطة الأخرى في الحياة

زيادة تصاعد الألعاب على الرغم من النتائج السلبية

الأثار المترتبة على إدمان الألعاب الإلكترونية

- تَغيُر في السلوك صعوبة التحكُم بالوقت المُستهلك في اللعب
- تَغيُر في المزاج
- العُزلة الاجتماعية.
- فُقدان الرغبة بالقيام بالأنشطة الممتعة الأُخرى
- القلق أو الاكتئاب تَدني الإنجاز في المدرسة أو العمل

أهم اسباب ادمان الألعاب الإلكترونية التي تم رصدها وفق دراسات واحصائيات عملية وواقعية في:

أولا: حالة النشوة والإحساس بالقوة التي يشعر بها الشخص في فضاء الالعاب الكترونية والتي يفتقدها في الواقع.

ثانيا: نجاح الالعاب الالكترونية في قتل حالة الفراغ المادي والشخصي الذي قد يعاني منه كثير من الاشخاص خاصة في فترة المراهقة.

ثالثا: الرغبة الجامحة في الهروب من العالم الواقعي بمشاكله وهمومه الى عالم الألعاب المرح.

رابعا: التجديد والتحفيز الدائم الذي تتقنه شركات انتاج الالعاب الالكترونية اضافة الى حالة الاحساس بروح الفريق والتواصل التي تنتاب الشخص عند ممارسته الالعاب الالكترونية..

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 130 03/04/2023 12:47 PM

خامسا: ومن اهم اسباب ادمان الالعاب الالكترونية فشل الأسرة في التواصل الإيجابي والفاعل مع اطفالهم وأبنائهم.

كيفية التغلب على أخطار الاجهزة الإلكترونية

- محاولة الحديث مع الطفل حول اللعبةً.
- تحديد وقت معين للعب.
- تفعيل الرقابة من قبل الوالدين.
- تشجيع الطفل على شراء الالعاب لتنمية الذكاء.
- ممارسة التمارين الرياضية.
- تشجيع الطفل على القراءة.
- اكتشاف المواهب وتنميتها.
- تقسيم يوم الطفل الى أنشطة تعليمية واجتماعية .
- المشاركة والحوار.
- الاستفادة من أوقات الفراغ بما ينفع.
- الامتناع عن الصراخ والتوبيخ المستمر.
- تخصيص يوم عائلي والجلسات الحوارية.
- الحث على الالعاب الجماعية.

تصنيف العادات:

تصنيف العادات إلى عادة سهلة التكوين تحتاج (٣٠) يوم أو عادة صعبة التكوين تحتاج (٩٠) يوم.

العلاج والتعامل مع اضطراب الألعاب للكبار

- اضطراب الألعاب هو تصنيف جديد، لذلك لا توجد خطة علاجية واضحة حتى الآن .ومع ذلك، فمن المحتمل أن تكون علاجات سلوكيات الإدمان الأخرى، مثل إدمان المقامرة، ذات صلة باضطراب الألعاب.
- وفقاً لدراسة أجريت عام ٢٠١٧ حول علاج اضطراب ألعاب الإنترنتIGD ،

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 131 03/04/2023 12:47 PM

قد يكون من المفيد الجمع بين عدة أنواع من العلاج .في الدراسة، استخدم الباحثون بعض العلاجات، وتشمل:

- التثقيف النفسي، وينطوي على تثقيف الشخص حول سلوكيات الألعاب وتأثيراتها على الصحة العقلية.

وفي النهاية اسال الله العلي القدير أن يوفق أبنائنا وأبناء المسلمين لكل خير ويبصرهم بخطر هذه الألعاب التي استهلكت اوقاتهم وعطلتهم عن التقدم والرقي في دينهم ودنياهم.

مقياس الإستخدام الخاطئ للهاتف المحمول Smartphone addiction

فيما يلي مجموعة من العبارات التي تمثل أنواعاً من أوجه النشاط القائم على استخدام الجوال، نهدف من خلاله إلى التعرف على مدى استخدام الهاتف المحمول في حياتك اليومية. المطلوب منك أن تقرأ هذه العبارات بدقة ثم تجيب عنها بصدق بأن تضع علامة (√) عند الإجابة التي ترى أنها تمثل ما تقوم به في الواقع، ويوجد خمس إجابات هي: (لا أوافق بشدة، لا أوافق إلى حد ما، محايد، أوافق إلى حد ما، أوافق بشدة).

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 132 03/04/2023 12:47 PM

م	البنود	لا أوافق بشدة	لا أوافق إلى حد ما	محايد	أوافق إلى حد ما	أوافق بشدة
١	لا أحس بالرضا التام عندما أقلل من الوقت الذي أقضيه في استخدام هاتفي.	١	٢	٣	٤	٥
٢	لإشباع رغبتي، أصبحت استخدم هاتفي لمدة أطول مما كنت استخدمه في الماضي.	١	٢	٣	٤	٥
٣	عندما أتوقف عن استخدام هاتفي، أصبح مزاجياً وسريع الغضب	١	٢	٣	٤	٥
٤	يصعب على عاطفياً أن اتخلى عن هاتفي.	١	٢	٣	٤	٥
٥	إن الوقت الذي أقضيه في استخدام هاتفي يمنعني من إنجاز أعمال أخرى مهمة.	١	٢	٣	٤	٥
٦	كنت أظن في السابق أنه من غير الطبيعي قضاء وقت طويل مثل الذي أقضيه الآن في استخدام الهاتف.	١	٢	٣	٤	٥
٧	أعتقد أني أقضي حالياً وقتاً أكثر مما ينبغي في استخدام الهاتف.	١	٢	٣	٤	٥

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 133 03/04/2023 12:47 PM

٨	يخبرني الآخرون بأنني أقضي وقتاً أكثر مما ينبغي في استخدام هاتفي.	١	٢	٣	٤	٥
٩	أحس بالتوتر عندما تمر فترة من الزمن لا أتلقى فيها أي اتصال أو رسالة.	١	٢	٣	٤	٥
١٠	لقد تجاهلت أناساً من حولي بسبب استخدامي للهاتف.	١	٢	٣	٤	٥

م	البنود	لا أوافق بشدة	لا أوافق إلى حد ما	محايد	أوافق إلى حد ما	أوافق بشدة
١١	سبق وأن استخدمت الهاتف وأنا أعلم أته يتعين على بدلاً من ذلك أداء بعض الأعمال أو الواجبات الأكاديمية.	١	٢	٣	٤	٥
١٢	سبق وأن استخدمت الهاتف وأنا أعلم أنه يتعين على الخلود إلى النوم.	١	٢	٣	٤	٥
١٣	سبق وأن استخدمت الهاتف وأنا أعلم أنه من الخطر فعل ذلك.	١	٢	٣	٤	٥

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 134 03/04/2023 12:47 PM

١٤	كدت أن أتسبب في وقوع حادث بسبب استخدام الهاتف.	١	٢	٣	٤	٥
١٥	سبق وأن تسبب استخدامي للهاتف بإحداث مشاكل بعلاقتي بأحد الأشخاص.	١	٢	٣	٤	٥
١٦	تورطت في بعض المتاعب في العمل أو الدراسة بسبب استخدامي للهاتف	١	٢	٣	٤	٥

معايير تصحيح المقياس:

٣٢-٢٠	٦٣-٣٣	٨٠-٦٤
منخفض	متوسط	مرتفع

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 135 03/04/2023 12:47 PM

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 136 03/04/2023 12:47 PM



التكييف الفقهي

للأوراق النقدية

كتبه

عبدالله بن عويد الرشيدي

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 137 03/04/2023 12:47 PM

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،أما بعد:

فهذا بحث موجز في التكييف الفقهي للأوراق النقدية التي عظم الخلاف في تكييفها، وما ينبني على الخلاف من وقوع الربا ووجوب الزكاة، والله أسأل التوفيق والسداد.

خطة البحث:

المطلب الأول: تعريف الأوراق النقدية.

المطلب الثاني: مثال للأوراق النقدية.

المطلب الثالث: التكييف الفقهي للأوراق النقدية.

الفرع الأول: تعريف الأوراق النقدية:

«ورق يعبر عن قيمة معينة محددة من جهة الإصدار، تعارف الناس عليه كوسيط للتبادل، ومقياساً للقيمة». [1]

الفرع الثاني: مثال للأوراق النقدية:

هناك أمثلة كثيرة للأوراق النقدية منها: الريال السعودي، والدينار الكويتي، والدولار الأمريكي وغيرها.

الفرع الثالث: التكييف الفقهي للأوراق النقدية:

تصوير المسألة: ما هو التكييف الفقهي للأوراق النقدية المتداولة حالياً فهل هي نقد قائم بذاته أو أنها تلحق بأحد الأثمان أو أنها عرض للتجارة؟

(١) الأوراق النقدية، سلطان بن محمد الجاسر(ص/١٥).

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 138 03/04/2023 12:47 PM

اختلف الفقهاء المعاصرون في التكييف الفقهي للأوراق النقدية على أقوال كثيرة[١] أبرزها:

القول الأول: الأوراق النقدية نقدٌ قائمٌ بذاته، وهو قول أكثر الفقهاء المعاصرين[٢]، وصدر به قرار المجمع الفقهي[٣]، وقرار مجمع الفقه الإسلامي[٤]، وهو فتوى هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية[٥].

القول الثاني: الأوراق النقدية هي سندات بديون على جهة مصدرها، وهو قول بعض العلماء المعاصرين[٦].

القول الثالث: الأوراق النقدية من عروض التجارة، وهو قول بعض العلماء المعاصرين.[٧]

القول الرابع: الأوراق النقدية كالفلوس، وهو قول بعض العلماء المعاصرين[٨].

---

(١) انظر: الورق النقدي، د.عبدالله المنيع (ص/٤٥-٨١)، التضخم النقدي في الفقه الإسلامي، د.خالد المصلح (ص/٦٣-٧٣)، أحكام الأوراق النقدية والتجارية في الفقه الإسلامي، ستر الجعيد (ص/١٤٤-١٩٤)، بحوث فقهية في قضايا اقتصادية معاصرة، د.محمد الأشقر و د.محمد شبير و د.عمر الأشقر و د.ماجد أبو رخية (٢٧٨/١-٢٨٧)، التكييف الشرعي للأوراق النقدية وما ينبنى عليه من أحكام فقهية، د.خالد شبكة(ص/٥١-١٤٥)، مجلة مجمع الفقه الإسلامي، العدد(١٦٤٠/٣/٣).

(٢) وممن قال به الشيخ عبدالله بن منيع، و د.يوسف القرضاوي، انظر: الورق النقدي،د.عبدالله المنيع(ص/١١٤)، فقه الزكاة،د.يوسف القرضاوي(٢٩٦/١).

(٣) مجلة مجمع الفقهي الإسلامي،العدد(٨)،(ص/٩٢٣).

(٤) مجلة مجمع الفقه الإسلامي، (٠٥٦١/٣/٣)

(٥) أبحاث هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية(٨٨/١).

(٦) وممن قال به الشيخ عبدالقادر ابن بدران، والشيخ محمد الأمين الشنقيطي، انظر: العقود الياقوتية في جيد الأسئلة الكويتية، ابن بدران (ص/٢٢١)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي (٣٠٣/١).

(٧) وممن قال به الشيخ عبدالرحمن السعدي، انظر: الفتاوى السعدية، عبدالرحمن السعدي(ص/٣٣٣)، عروض التجارة: عروض جمع عرض،»ما يعد لبيع وشراء لأجل ربح ولو من نقد»،وهذا تعريف الحنابلة،دقائق أولي النهى،البهوتي (٤٣٤/١)، وانظر بقية تعريفات فقهاء المذاهب: تبيين الحقائق،الزيلعي(٢٧٩/١)،الفواكه الدواني،النفراوي(٣٣١/١)، الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع،الشربيني(٢١٥/١).

(٨) وممن قال به الشيخ عبدالله بن بسام، والشيخ مصطفى الزرقا، انظر: الورق النقدي،د.عبدالله المنيع (ص/٦٧)، مجلة مجمع الفقه الإسلامي(١٦٩٣/٣/٣)،الفلوس:جمع كثرة للفلس :»وهو قطعة من النحاس يتعامل بها الناس وهي نوع من النقود المضروبة من غير الذهب والفضة»، معجم لغة الفقهاء،محمد رواس قلعجي وحامد صادق قنيبي(ص/٣٥٠).

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 139 03/04/2023 12:47 PM

القول الخامس: الأوراق النقدية بدل لما استعيضت عنه، وهما النقدان الذهب والفضة، وهو قول بعض العلماء المعاصرين[١].

أدلة الأقوال:

أدلة القول الأول:

الدليل الأول: إن الأوراق النقدية -وإن لم تكن ذات قيمة- بجوهرها لكن الرواج التصق بها، فهي التي تقضى بها حاجات الناس فيما يرغبون الحصول عليه، وتقضى بها الديون وتقدر بها المتلفات، وهذه الأمور هي وظائف النقود[٢].

نوقش: بأن الأوراق النقدية وإن كانت تؤدي وظيفة النقدين: الذهب والفضة لكنها تفارقها في أمور عديدة، من أبرزها[٣]:

أولاً: أن قيمة الأوراق النقدية اصطلاحية[٤]، أما الذهب والفضة فقيمتهما ذاتية.

ثانياً: أن الأوراق النقدية أكثر تغيراً غلاء ورخصاً من النقود الخلقية من الذهب والفضة .

أجيب عنه: أن الدول المعاصرة اعتبرتها نقوداً ومعياراً للسلع والخدمات وألزمت التعامل بها، وتلقاها الناس بالقبول،وأصبحت أثماناً لأشياء ذات قيمة عالية تزيد قيمتها عن أكبر قطعة نقدية من الذهب، فتعتبر نقداً قائماً بذاته كالذهب والفضة[٥].

الدليل الثاني: أن عدم إعطاء الأوراق النقدية هذا الوصف يحصل منه مفاسد كثيرة منها فتح باب الربا[٦].

(١) وممن قال به الشيخ عبدالرزاق عفيفي، انظر: الورق النقدي، د.عبدالله المنيع(ص/١٣٩).
(٢) انظر: أحكام الأوراق النقدية والتجارية في الفقه الإسلامي،ستر الجعيد(ص/١٩٠).
(٣) انظر: التضخم النقدي في الفقه الإسلامي،د.خالد المصلح(ص/٦٩)، بحوث فقهية في قضايا اقتصادية معاصرة،د.محمد الأشقر ود.محمد شبير ود.عمر الأشقر ود.ماجد أبو رخية(١/٢٧٨-٢٨٧).
(٤) النقود الاصطلاحية:» هي ما تعارف الناس على استخدامه وسيطاً للتبادل، وليس لقيمتها العينية أو الذاتية أثر في ذلك غالباً». انظر: التضخم النقدي في الفقه الإسلامي،د.خالد المصلح(ص/٥٨).
(٥) انظر: المعاملات المالية المعاصرة في الفقه الإسلامي، د.محمد شبير(ص/١٦٦)، التكييف الشرعي للأوراق النقدية وما ينبنى عليه من أحكام فقهية،د.خالد شبكة(ص/١٤٦).
(٦) نظر: أحكام الأوراق النقدية والتجارية في الفقه الإسلامي،ستر الجعيد(ص/١٩٠).

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 140 03/04/2023 12:47 PM

الدليل الثالث: أن العرف العام اعتبرها نقوداً شرعية وأعطاها صفة الثمنية، فقد حصلت الثقة بها كوسيط في التبادل[١].

الدليل الرابع: إن الشرع لم يفرض شيئاً معيناً ليكون نقداً، وإنما ترك ذلك لما يختاره الناس ويتوافقون عليه.

أدلة القول الثاني:

الدليل الأول: وجود تعهد من قبل الدولة التي أصدرتها على كل ورقة بتسليم قيمتها لحاملها عند طلبه[٢].

نوقش من وجهين[٣]:

أولاً: أن هذه الكتابة وإن كانت صحيحة في بداية نشأتها إلا أنها أصبحت أمراً تاريخياً لم يَعُد له وجود فِعْليٌّ حالياً.

ثانياً: أن هذا التعهد وضع سابقاً ليكون سبباً لترويج هذه الأوراق بين الناس، وقد انتهى حقيقة ورسماً.

الدليل الثاني: أن الغطاء لابد منه في هذه الأوراق من ذهب أو فضة أو من كليهما في خزينة من أصدرها وذلك له دلالته حيث أنها لا تستمد قوتها إلا من هذا الغطاء فهي إذاً وثيقة به[٤].

نوقش: لم يعد ضرورياً على من أصدر هذه الأوراق أن يقوم بتغطيتها بذهب أو فضة غطاءاً كاملاً، وإنما يغطي بعضها بذهب أو فضة أو بعملات دوليه رائجة أو باقتصاد البلد، بل إن بعض هذه الأوراق قد تصدر من غير غطاء كما في الأزمات[٥].

(١) المعاملات المالية المعاصرة في الفقه الإسلامي، د.محمد شبير(ص/١٦٥).
(٢) المعاملات المالية المعاصرة في الفقه الإسلامي، د.محمد شبير(ص/١٦٥).
(٣) نظر: أحكام الأوراق النقدية والتجارية في الفقه الإسلامي،ستر الجعيد(ص/١٥٢).
(٤) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي(١/٣٠٣).
(٥) انظر: أحكام الأوراق النقدية والتجارية في الفقه الإسلامي،ستر الجعيد(ص/٢٥١).

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 141 03/04/2023 12:47 PM

الدليل الثالث: أن السلطة التي تصدر هذه الأوراق تتعهد بضمانها إذا سقطت، أو الغي التعامل بها وهذا مما يدل على كونها وثيقة بديّن[١].

نوقش: أن هذا التعهد لا يدل به على اعتبار الورقة سنداً بدين على مصدرها، وإنما غاية ما يعني أنه ضمان بدفع القيمة لمن يملك الورقة لترويج هذه الأوراق بين الناس[٢].

أدلة القول الثالث:

الدليل الأول: أن الأوراق النقدية ليست ذهباً ولا فضة، وليست بمكيلة ولا موزونة، إنما هي أعيان معتبرة القيمة ليس لها جنس تلحق به، فلا يجري فيها الربا[٣].

نوقش من وجهين[٤]:

أولاً: أن الأوراق النقدية ليس لها قيمة ذاتية، بل قيمتها اصطلاحية، وهذا يلحقها بالذهب والفضة بجامع الثمنية في كل منهما.

ثانياً: أن عروض التجارة هي ما أعد للبيع والشراء من أجل الربح، والأوراق النقدية لا تعد لذلك.

الدليل الثاني: أن هذه الأوراق إذا سقطت دولتها وانهارت شركتها تبقى لا قيمة لها وهذا يدل من حيث الواقع على أنها ليست نقداً، وإن كانت تقوم مقامه في الثمنية مؤقتاً[٥].

نوقش: على فرض التسليم بهذه المقولة فليس فيها دلالة على انتفاء الثمنية، إذ البحث فيها وقت قيام دولتها وتحقيقها لوظائف النقدين أما وقت حدوث ما ذكر فإنها خارج محل النزاع[٦].

---

(١) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي(٣٠٣/١).
(٢) انظر: أحكام الأوراق النقدية والتجارية في الفقه الإسلامي،ستر الجعيد(ص/٢٥١).
(٣) نظر: الفتاوى السعدية، عبدالرحمن السعدي(ص/٠٤٣).
(٤) انظر: التضخم النقدي في الفقه الإسلامي،د.خالد المصلح(ص/١٧).
(٥) انظر: الفتاوى السعدية، عبدالرحمن السعدي (ص/٣٤٠)، أحكام الأوراق النقدية والتجارية في الفقه الإسلامي، ستر الجعيد(ص/١٥٧).
(٦) أحكام الأوراق النقدية والتجارية في الفقه الإسلامي،ستر الجعيد(ص/٧٥١).

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 142 03/04/2023 12:47 PM

الدليل الثالث: الأوراق النقدية مال متقوم يحاز ويدخر ويباع ويشترى كالسلع فهو يأخذ حكمها[١].

نوقش: أن هذا البيع والشراء لغرض أنها سكة تقوم بوظائف النقدين في بلد الإصدار لا لأنها عروض للتجارة[٢].

أدلة القول الرابع:

الدليل الأول: أقرب الأشياء بالأوراق النقدية شبهاً هي الفلوس، فكلاهما نقد اصطلاحي[٣].

نوقش: أن الأوراق النقدية تفارق الفلوس في أن الفلوس لا يتعامل بها بالعرف التجاري قديماً وحديثاً إلا في المحقرات، فلا يشترى بها شيء له بال، بخلاف الأوراق النقدية[٤].

الدليل الثاني: وجود الحاجة إلى المعاملة بالأوراق النقدية، وأن جريان الربا فيها ربما أوقع الناس في الحرج والمشقة التي هي منفية بالشرع[٥].

نوقش: أن الحاجة قد تكون في إلحاقها بالنقدين حتى تنضبط معاملات الناس ولا نغريهم بالربا ونشجعهم على الحرام[٦].

دليل القول الخامس:

أن الأوراق النقدية قامت مقام الذهب والفضة وحلت محلها فليس من مانع من إجراء أحكام الذهب والفضة عليها لاسيما أن البدل له حكم المبدل[٧].

نوقش: بأن الغطاء من الذهب أو الفضة ألغي منذ زمن بعيد، ولم يعد إصدار

(١) الفتاوى السعدية، عبدالرحمن السعدي(ص/٣٤٠)، المعاملات المالية المعاصرة في الفقه الإسلامي، د.محمد شبير(ص/١٦٤).

(٢) انظر: أحكام الأوراق النقدية والتجارية في الفقه الإسلامي،ستر الجعيد(ص/٧٥١).

(٣) انظر: التضخم النقدي في الفقه الإسلامي،د.خالد المصلح(ص/٤٦).

(٤) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي(٣٠٣/١).

(٥) نظر: أحكام الأوراق النقدية والتجارية في الفقه الإسلامي،ستر بالجعيد(ص/٧٧١).

(٦) لفتاوى السعدية،

(٧) عبدالرحمن السعدي (ص/٣٤١)، وقاعدة البدل له حكم المبدل، انظر: روضة الناظر وجنة المناظر، ابن قدامه(٥٧٥/١)، القواعد لابن رجب، ابن رجب (ص/٣١٤)، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، الشوكاني (٢٦٢/١).

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 143 03/04/2023 12:47 PM

الأوراق النقدية وقبولها مستنداً إليه، وإنما تستند قوتها من قوة اقتصاد الدولة المصدرة لها[1].

الترجيح:

الراجح -والله أعلم- القول الأول القائل بأن الأوراق النقدية نقد قائم بذاته؛ لقوة أدلته ومناقشة أدلة الأقوال الأخرى.

ثمرة الخلاف:

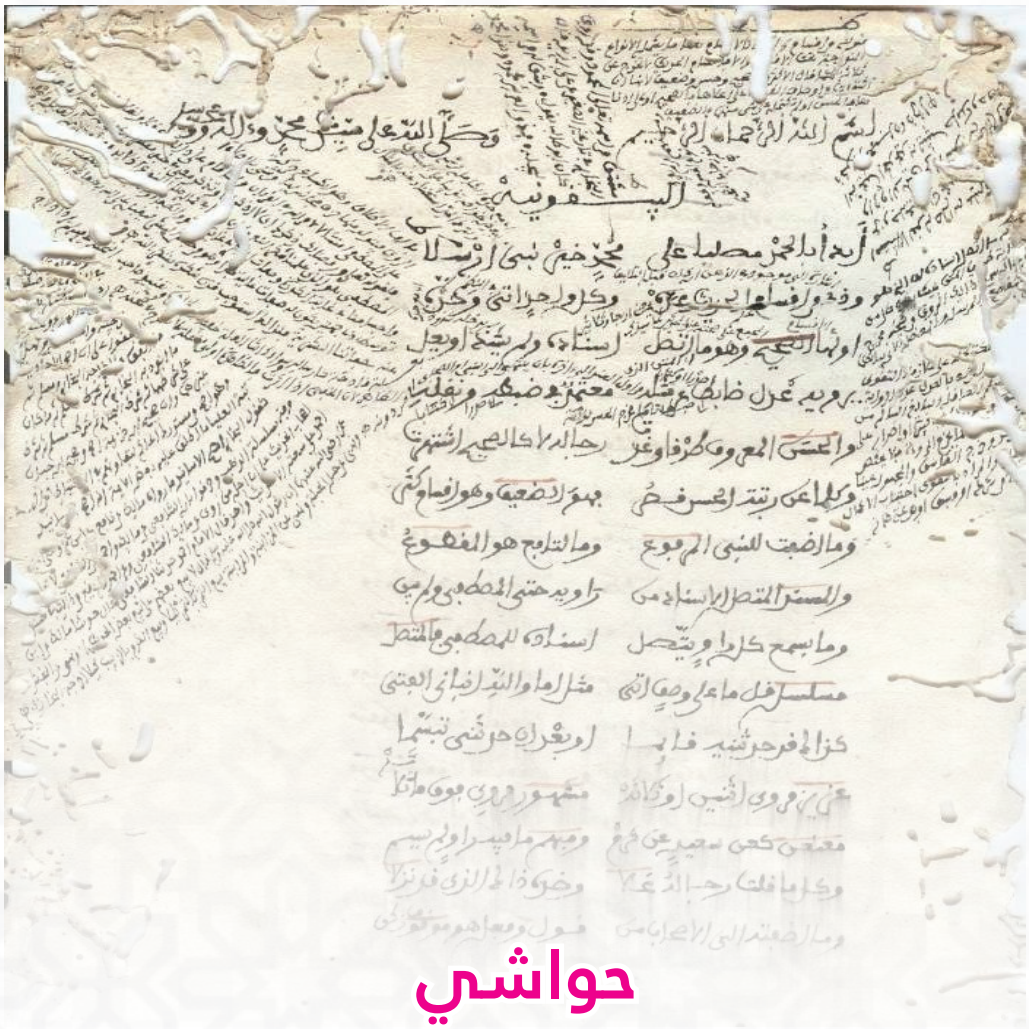
تظهر ثمرة ترجيح القول بأن الأوراق النقدية نقد قائم بذاته فيما يلي:

تأخذ الأوراق النقدية حكم النقدين من جريان الربا فيها، ووجوب الزكاة إذا بلغت النصاب، وجواز جعلها رأس مال في بيع السلم والشركات[2].

(١) انظر: التضخم النقدي في الفقه الإسلامي،د.خالد المصلح(ص/٧٠).

(٢) انظر: أبحاث هيئة كبار العلماء(٨٨/١)، مجلة مجمع الفقهي الإسلامي، العدد(٨)، (ص/٣٢٩)،بيع السلم هو: عقد على موصوف في الذمة مؤجل بثمن مقبوض في المجلس، هذا تعريف الحنابلة، انظر: الإقناع، الحجاوي(١٣٣/٢)، ولبقية المذاهب انظر: مواهب الجليل، الحطاب(٥١٤/٤)، المبسوط، السرخسي(١٢٤/١٤)، نهاية المطلب، الجويني(٥/٦).

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 144 03/04/2023 12:47 PM



حواشي
على المنظومة البيقونية

تحقيق
الموجه الفني العام
د. عبدالعزيز الرمح

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 145 03/04/2023 12:47 PM

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين أما بعد.

فهذا جزء لطيف وهو (حواشي على المنظومة البيقونية) للشيخ عبدالرحمن بن سليمان الأهدل الحسيني (ق١٠٥٢هـ) رحمه الله، أقدمه لكم بعد ضبط نصه قدر الوسع والطاقة والله أسال أن ينفع به وأن يكتب لي أجره.

اسمه ونسبه وكنيته :

عبدالرحمن بن سليمان بن يحيى بن عمر بن عبدالقادر بن أحمد بن عبدالله بن أبي بكر بن مقبول بن الأهدل الزبيدي الشافعي الحسيني ولدة الأكبر اسمه (محمد) والمتعاف عليه أن يكنى الرجل بأكبر أولاده، ولعل اشتهار بلقب (وجيه الدين) ويختصر أحيانا، فيقال : (الوجيه عبدالرحمن) غلب على كنيته.

مولده :

ولد في مدينة زبيد في الخامس من ذي القعدة من عام (١١٧٩هـ - ١٧٦٦م) ونشأ في أسرة مشهورة بالعلم، فوالده الإمام العلامة المحدث، مسند اليمن، ومفتي زبيد في عصره، سليمان بن يحيى الأهدل.

شيوخه وتلاميذه:

تلمذ الوجيه الأهدل على عدد من علماء عصره، وأخذ الإجازة عن أكثرهم، فمنهم :

١) سليمان، والده.
٢) عبدالقادر بن أحمد بن عبدالقادر الصنعاني.
٣) عبدالله بن محمد بن إسماعيل الأمير.
٤) قاسم بن محمد بن إسماعيل الأمر
٥) محمد مرتضى الزبيدي.

قال عبدالحي الكتاني : فجملة مشايخ الوجيه الأهدل الذين أجازوه عامة مروياتهم نحو الأربعين، وأنت إذا علمت أن فيهم من مشايخ الحافظ (مرتضى)

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 146 03/04/2023 12:47 PM

أربعة عشر كسليمان الأهدل وعبدالرحمن العيدروس والجرهزي وابن الخليل والمرقري والجبيلي وأحمد قاطن والكردي وابن عبدالشكور وغيرهم. مع كون الأهدل عاش بع الحافظ مرتضى نحو الخمسين سنة / علمت أن الوجيه الأهدل كان خاتمة من يرجل إليهم في الدنيا لعلو إسناده ووافر جاهه وبعج صيته وكبير علمه أما تلاميذه، فقد تلمذ عليه مجموعة أهل العلم وأخذ الإجازة عنه أكثرهم، فمنهم :

١) أحمد بن محمد بن علي بن محمد الشوكاني.
٢) علي بن محمد بن علي بن محمد الشوكان.
٣) محمد بن طاهر الأنباري الملقب : بالشافعي الصغير.
٤) محمد بن عبدالرحمن الأهدل، ولده.
٥) محمد بن علي بن محمد الشوكاني، العلامة المجتهد المطلق.
٦) محمد بن محمد باقيس الحضرمي.

ثناء العلماء عليه:

قال الشوكاني في ترجمة والده، بعد ذكره لوفاته: وقام مقامه ولده العلامة عبدالرحمن بن سليمان في وظيفة التدريس والإفتاء مع حداثة سنه، وله (شغل كبير) بالعلوم العقلية والنقلية وميل إلى التعبد وأفعال الخير، وهو الآن حي، وفتاويه تصل إلينا، وهي فتاوى متقنة ينقل في كل ما يرد عليه من السؤالات نصوص أئمة مذهبه من الشافعية، وقد كتب إلى معاهدة مشتملة على نثر حسن يدل على تعلقه بالأدب.

وقال صديق بن حسن خان : ألف الفقيه العلامة : سعد بن عبدالله سهيل، في ترجمته كتاباً حافلاً في سنة ١٢٦٣هـ، سماه : (فتح الرحمن في مناقب سيدي عبدالرحمن بن سليمان) قال فيه : كان : رضي الله عنه : من صدور المقربين صاحب العلوم الجمة والفنون الكثيرة والكرامات.

والمقامات الفاخرة، تصانيفه دالة على سعة علمه وغزارة اطلاعه. وكان في غاية من العبادة ـ سيما قيام الليل وتلاوة الكتاب العزيز ـ وكان هجيره خلفاء النبي ـ صلي الله عليه وسلم ـ وكان حسن الخلق لين الجانب قريب التناول يتصل

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 147 03/04/2023 12:47 PM

به كل أحد يتكلم باللسان العالي في لطائف الأسرار .

وقال عبدالحي بالكتاني كان خاتمة من يرحل إليهم في الدنيا لعلو إسناده ووافر جاهه وبعد صيته وكبير علمه وكان من الدعاة إلى الأثر والهدي النبوي، مع كونه كان متولياً إفتاء زبيد.

مؤلفاته :

ترك الوجيه الأهدل مجموعة من المصنفات العلمية التي تدل على سعة علمه، وتنوع معارفه، ولازال الكثير منها مخطوطاً، وهي : (مرتبة على حروف الهجاء):

١) تحفة النساك في شرب التنباك.

٢) تلقيح الأفهام في وصايا خير الأنام.

٣) الجنى الداني على مقدمة الزنجاني في التصريف.

٤) حواشي على المنظومة البيقونية.

٥) رسالة في البندقة.

٦) الروض الوريف في استخدام الشريف.

٧) شرح بلوغ المرام (بلغ فيه إلى التيمم، ولم يتمه).

٨) شرح تيسير الوصول إلى جامع الأصول.

٩) فتح العلي في معرفة سلب الولي.

١٠) فتح اللطيف شرح مقدمة التصريف.

١١) فرائد الفوائد وقلائد الخرائد.

١٢) فهرسته الموسومة ببركة الدنيا والأخرى في الإجازة الكبرى.

١٣) كشف الغطا عن أسئلة ابن العطا.

١٤) مصباح القاري شرح صحيح البخاري.

١٥) المنهج السوي على المنهل الروي في الحديث.

١٦) النفس اليماني والروح الريحاني في إجازة القضاة بني الشوكاني، قال الكتاني

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 148 03/04/2023 12:47 PM

عن هذا الكتاب : من أنفس ما ألف وأرفع ما صنف في القرن المنصرم، اتساع رواية وعلو إسناده، وضم المكي للهندي والخراساني للمني والمغربي للمصري، ألفه باسم أولاد الحافظ الشوكاني، وقد طبع عام ١٩٧٩م بتحقيق ونشر مركز الدراسات والأبحاث اليمنية صنعاء.

وفاته:

توفى في مدنية زبيد بعد أن مرض قريباً من عشرة أيام، في شهر رمضان سنة (١٢٥٠هـ. ١٨٣٥م) وله من العمر إحدى وسبعون سنة وأرخ بعض الفضلاء وفاته بقوله : (ليهنك الفردوس مفتى الأنام) .

انظر ترجمته في : البدر الطالع للشوكاني (١/ ٢٦٧)، نيل الوطر (لابن زبارة الصنعاني) (٢/٣٠)، هدية العارفين (لإسماعيل باشا البغدادي) (ص ٥٥٧)، فهرس الفهارس (للكتاني) (٢/١٠٢)، التاج المكلل (لمحمد صديق حسن خان القنوجي) (٤٨٤ – ٤٧٩)، معجم المؤلفين (لعمر كحالة) (٢/١٤٨).

النص المحقق:

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين، الحمد لله الذي رفع من وقف ببابه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وأصحابه وبعد، فيقول العبد الفقير إلى الله تعالى محمد بن عبدالرحمن بن سليمان بن يحيى بن عمر مقبول الأهدل عفا الله عنهم، هذه حواشي مفيدة إن شاء الله تعالى على المنظومة البيقونية في علم مصطلح الحديث استمليتها من سيدي ووالدي وشيخي العلامة السيد عبدالرحمن بن سليمان مقبول الأهدل مد الله في عمره في طاعته مع قراءتي لها عليه، وقيدت تلك الفوائد بقيد الكتابة خشية فواتها، إذ العلم كما قيل صيد، والكتابة قيد، نفعني الله بذلك ومن يشاء من عباده، وجعل الأعمال خالصة لوجهه الكريم، آمين.

بسم الله الرحمن الرحيم. قوله: (بسم الله) اسم الشيء ما يعرف به، وأسماء الله دالة بحقائقها على ذاته وصفاته وبوجودها على وجوده (وبتعييناتها)[1] على وحدته والمعنى بكل اسم من أسماء الذات الواجب الوجود لا بشيء غيرها أألف

(١) كذا في (أ) وفي(ب): وبتعيّناتها.

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 149 03/04/2023 12:47 PM

مصاحبا وملابسا ومستعينا. قوله: (الرحمن) المفيض نعمة الإيجاد، قوله: (الرحيم) المفيض نعمة الإمداد، وهما نعمتان ما خلا منهما مخلوق، وللإشارة إليهما ظهر وجه تخصيص هذين الاسمين والله أعلم. أبدأ بالحمد (مصلياً) على محمد خير نبي أرسلا . قوله (أبدأ بالحمد) أي بالوصف الجميل لله بدأ حقيقياً إن لم تكن البسملة من وضعه وإلا فإضافياً أو عرفياً امتثالاً لقوله صلى الله عليه وسلم إن الله يحب أن يحمد. رواه الطبراني وغ[1] يره والبسملة حمد لله تعالى ، قوله مصلياً أي ومسلماً ونصبهما على الحال المقدرة والمعنى داعياً بعد الحمد بالصلاة، أي الرحمة المقرونة بالتعظيم المنزلة على محمد، مشتق من اسمه تعالى المحمود.وقد روى البخاري في تاريخه الصغير عن أبي زيد قال : كان أبو طالب يقول (شعر)[2] (وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد) خير نبي وهو إنسان كامل أوحي إليه بشرع وإن لم يؤمره بتبليغه فإن أمر به فرسول أيضاً على أرجح وأشهر الأقوال الثلاثة المذكورة في شرح جمع الجوامع وغيره (وقال)[3] صلى الله عليه وسلم: «أنا سيد الناس يوم القيامة». رواه البخاري وقال: «ما من نبي آدم فمن تحته إلا تحت لوائي». رواه الترمذي. قوله (أرسلا) بألف الإطلاق وهو إشباع حركة الروي[4] فيتولد منها حرف مجانس لها، وحذف المتعلق لإفادة العموم أما الثقلين فإجماع وأما الملائكة فعلى غير مرجح الرملي تبعاً لوالده ولغيره والله أعلم. وذي من أقسام الحديث عدَّه / (ق ١ / ب) وكل واحد أتى وحَدَّه. قوله وذي المنظومة إشارة إلى مستحضر في الذهن استحضارا قويا إن تأخرت عما قبلها وإلا فإلى ما في الخارج من أقسام الحديث بنقل فتحة الهمزة إلى النون بعد سلب ما كان بها من السكون و(من) للبيان أو للتبعيض، وهو الأقرب (عدة) إثنان وثلاثون نوعا. والحديث لغة ضد القديم، واصطلاحا كما قال ابن جماعة علم بقوانين أو قواعد يعرف بها أحوال السند والمتن من صحة وحسن وضعف وعلو ونزول وكيفية التحمل والأداء وصفات الرجال وغير ذلك. قوله (وحدّه) بتشديد الدال المهملة أي مع حده، فهو منصوب على أنه مفعول معه، والمراد بالحد هنا مطلق التعريف، والله أعلم. (أولها الصحيح وهو ما اتصل:

---

(١) المعجم الكبير ٢٨٣/١.

(٢) كذا في (أ) وغير موجود في (ب).

(٣) كذا في (أ) وفي (ب): قال.

(٤) حركة الروي: الروي الحرف الذي تنسب إليه القصيدة.

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 150 03/04/2023 12:47 PM

إسناده ولم يُشذ أو يُعل) ، قوله (أولها) وفي نسخة (الأول). قوله (الصحيح) هو فعيل بمعنى فاعل، وهي حقيقة في الأجسام، واستعماله هنا مجاز أو استعارة تبعية، وهو لغة الصدق، واصطلاحا ما اتصل إسناده. قال السخاوي: الاتصال هو سماع كل راو لذلك المروي ممن فوقه إلى أن يصل إلى المتن، فخرج المنقطع والمعضل والمرسل، وسيأتي بيانهما. قوله (ولم يشذ) بشين وذال معجمتين ، أو يعل بعين مهملة ، وهو كالذي قبله مبني للمجهول ، أي لم يدخله شذوذ ولا علة قادحة، وسيأتي بيانهما، والله أعلم. (يرويه عدل ضابط عن مثله: معتمد في ضبطه ونقله). قوله (يرويه) أي الحديث، (عدل) وهو ذو ملكة تمنع من ارتكاب الكبائر والإصرار على الصغائر، فخرج المجهول عينا أو حالا والمعروف بالضعف، قوله (ضابط) أي متقن ، فخرج به المغفل وكثير الخطأ، قوله (عن مثله) أي عن عدل ضابط مثله إلى منتهى السند، قوله (معتمد) أي في ضبطه لما يمليه، ونقله لما يرويه، إما ضبط صدر أو ضبط كتاب، مضبوطا على الشيوخ ، والله أعلم. (والحسن المعروف طرْقا وغدت رجاله لا كالصحيح اشتهرت). قوله (والحسن) هو لغة ما تميل إليه النفس، واصطلاحا نوعان ، حسن لذاته وحسن لغيره، فأشار إلى الأول تبعا للخطابي بقوله المعروف طرقا، بسكون الراء، وآثره على الضم الأشهر للوزن وانتصب طرقا على التمييز المحول عن نائب الفاعل أي الذي عرفت طرقه، والمراد الرجال المخرجون له، قال شيخ الإسلام: وذلك كناية عن الاتصال، إذ المرسل والمعضل والمنقطع / (ق ٢ / أ) والمدلَّس بفتح قبل أن يتبين تدليسه لا يعرف مخرج الحديث منها ، قوله (وغدت رجاله) أي في العدالة والضبط، لا كرجال الحديث الصحيح اشتهرت بل أقل اشتهارا، والثاني هو ما في إسناده مستور لم (تتحقق)[1] أهليته غير أنه ليس مغفلا ولا كثير الخطأ فيما يرويه ولا متهما بالكذب فيه، ولا ينسب إلى مفسق واعتضد بمتابع أو شاهد مع السلامة من الشذوذ والعلة القادحة ، والمراد بالمتابع ما روي باللفظ، وبالشاهد ما روي بالمعنى، والله أعلم. (وكل ما عن رتبة الحسن قصر: فهو الضعيف وهو أقسام كثر)، قوله (وكل ما عن رتبة الحسن) أي والصحيح لفهمه باللزوم ، قوله (قصر) أي انحط قوله (فهو الضعيف) وهو أي الضعيف أقسام كثر ، أي كثيرة ، أصولها

(١) في (أ) (ب): يتحقق.

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 151 03/04/2023 12:47 PM

ثلاثة وستون مبينة في المبسوطات والله أعلم.(وما أضيف للنبي المرفوع.وما لتابعي هو المقطوع) قوله (وما أضيف) أي إضافة صحابي أو تابعي أو غيرهما ، قوله (للنبي) صلى الله عليه وسلم قولا أو فعلا أو تقريرا أو همّا أو صفة هو المرفوع ، سواء اتصل إسناده أو لا ، قوله (وما لتابعي) أي وما أضيف لتابعي قولا أو فعلا هو المقطوع ، والله أعلم . (والمسند المتصل الإسناد من: راويه حتى المصطفى ولم يبن)، قوله والمسند المتصل الإسناد ظاهرا من راويه حتى المصطفى كحدثني مالك، عن نافع، عن ابن عمر، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قوله (ولم يبن) أي ينفصل لا حاجة إليه ولكن ذكره تأكيدا والله أعلم. (وما بِسَمْع كل راو يتصل .. إسناده للمصطفى فالمتصل) . قوله (وما بسمع) أي سماع كل راو أو يتصل إسناده للمصطفى أو غيره ، وهو الحديث المتصل ، والله أعلم . (مسلسل قل ما على وصف أتى : مِثل أما والله أنبأني الفتا) قوله (مسلسل قل) أيها الطالب هو (ما على وصف أتى) أي ما تتابع رجال إسناده واحدا فواحدا على صفة واحدة، وحالة واحدة ، قوله (مثل) بكسر الميم وسكون المثلثة ، أي كقول الراوي ، (أما) للاستفتاح (أنبأني) أي أخبرني (الفتى) العدل الضابط يقول أشهد بالله لقد حدثني فلان بكذا، ثم يسوقه مسلسلا بالقسم ، وهذا مثال المسلسل القولي، وأما الفعلي فأشار إليه بقوله (كذاك قد حدثني به قائما : أو بعد أن حدثني تبسما) وقد أفرد العلماء في المسلسلات تآليف كثيرة منها لابن عقيل / (ق٢/ ب) الفوائد الجليلة. ثم التسلسل قد يكون في كل الإسناد وقد يكون في معظمه ، والله أعلم . (عَزِيز مَروِيٌّ اثنَين أوْ ثَلاثة: مَشْهور مَرْوِيٌّ فَوْقَ ما ثَلاثة) . قوله (عزيز) بلا تنوين للضرورة ، قوله (مروي اثنين) بسكون الياء ، أو مروي ثلاثة هكذا عرفه ابن منده وابن طاهر ، وهو ما يرويه اثنان عن اثنين إلى آخر السند من غير زياده، ولو طولب بشيء من أمثلته لعز وجوده ، بل امتنع ، قاله السخاوي، وقال ابن حبان : إن رواية اثنين عن اثنين إلى أن ينتهي لا يوجد أصلا ، قوله (مشهور) بلا تنوين (مروي) بسكون الياء (فوق ما ثلاثة) ما زائدة ، أي فوق ثلاثة، وهو ما رواه أكثر من ثلاثة ، قال ابن حجر : وهو المستفيض ، سمي بذلك لانتشاره ، من فاض الماء يفيض ، تنبيه : العزيز والمشهور ، لا ينافي الحسن والصحيح والضعيف ، والله أعلم . (مَعَنْعَنٌ كَعَن سَعيدٍ عَنْ كَرَمْ : وَمُبهَمٌ مَا فيهِ رَاوٍ لَم يُسَمْ). قوله (معنعن) وهو المشتمل على العنعنة ، وهو قول الراوي عن فلان،

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 152 03/04/2023 12:47 PM

ومثل له الناظم بقوله : (عن سعيد عن كرم) ، بالكاف والراء من غير بيان للتحديث أو الإخبار أو السماع، واختلفوا في حكم الإسناد المعنعن ، والصحيح الذي عليه العمل أنه من قبيل الإسناد المتصل بشرط ثبوت ملاقاته لمن رواه عنه بالعنعنة ، ولم يكن المعنعن مدلسا ، ومثل المعنعن المؤنن ، بتشديد النون الأولى ، وهو ما فيه أنّ بالفتح والتشديد بنحو أن (فلان)[1] قال ومعظم العلماء على التسوية بينهما ، قوله (ومبهم) أي الثاني عشر من الأقسام حديث مبهم، (وهو ما) أي الإسناد الذي فيه راو مجهول لم يسمّ، كسفيان عن رجل، ولا يقبل حديث المبهم ما لم يسم لأن شرط قبول الخبر عدالة راويه ، ومن أبهم اسمه لا يعرف اسمه فكيف عدالته ، فلا يقبل خبره إلا إن كان المبهم صحابيا فيقبل ويتوصل (بمعرفة)[2] المبهمات بجمع طرق الحديث غالبا، وقد صنف العلماء من أئمة الحديث في هذا النوع كتابا سماه (المستفاد من مبهمات المتن والإسناد)، ومن (فوائد) تبيين الأسماء المبهمة تحقيق الشيء على ما هو عليه، والله أعلم. (وكلما قلت رجاله علا: وضده ذاك الذي قد نزلا) قوله (وكلما) أي كل حديث قلت رجاله في العدد علا ، أي ارتفع لقربه من النبي صلى الله عليه وسلم. / (ق٣ / أ) قال محمد بن أسلم الطوسي: قرب الإسناد قربة إلى الله تعالى. قوله (وضده) وهو الذي كثرت رجاله ، قوله (ذاك) أي المذكور ، قوله (قد نزلا) قال ابن حزم : نقل الثقة عن الثقة ، يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم مع الاتصال، خص الله به المسلمين دون سائر الملل، (ومَا أضفتهُ إلى الأصْحَابِ مِن: قَوْلٍ وفعْلٍ فهْوَ مَوْقُوفٌ زُكِنْ) قوله (وما) أي والحديث الذي أضفته إلى الأصحاب من قول وفعل وخلا عن قرينة الرفع فهو حديث موقوف على ذلك الصحابي ، قوله (زكن) أي علم، (وَمُرْسلٌ مِنهُ الصَّحَابُي سَقَطْ : وقُلْ غَريبٌ ما رَوَى رَاوٍ فَقطْ) قوله (ومرسل منه) أي من إسناده (الصحابي سقط) بأن تركه التابعي ، ثم المرسل حديث ضعيف لا يحتج به عند جماهير المحدثين وكثير من الفقهاء وأرباب الأصول ، وقال أبو حنيفة ومالك وأحمد إنه صحيح يحتج به. قوله (وقل غريب ما) أي رواه راو فقط أي انفرد بروايته، والفاء في فقط لتزيين اللفظ، بمعنى حسب، وقيل الدالة على شرط مقدر، والتقدير إذا عرفت ذلك فانته، وذلك

(١) كذا في المخطوط.

(٢) جاء في الحاشية نسخة (ب) عبارة (الظاهر لمعرفة).

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 153 03/04/2023 12:47 PM

كحديث النهي عن بيع الولاء وهبته، فإنه لم يصح إلا من حديث عبد الله بن دينار عن ابن عمر، وينقسم الغريب إلى صحيح كالأفراد المخرجة في الصحيحين، وإلى ضعيف ، وهو الغالب على الغرائب ، وإلى حسن، وفي جامع الترمذي لذلك أمثلة كثيرة . (وكل ما لم يتصل بحال: إسناده منقطع الاوصال) قوله (وكل ما) أي كل حديث لم يتصل بحال إسناده بالرفع فاعل يتصل بأن سقط من سنده راو من أي موضع كان ، بحيث لا يزيد الساقط في كل حال على واحد ، وكان السقط قبل الصحابي ، فخرج بما قبل الصحابي المرسل ويكون الساقط واحدا. المعضل (والمعضل الساقط منه اثنان : وما أتى مدلسا نوعان) قوله : (والمعضل) من عضله أي أعياه ، فكأن المحدث الذي حدث به أعياه فلم ينتفع به ، هذا معناه لغة، وأما اصطلاحا فهو الساقط من سنده اثنان فصاعدا ، سواء كان الساقط الصحابي والتابعي ، أو غيرهما، فيدخل فيه كما قال ابن الصلاح قول المصنفين: قال النبي صلى الله عليه وسلم.(الاول الإسقاط للشيخ وأن: ينقل عمن فوقه بعن وأن) (والثاني لا يسقطه لكن يصف: أوصافه بما به لا ينعرف) (ق ٣ / ب) قوله (الإسقاط للشيخ) الذي حدثه لكونه من الضعفاء. قوله (وَأَنْ ينقلُ) شيخ عن شيخ (فمن فَوْقَهُ بِعَنْ وَأَن) بتشديد المسكنة للوقف ، ونحوهما كقال مما لا يقتضي اتصالا لئلا يكون كذبا ، والنوع الثاني لا يسقطه ويسمى تدليس الشيوخ أي لا يسقط الشيخ الذي سمع ذلك الحديث منه . قوله (لَكِنْ يَصِفْ أَوْصَافَهُ بِمَا بِهِ لاَ ينعرف) أي يذكره بوصف لا يشتهر كي يوعر أي يصعب معرفة الطريق على السامع من اسم أو كنية أو لقب أو بلدة أو صنعة أو نحو ذلك ، وقد صنف الحافظ ابن حجر «تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس»، قال السخاوي المدلسون على (خمسة)[1] مراتب: الأول من لا يوصف به إلا نادرا، الثاني: من كان تدليسه قليلا بالنسبة لما روى مع إمامته، الثالث: من أكثر من غير تقيد بالثقات، الرابع: من كان أكثر تدليسه عن الضعفاء، الخامس: من انضم إليه ضعف بأمر آخر. وقوله (لا ينعرف) غير عربي، إذ لا يقال انعرف ، كما لا يقال انعدم، لأن انفعل لمطاوعة فعل نحو قطعته فانقطع، ولا يُبنى إلا لما فيه علاج وتأثير، ومعنى العلاج فيه أن يكون من الأفعال الظاهرة للعيون ،

(١) كذا في (أ) و (ب)، والصواب: (خمس)

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 154 03/04/2023 12:47 PM

كالقطع والجذب والكسر ، فلا يقال علمته فانعلم ، ولا فهمته فانفهم ، ولا حصرته فانحصر ، ولا عدمته فانعدم ، ويقال قلته فانقال ، لأن القول علاج ، لأن القائل يعمل في تحريك لسانه ، وكان الصواب أن يقول بما به لا يتصف ، والله أعلم . (وما يخالف ثقةٌ فيه المَلا ... فالشاذُ والمَقْلُوبُ قِسْمَانِ تَلا ... إبْدَالُ رَاوٍ مَا بِرَاوٍ قِسْمُ ... وَقَلْبُ إسْنَادٍ لِمَتْنٍ قِسْمُ) . قوله (وما يخالف ثقة) أي راو ثقة بزيادة أو نقص في السند أو في المتن ، قوله (فيه الملا) بالإسكان للوزن أي الجماعة الثقات فيما رووه ، وتعذر الجمع بينهما . قوله (فالشاذ) أي فهو الحديث الشاذ لأن العدد أولى بالحفظ من الواحد، قال في «المختار»: إنما قيل للجماعة ملأ، لأنهم يملؤون القلوب هيبة ، والمجالس أبهة ، قوله (والمقلوب) هو من أقسام الضعيف ، وهو قسمان تلا أي تبع ما سبق من الأنواع ، القسم الأول : (إبدال راو ما) أي راوٍ كان براو آخر نظيره في الطبقة ، قوله (قسم) أي قسم أول و (ما) يجوز أن تكون زائدة ، وأن تكون بقلب التنوين ميما وإدغامها في الميم ، قوله (وقلب إسناد) أي نقله عن متن وجعله لمتن آخر مروي بسند آخر ، قسم آخر ثان، (والفرد ما قيدته بثقة: أو جمع أو قصر على رواية) / (ق٤/ أ) قوله والفرد وهو قسمان ، فرد مطلق بأن ينفرد به راو واحد عن كل أحد وسبق حكمه في الشاذ ، وثانيهما فرد مقيد بالنسبة إلى جهة خاصة وإليه أشار بقوله ما قيدته بثقة أو جمع، ولو قال الناظم بدل جمع بلد كان أولى لأنهم يقولون تفرد به أهل بلد كذا ويريدون الجمع منها، قوله (أو قصر على رواية) كقولهم لم يروه عن فلان إلا فلان، (وما بعلة غموض أو خفاء: معلل عندهم قد عرفا)، قوله (وما بعلة) أي وما هو من الحديث بعلة في سند أو متن غموض أو خفاء، بيان للعلة، وعطف الخفا على الغموض تفسير، فالعلة عبارة عن أسباب خفية طرت على الحديث فقدحت في قبوله، لكن تلك العلة لا يدركها إلا أهل الحفظ والخبرة والفهم الصحيح. قوله (معلل) خبر (ما) أي إن ما فيه العلة المتقدم بيانها يقال له معلل ، قوله (عندهم) أي عند أهل الفن قد عرفا. (وذو اختلاف سند أو متن: مضطرب عند أهل الفن)، قوله (وذو اختلاف سند أو متن) فهو حديث مضطرب، والاضطراب موجب أي سبب لضعفه عند أهل الفن، وذلك بأن روى الحديث واحد أو أكثر مرة على وجه ومرة على وجه آخر مخالف له بحيث لم يرجح أحدهما على الآخر ولم يمكن الجمع، مثاله: حديث فاطمة بنت قيس سألت النبي صلى

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 155 03/04/2023 12:47 PM

الله عليه وسلم عن الزكاة فقال: « إن في المال لحقا سوى الزكاة» ، وروى عنها بلفظ: «ليس في المال حق سوى الزكاة». هكذا مثل بعضهم للمضطرب.(والمدرجات في الحديث ما أتت : من بعض ألفاظ الرواة اتصلت) قوله (والمدرجات في الحديث) متنا أو سنداً، فالأول ما، أي ألفاظ أتت من بعض ألفاظ الرواة اتصلت، وذلك بأن يقول الراوي كلاماً يريد أن يستدل عليه بالحديث فيأتي به بلا فصل فيتوهم أن الكل حديث، مثاله حديث محمد بن زياد، عن أبي هريرة مرفوعاً، أسبغوا الوضوء ويل للأعقاب من النار: فقال أسبغوا الوضوء مدرج من قول أبي هريرة كما هو في رواية البخاري والمدرج في السند ثلاثة أقسام مذكورة في المبسوطات (وما روى كل قرين عن أخه: مدبج فاعرفه حقا وانتخه) ، قوله (وما روى كل قرين عن أخه) بسكون الهاء للوزن، أي ما رواه كل من القرينين عن الآخر فهو حديث مدبج مأخوذ من ديباجتي الوجه وهما الحدان لتساويهما وتقابلهما. قوله (فاعرفه حقا وانتخه) بخاء معجمة أي افتخر بمعرفته يقال انتخا فلان علينا أي افتخر ، مثاله رواية كل من أبي هريرة وعائشة عن الآخر ، ورواية أحمد عن الشافعي والشافعي عن أحمد (متفق لفظاً وخطاً متفق : وضده فيما ذكرنا المفترق) (ق ٤/ ب) قوله (متفق لفظاً وخطاً) منصوب على التمييز محولا عن الفاعل ، أي ما اتفق لفظه وخطه واختلف شخصه ، فهو في الاصطلاح متفق ، مثاله الخليل بن أحمد ستة ، وقد قسموا هذا النوع إلى ثمانية أقسام ، قوله (وضده فيما ذكرنا) من الاتفاق لفظا وخطا ، وهو المفترق (مُؤْتَلِفٌ مُتَّفِقُ الخطِّ فَقَطْ : وضِدُّهُ مُختَلِفٌ فَاخْشَ الغَلَط) قوله (مؤتلف) في اصطلاحهم متفق الخط فقط دون اللفظ نحو سلّام بتشديد اللام وتخفيفها ، وقد ألف في هذا النوع ابن ماكولا كتابا سماه الإكمال ، قوله (وضده) أي المؤتلف مختلف وهو الذي لم يتفق في الخط ، قوله (فاحش الغلط) أي احذر الوقوع في التصحيف وفي جميع هذه الأنواع مؤلفات فليعلم من المبسوطات ، (والمُنْكَرُ الفَردُ بهِ رَاوٍ غَدَا تَعْدِيلُهُ لا يْحمِلُ التَّفَرُّدَا) ، قوله (والمُنْكَرُ الفَردُ بهِ) أي بروايته راو غدا أي صار تعديله أي توثيقه لا يحمل ، أي لا يحتمل التفرد ، أو معناه هو الذي لا يعرف متنه من غير جهة راويه ، مثاله : ما رواه النسائي من رواية أبي زكير[1] يحيى بن محمد عن أبيه ، عن عائشة مرفوعا : «كلوا البلح بالتمر فإن ابن آدم إذا أكله

(١) كذا الصواب وفي (أ) (ب): (ركيز).

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 156 03/04/2023 12:47 PM

غضب الشيطان». وقال عاش ابن آدم حتى أكل الجديد بالخلق. قال النسائي: حديث منكر، تفرد به أبو زكير[1] ولم يبلغ رتبة من يحتمل تفرده. (مَتُروكُهُ مَا وَاحِدٌ بِهِ انفَرَدْ: واجَتمعُوا لضَعْفِه فَهُوَ كرَدّ). قوله (متروكه) أي الحديث ، قوله (ما واحد به انفرد واجتمعوا لضعفه) لتهمته بالكذب أو الفسق أو الغفلة أو كثرة الوهم ، قوله (فهو كرد) أي كالمردود الموضوع لكنه أخف منه ، وهذا النوع أسقطه العراقي وزاده ابن حجر في النخبة ، والله أعلم . (والكذبُ المُخْتَلَقُ (الموضوع)[2] علَى النَّبيِّ فهو المَوْضوعُ) قوله (والكذب المختلَق) بفتح اللام أي لأنه لا ينسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم أصلا المصنوع من واضعه على النبي صلى الله عليه وسلم القائل: «من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار» فهو الموضوع بضم الهاء وقد قرأ بذلك ابن كثير وغيره ، قوله (الموضوع) سمي بذلك لانحطاط رتبته وأتى الناظم في تعريفه بهذه الألفاظ الثلاثة المتقاربة للتأكيد في التقرير، وأورد الموضوع في أنواع الحديث مع أنه ليس بحديث نظرا إلى زعم واضعه وهو شر الضعيف وأقبحه ، ويليه المتروك ، ثم المنكر ثم المعلل ، ثم المدرج ، ثم المقلوب، ثم المضطرب ، كذا رتبه الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى. (وقدْ أتتْ كالجوهرِ المكنونِ: سمّيتُها منظومةَ البيقوني . فوقَ الثلاثينَ بأربعٍ أتَتْ : أبياتُها ثمَّ بخيرٍ خُتِمتْ) . قوله (وقد أتت) ، أي جاءت ، ونسبة / (ق ٥ / أ) المجيء إليها من المجاز العقلي، قوله (كالجوهر) في النفاسة وعلو القيم ، قوله (المكنون) في صدفه، قوله (سميتها منظومة البيقوني) نسبة إلى البيقون، وهي قرية في إقليم إذربيجان قريب من الأكراد، والتحقيق كما أفاد ابن حجر أن أسماء الكتب والمقدمات من حيّز علم الجنس لا اسمه ، وأن أسماء العلوم من حيز علم الشخص، قوله (فوق الثلاثين) أي أكثر من الثلاثين بيتا (بأربع) أي بأربعة ، بحذف التاء للوزن ، على أنه إذا لم يذكر المعدود كما هنا ، يجوز تذكير العدد وتأنيثه ، ففي الحديث وأتبعه ستا من شوال ، ثم بخير ختمت، ختم الله لنا بالحسنى، وبلغنا في الدارين حسن المنى، والله أعلم وأحكم ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. قال مؤلفها رحمه الله تعالى: كان الفراغ من تحريرها في شهر رجب سنة ١٢٣٣ ، تمت . ا هـ .

(١) كذا الصواب وفي (أ) (ب): (ركيز).

(٢) كذا في (أ)، (ب). وفي نسخ أخرى من البيقونية: (المصنوع).

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 157 03/04/2023 12:47 PM

كمل النسخ وانقضا : وفعلت الذي وجب

غفر الله لمن قرأ : ودعا للذي كتب

قد نجز القلم وارتاح ، بعون الله الملك الفتاح ، من نسخ هذه الرسالة على يد أضعف عباد الله الراجي رحمة مولاه ، عبد الرحيم بن محمد صالح ابن المرحوم سليمان غفر الله ذنوبهما المنان ، وذلك عشية يوم الأحد ثمان وعشرون خلت من شهر ربيع الأول من شهور عام أربعة عشر وثلاثمائة بعد الألف ، من هجرة من له أكمل العز والشرف ، وصلى الله على سيدنا محمد المختار ، وعلى آله وأصحابه الأخيار ، ما دام الليل والنهار .

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 158 03/04/2023 12:47 PM



بحث في

فقه المياه

بقلم الموجه الفني

عبد العزيز نقى مرزوق المطيري

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 159 03/04/2023 12:47 PM

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾(آل عمران ١٠٢).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾(النساء:١)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾(الأحزاب : ٧٠-٧١)

أما بعد:

فهذا بحث في فقه المياه لخصته من كلام أهل العلم رحمهم الله ذكرت فيه المسألة وأدلتها من الكتاب والسنة وفهم العلماء وخاصة علماء السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم اذ الحجة في الكتاب والسنة وفهم الصحابة لهما ثم فهم السلف ،والله أسأل أن يرزقنا العلم النافع والإخلاص في القول والعمل ويجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن.

قال ابن رجب : «وفي زماننا يتعين كتابة كلام أئمة السلف المقتدى بهم إلى زمن الشافعي وأحمد وإسحاق وأبي عبيد: وليكن الإنسان على حذر مما حدث بعدهم فإنه حدث بعدهم حوادث كثيرة وحدث من انتسب إلى متابعة السنة والحديث من الظاهرية ونحوهم وهو أشد مخالفة لها لشذوذه عن الأئمة وانفراده عنهم بفهم يفهمه أو يأخذ مالم يأخذ به الأئمة من قبله.

فأما الدخول مع ذلك في كلام المتكلمين أو الفلاسفة فشر محض وقل من دخل في شيء من ذلك إلا وتلطخ ببعض أوضارهم كما قال أحمد لا يخلو من نظر في الكلام من أن يتجهم: وكان هو وغيره من أئمة السلف يحذرون من أهل الكلام وأن ذبوا عن السنة. وأما ما يوجد في كلام من أحب الكلام المحدث واتبع أهله من ذم من لا يتوسع في الخصومات والجدال ونسبته إلى الجهل أو

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 160 03/04/2023 12:47 PM

إلى الحشو أو إلى أنه غير عارف بالله أو غير عارف بدينه فكل ذلك من خطوات الشيطان نعوذ بالله منه.

ومما أحدث من العلوم الكلام في العلوم الباطنة من المعارف وأعمال القلوب وتوابع ذلك بمجرد الرأي والذوق أو الكشف وفيه خطر عظيم: وقد أنكره أعيان الأئمة كالإمام أحمد وغيره: وكان أبو سليمان يقول أنه لتَمُرُّ بي النكتةُ من نُكَتِ القوم فلا أقبلها إلا بشاهدين عدلين الكتاب والسنة» [١].

١- **معنى الطهارة :** كلمة «طهر» ومشتقاتها وردت في كلام الله وكلام رسوله وكلام العرب وقد لخص العلامة اللغوي أحمد بن فارس(المتوفى سنة ٣٩٥) في كتابه «معجم مقاييس اللغة» معناها فقال : «(طَهَرَ) الطَّاءُ وَالْهَاءُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى نَقَاءٍ وَزَوَالِ دَنَسٍ. وَمِنْ ذَلِكَ الطُّهْرُ، خِلَافُ الدَّنَسِ. وَالتَّطَهُّرُ: التَّنَزُّهُ عَنِ الذَّمِّ وَكُلِّ قَبِيحٍ. وَفُلَانٌ طَاهِرُ الثِّيَابِ، إِذَا لَمْ يُدَنِّسْ. ثِيَابُ بَنِي عَوْفٍ طَهَارَى نَقِيَّةٌ ... وَأَوْجُهُهُمْ عِنْدَ الْمَسَافِرِ غُرَّانُ وَالطَّهُورُ: الْمَاءُ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ (الفرقان: ٤٨) . وَسَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ هَارُونَ الثَّقَفِيَّ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ يَحْيَى ثَعْلَبًا يَقُولُ: الطَّهُورُ: الطَّاهِرُ، فِي نَفْسِهِ، الْمُطَهِّرُ لِغَيْرِهِ». [٢]

وهذه المعاني التي ذكرها ابن فارس قد جاءت في الكتاب والسنة في مادة طهر ومشتقاتها سواء كان الدنس حسيا أم معنويا فمن الكتاب :

قوله تعالى ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (سورة البقرة ٢٥).

أخرج الطبري وابن أبي حاتم[٣] بإسناده عن مجاهد في قول الله تعالى ذكره (ولهم فيها أزواج مطهرة) قال: مطهرة من الحيض والغائط والبول والنخام والبزاق والمني والولد .

وروى الطبري[٤] عن قتادة في قوله : «ولهم فيها أزواجٌ مطهرة»، قال: طهّرهن الله

(١) فضل علم السلف على الخلف (ص٣٣-٣٦).
(٢) معجم مقاييس اللغة أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (٤٢٨/٣).
(٣) تفسير الطبري (١/ ٣٩٥) وتفسير ابن ابي حاتم (٦٧/١) برقم٢٦٥.
(٤) تفسير الطبري (١/ ٣٩٦).

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 161 03/04/2023 12:47 PM

من كل بول وغائط وقذَر، ومن كل مأثم.

وقال تعالى ﴿وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ (سورة البقرة ١٢٥).

أخرج عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله (أن طهرا بيتي للطائفين) قال: من الشرك وعبادة الأوثان.[١]

ورواه الطبري عن قتادة بمثله وزاد : « وقول الزور» .

وروى الطبري عن عبيد بن عمير : «أن طهرا بيتي للطائفين» قال : من الأوثان والريب.[٢]

وقال تعالى ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (سورة البقرة ٢٢٢).

وفُسر «حتى يطهرن» بإنقطاع الدم عن جماعة من السلف وفسره آخرون منهم بالاغتسال .[٣]

وقوله سبحانه « فَإِذَا تَطَهَّرْنَ» قال ابن عباس رضي الله عنهما : « اذا طهرت من الدم وتطهرت بالماء».[٤]

وقال ابن ابي حاتم : «وروي عن مجاهد وعكرمة والحسن ومقاتل ابن حيان والليث بن سعد نحو ذلك « .[٥] إلى غير ذلك من الآيات التي تدل على المعاني السابقة.

وكذلك جاءت السنة ومن ذلك :

ما رواه مسلم في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « اذا دبغ الإهاب فقد طهر».[٦]

(١) تفسير عبدالرزاق (١/ ٢٩١ برقم ١٢٣).
(٢) تفسير الطبري (٢/٤٠).
(٣) انظر تفسير الطبري (٤/٤٨٣ وما بعدها).
(٤) رواه الطبري في تفسيره (٤/٣٨٦ برقم ٤٢٦٩) وابن ابي حاتم في التفسير برقم (٢١١٩).
(٥) تفسير ابن ابي حاتم (٢/٤٠٢ برقم ٢١١٩).
(٦) صحيح مسلم (١٠٥ (٣٦٦) كتاب الحيض) .

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 162 03/04/2023 12:47 PM

وما رواه أحمد من حديث حمنة بنت جحش لما استحاضت وسألت قال لها النبي ﷺ : « «إِنَّمَا هَذِهِ رَكْضَةٌ مِنْ رَكَضَاتِ الشَّيْطَانِ، فَتَحَيَّضِي سِتَّةَ أَيَّامٍ أَوْ سَبْعَةً فِي عِلْمِ اللَّهِ ثُمَّ اغْتَسِلِي حَتَّى إِذَا رَأَيْتِ أَنَّكِ قَدْ طَهُرْتِ وَاسْتَيْقَنْتِ وَاسْتَنْقَأْتِ، فَصَلِّي أَرْبَعًا وَعِشْرِينَ لَيْلَةً أَوْ ثَلَاثًا وَعِشْرِينَ لَيْلَةً وَأَيَّامَهَا وَصُومِي، فَإِنَّ ذَلِكَ يُجْزِئُكِ ...» [1]

وروى مسلم في صحيحه عن عبدالله بن أبي أوفى أن النبي ﷺ كان يقول: « اللهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ مِلْءُ السَّمَاءِ، وَمِلْءُ الْأَرْضِ، وَمِلْءُ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ اللهُمَّ طَهِّرْنِي بِالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ، وَالْمَاءِ الْبَارِدِ اللهُمَّ طَهِّرْنِي مِنَ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا، كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْوَسَخِ».

وعند الترمذي : « اللهم نق قلبي من الخطايا».[2] إلى غير ذلك من الأحاديث التي تدل على المعاني السابقة. وأما في اصطلاح الفقهاء : فأطلقوا الطهارة على الوضوء والإغتسال والتيمم والإستنجاء وزوال الدنس وغير ذلك مما ورد في الشرع بتسميته طهارة.

٢-الْمَاءُ إما أَنْ يَكُونَ نَازِلًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ نَابِعًا مِنَ الْأَرْضِ كله طهور على أصل خلقته :

قال تعالى ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ (سورة الفرقان ٤٨) ، وقال تعالى ﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ﴾(سورة الأنفال ١١) ، وقال تعالى ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ (النساء ٤٣).

وروى أَبُو هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلَ رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَرْكَبُ الْبَحْرَ، وَنَحْمِلُ مَعَنَا الْقَلِيلَ مِنَ الْمَاءِ، فَإِنْ تَوَضَّأْنَا بِهِ عَطِشْنَا، أَفَنَتَوَضَّأُ مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هُوَ الطَّهُورُ مَاؤُهُ الْحِلُّ مَيْتَتُهُ.[3]

---

(١) مسند الإمام أحمد برقم (٢٧٤٧٤).

(٢) صحيح مسلم (٢٠٤ (٤٧٦) كتاب الصلاة والترمذي في سننه أبواب الدعوات (٣٥٤٧).

(٣) رواه مالك في الموطأ كتاب الطهارة (١٢).

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 163 03/04/2023 12:47 PM

قال الماوردي :» قَالَ الْحُمَيْدِيُّ: قَالَ الشَّافِعِيُّ: « هذا الحديث نصف علم الطهارة»، وَلَعَمْرِي إِنَّ هَذَا الْقَوْلَ صَحِيحٌ، لأَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ دَلَّ عَلَى طَهَارَةِ مَا يَنْبُعُ مِنَ الأَرْضِ، وَالآيَةُ دَالَّةٌ عَلَى طَهَارَةِ مَا نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ، وَالْمَاءُ لَا يَخْلُو مِنْ أَنْ يَكُونَ نَازِلًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ نَابِعًا مِنَ الأَرْضِ».[1]

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَتَوَضَّأُ مِنْ بِئْرِ بُضَاعَةَ وَهِيَ بِئْرٌ يُلْقَى فِيهَا الْحِيَضُ وَلُحُومُ الْكِلَابِ وَالنَّتِنُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ الْمَاءَ طَهُورٌ لاَ يُنَجِّسُهُ شَيْءٌ.[2]

وعن أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْكُتُ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَبَيْنَ الْقِرَاءَةِ إِسْكَاتَةً - قَالَ: أَحْسِبُهُ قَالَ: هُنَيَّةً -، فَقُلْتُ: بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِسْكَاتُكَ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَالْقِرَاءَةِ مَا تَقُولُ؟ قَالَ: أَقُولُ: اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، اللَّهُمَّ نَقِّنِي مِنَ الْخَطَايَا كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ، اللَّهُمَّ اغْسِلْ خَطَايَايَ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ.[3]

فماء المطر والثلج والبرد، وماء البحر، وماء النهر، وماء العيون، وما نبع بنفسه أو بآلة، عذباً أو مالحاً، حاراً أو بارداً تغير بمكثه أو لم يتغير كله طهور على أصل خلقته. وروى ابن حبان بسنده عن مُحَمَّدَ بْنَ إِسْحَاقَ حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنِ عَبَّادِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ: عَنْ أَبِيهِ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُصعدين فِي أحد فَذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى ظَهْرِهِ لِيَنْهَضَ عَلَى صَخْرَةٍ فَلَمْ يَسْتَطِعْ فَبَرَكَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ تَحْتَهُ فَصَعِدَ رسول الله ﷺ على ظَهْرِهِ حَتَّى جَلَسَ عَلَى الصَّخْرَةِ قَالَ الزُّبَيْرُ: فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: أَوجَبَ طَلْحَةُ ثُمَّ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيَّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَأَتَى المِهراس وَأَتَاهُ بِمَاءٍ فِي دَرَقَتِهِ فَأَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَشْرَبَ مِنْهُ فَوَجَدَ لَهُ رِيحًا فعافَهُ فَغَسَلَ بِهِ الدَّمَ الَّذِي فِي وَجْهِهِ وَهُوَ يَقُولُ: اشْتَدَّ غضبُ اللَّهِ عَلَى مَنْ دَمَّى

(١) الحاوي للماوردي (٢٧/١).
(٢) رواه ابوداود وغيره ، السنن كتاب الطهارة (٦٦).
(٣) رواه البخاري كتاب الأذان (٧٤٤).

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 164 03/04/2023 12:47 PM

وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ». [1] وفيه التطهر بالماء المتغير بمكثه.

٣- الأصل في الماء أنه طاهر مطهر:

أ-قال تعالى ﴿أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ (سورة الفرقان٤٨) فسمى الله عز وجل الماء طهورا والطهور هو الطاهر في نفسه المطهر لغيره ، وفعول في كلام العرب تأتي لمعان منها : ما يفعل به كالوضوء والغسول والفطور والسحور والطهور أي طهورا يطهر به .

وكذلك جاءت السنة بهذا المعنى موافقة للقرآن بأحاديث منها:

ما رواه مالك في الموطأ من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ سئل عن البحر فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هُوَ الطَّهُورُ مَاؤُهُ، الْحِلُّ مَيْتَتُهُ» .[2] فالبحر مطهر لغيره.

وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: « أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي – وذكر منها: « وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا» [3] فالأرض يتطهر بها.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «الماء طهور لا ينجسه شئ» [4] أي طهورا يُطَهَّرُ به غيره. والأحاديث في هذا كثيرة.

ومن الأثار : ما رواه عبدالرزاق عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ، أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ قَالَ: «إِنَّ الْمَاءَ يُطَهِّرُ، وَلَا يُطَهَّرُ» ورواه عبدالرزاق عَنْ مَعْمَرٍ، وَسَعِيدِ بْنِ بَشِيرٍ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «إِنَّمَا جَعَلَ اللَّهُ الْمَاءَ يُطَهِّرُ وَلَا يُطَهَّرُ» .[5]

وقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الرَّازِيِّ، حَدَّثَنِي حُمَيْدٍ الطَّوِيلُ، عَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ قَالَ: دَخَلْتُ

---

(١) صحيح ابن حبان ترتيب ابن بلبان (٦٩٧٩) حسنه الالباني ، قال السمهودي في وفاء الوفا(٣٧٩/٢): « مهراس: ماء بجبل أحد، قاله المبرد، وهو معروف في أقصى شعب أحد، يجتمع من المطر في نقر كبار وصغار، والمهراس اسم لتلك النقر.

(٢) الموطأ كتاب الطهارة (١٢).

(٣) رواه البخاري (كتاب التيمم (٣٣٥)) ومسلم في أول كتاب المساجد ومواضع الصلاة(٣ (٥٢١)).

(٤) رواه ابوداود وغيره ، السنن كتاب الطهارة (٦٦).

(٥) المصنف لعبدالرزاق كتاب الطهارة (٢٥٦) و (١١٤٢).

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 165 03/04/2023 12:47 PM

مَعَ أَبِي الْعَالِيَةِ فِي يَوْمٍ مَطِيرٍ، وَطُرُقُ الْبَصْرَةِ قَذِرَةٌ، فَصَلَّى، فَقُلْتُ لَهُ، فَقَالَ: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ قَالَ: طَهَّرَهُ مَاءُ السَّمَاءِ.[1]

وما رواه ابن ابي حاتم حَدَّثَنَا أَبِي، ثنا أَبُو سَلَمَةَ، ثنا وُهَيْبٌ، عَنْ دَاوُدَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ فِي هَذِهِ الآيَةِ:﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ قَالَ: أَنْزَلَ اللَّهُ مَاءً طَهُورًا لَا يُنَجِّسُهُ شَيْءٌ.[2]

ب- وقال تعالى ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ﴾ سورة الأنفال (١١) فَهَذِهِ الآيَةُ مُفَسِّرَةٌ لِلْمُرَادِ بِالأُولَى.

قال ابن كثير: وَقَوْلُهُ: ﴿لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ﴾ أَيْ: مِنْ حَدَثٍ أَصْغَرَ أَوْ أَكْبَرَ، وَهُوَ تَطْهِيرُ الظَّاهِرِ ﴿وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾ أَيْ: مِنْ وَسْوَسَةٍ أَوْ خَاطِرٍ سَيِّئٍ، وَهُوَ تَطْهِيرُ الْبَاطِنِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي حَقِّ أَهْلِ الْجَنَّةِ: ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾ فَهَذَا زِينَةُ الظَّاهِرِ ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ (الإِنْسَانِ: ٢١) أَيْ: مُطَهِّرًا لِمَا كَانَ مِنْ غِلٍّ أَوْ حَسَدٍ أَوْ تَبَاغُضٍ، وَهُوَ زِينَةُ الْبَاطِنِ وَطَهَارَتُهُ».[3]

٤- لا بأس بالتطهر بماء زمزم:

روى عبدالله ابن الإمام أحمد في زوائده على المسند من حديث عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه « ثُمَّ أَفَاضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَدَعَا بِسَجْلٍ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ، فَشَرِبَ مِنْهُ وَتَوَضَّأَ، ثُمَّ قَالَ: « انْزِعُوا يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَلَوْلَا أَنْ تُغْلَبُوا عَلَيْهَا لَنَزَعْتُ » [4]

وروى البخاري عَنْ أَبِي جَمْرَةَ الضُّبَعِيِّ، قَالَ: كُنْتُ أُجَالِسُ ابْنَ عَبَّاسٍ بِمَكَّةَ فَأَخَذَتْنِي الحُمَّى، فَقَالَ أَبْرِدْهَا عَنْكَ بِمَاءِ زَمْزَمَ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ «الحُمَّى مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ فَأَبْرِدُوهَا بِالْمَاءِ أَوْ قَالَ بِمَاءِ زَمْزَمَ - شَكَّ هَمَّامٌ -» [5]

(١) رواه ابن أبي حاتم في التفسير (١٥٢٤٢) .
(٢) تفسير ابن أبي حاتم (١٥٢٤٣).
(٣) تفسير ابن كثير (٤/٢٤).
(٤) مسند الامام أحمد(٥٦٤).
(٥) البخاري (كِتَابُ بَدْءِ الخَلْقِ(٣٢٦١).

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 166 03/04/2023 12:47 PM

وروى مسلم من حديث أبي ذر ، قَالَ أَبُو ذَرٍّ: «فَأَتَيْتُ زَمْزَمَ فَغَسَلْتُ عَنِّي الدِّمَاءَ: وَشَرِبْتُ مِنْ مَائِهَا »[1]

وروى البخاري كَانَ أَبُو ذَرٍّ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « فُرِجَ عَنْ سَقْفِ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ ﷺ، فَفَرَجَ صَدْرِي، ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، فَأَفْرَغَهُ فِي صَدْرِي، ثُمَّ أَطْبَقَهُ ....»[2]

وروى أحمد عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَمَلَ ثَلَاثَةَ أَطْوَافٍ مِنَ الْحَجَرِ إِلَى الْحَجَرِ، وَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ عَادَ إِلَى الْحَجَرِ، ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى زَمْزَمَ فَشَرِبَ مِنْهَا، وَصَبَّ عَلَى رَأْسِهِ، ثُمَّ رَجَعَ فَاسْتَلَمَ الرُّكْنَ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الصَّفَا، فَقَالَ: « أَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ[3] »

وروى ابن أبي شيبة عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ:«لَا أُحِلُّهَا لِمُغْتَسِلٍ يَغْتَسِلُ فِي الْمَسْجِدِ، وَهِيَ لِشَارِبٍ وَمُتَوَضِّئٍ حِلٌّ وَبَلٌّ»[4]

وروى عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ قَالَ قَالَ إِنْسَانٌ لِعَطَاءٍ: يَخْرُجُ إِنْسَانٌ فَيَبُولُ، ثُمَّ يَأْتِي زَمْزَمَ فَيَتَوَضَّأُ قَالَ: «لَا بَأْسَ بِذَلِكَ، وَأَنْ يَتَخَلَّى فَلْيَدْخُلْ، إِنْ شَاءَ فَلْيَتَوَضَّأْ فِي زَمْزَمَ، الدِّينُ سَمْحٌ سَهْلٌ»، قَالَ لَهُ إِنْسَانٌ: إِنِّي أَرَى نَاسًا يَتَوَضَّئُونَ فِي الْمَسْجِدِ قَالَ: «اجْلِسْ لَيْسَ بِذَلِكَ بَأْسًا»، قُلْتُ: فَتَتَوَضَّأُ أَنْتَ فِيهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قُلْتُ: تَمَضْمَضُ وَتَسْتَنْشِقُ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَأُسْبِغُ وُضُوئِي فِي مَسْجِدِ مَكَّةَ»[5]

قال ابن قدامة « وَلَا يُكْرَهُ الْوُضُوءُ وَالْغُسْلُ بِمَاءِ زَمْزَمَ؛ لِأَنَّهُ مَاءٌ طَهُورٌ، فَأَشْبَهَ سَائِرَ الْمِيَاهِ. وَعَنْهُ: يُكْرَهُ لِقَوْلِ الْعَبَّاسِ لَا أُحِلُّهَا لِمُغْتَسِلٍ، لَكِنْ لِمُحْرِمٍ حَلَّ وَبَلَّ؛ وَلِأَنَّهُ يُزِيلُ بِهِ مَانِعًا مِنَ الصَّلَاةِ، أَشْبَهَ إزَالَةَ النَّجَاسَةِ بِهِ.

وَالْأَوَّلُ أَوْلَى، وَقَوْلُ الْعَبَّاسِ لَا يُؤْخَذُ بِصَرِيحِهِ فِي التَّحْرِيمِ، فَفِي غَيْرِهِ أَوْلَى، وَشَرَفُهُ لَا يُوجِبُ الْكَرَاهَةَ لِاسْتِعْمَالِهِ، كَالْمَاءِ الَّذِي وَضَعَ فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ كَفَّهُ، أَوْ

(١) صحيح مسلم (١٣٢ - (٢٤٧٣).
(٢) البخاري (كِتَابُ الصَّلَاةِ (٣٤٩).
(٣) مسند أحمد (١٥٢٤٣).
(٤) مصنف ابن أبي شيبة (٣٨٥).
(٥) مصنف عبدالرزاق كتاب الصلاة (١٦٣٧).

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 167 03/04/2023 12:47 PM

اغْتَسَلَ مِنْهُ».[١] وحمل قول ابن عباس في نهيه عن ذلك في وقت قل الماء فيها، وكثر من يطلب الشرب منها.

٥- يحرم استعمال آبار ديار ثمود وَيَجُوزُ الانْتِفَاعُ بِماءها لِغَيْرِ الإِنْسَانِ غير بئر ناقة صالح عليه الصلاة والسلام :

روى البخاري ومسلم عن عَبْدِ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ ﷺ، أَنَّ النَّاسَ نَزَلُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَرْضَ ثَمُودَ، الحِجْرَ، فَاسْتَقَوْا مِنْ بِئْرِهَا، وَاعْتَجَنُوا بِهِ، فَأَمَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «أَنْ يُهَرِيقُوا مَا اسْتَقَوْا مِنْ بِئْرِهَا، وَأَنْ يَعْلِفُوا الإِبِلَ العَجِينَ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسْتَقُوا مِنَ البِئْرِ الَّتِي كَانَتْ تَرِدُهَا النَّاقَةُ»[٢]

وروى مسلم عن عَائِشَةُ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»[٣]

قال شيخ الإسلام : « .... والنهي هنا كان مؤكدا ولهذا لما عجنوا دقيقهم بماء ال ثمود أمرهم أن يعلفوه النواضح ولا يطعموه فأي تحريم أبين من هذا قوم مجاهدون في سبيل الله في غزوة العسرة التي غلب عليهم فيها الحاجة وهي غزوة تبوك التي لم يكن يحصي عددهم فيها ديوان حافظ وخرجوا في شدة من العيش وقلة من المال ومع هذا يأمرهم أن لا يأكلوا عجينهم الذي اعز اطعمتهم عندهم فلو كان إلى الإباحة سبيل لكان أولئك القوم أحق الناس بالإباحة فعلم أن النهي عن الدخول والاستقاء كان نهي تحريم....» .[٤] وذكر ابن القيم من فوائد غزوة تبوك : « وَمِنْهَا: أَنَّ الْمَاءَ الَّذِي بِآبَارِ ثَمُودَ لَا يَجُوزُ شُرْبُهُ، وَلَا الطَّبْخُ مِنْهُ، وَلَا الْعَجِينُ بِهِ، وَلَا الطَّهَارَةُ بِهِ، وَيَجُوزُ أَنْ يُسْقَى الْبَهَائِمَ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ بِئْرِ النَّاقَةِ، وَكَانَتْ مَعْلُومَةً بَاقِيَةً إِلَى زَمَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ اسْتَمَرَّ عِلْمُ النَّاسِ بِهَا قَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ إِلَى وَقْتِنَا هَذَا، فَلَا يَرِدُ الرُّكُوبُ بِئْرًا غَيْرَهَا، وَهِيَ مَطْوِيَّةٌ مُحْكَمَةُ الْبِنَاءِ وَاسِعَةُ الْأَرْجَاءِ، آثَارُ الْعِتْقِ عَلَيْهَا بَادِيَةٌ، لَا تَشْتَبِهُ بِغَيْرِهَا». [٥]

(١) المغني (١٦/١)

(٢) البخاري كتاب أحاديث الأنبياء (٣٣٧٩) ومسلم كتاب الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ (٤٠ - (٢٩٨١)).

(٣) صحيح مسلم كتاب الأقضية (١٨ - (١٧١٨)).

(٤) شرح العمدة (٥١٠/١).

(٥) زاد المعاد (٤٩٠/٣).

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 168 03/04/2023 12:47 PM

٦-التطهر جائز بالماء المسخن والمشمس :

عَنْ زَيْد بْنِ أَسْلَمَ ، عَنْ أَسْلَمَ مَوْلَى عُمَرَ ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ «كَانَ يُسَخَّنُ لَهُ مَاءٌ فِي قُمْقُمَةٍ وَيَغْتَسِلُ بِهِ». (١)

وعن يَزِيدُ بْنُ أَبِي عُبَيْدٍ، قَالَ: «كَانَ سَلَمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ يُسَخَّنُ لَهُ الْمَاءُ فَيَتَوَضَّأُ بِهِ فِي الْبَرْدِ». (٢)

وعن ابْنُ عَبَّاسٍ: «إِنَّا نَدَّهِنُ بِالدُّهْنِ وَقَدْ طُبِخَ عَلَى النَّارِ، وَنَتَوَضَّأُ بِالْحَمِيمِ وَقَدْ أُغْلِيَ عَلَى النَّارِ». (٣)

وعَنْ أَيُّوبَ قَالَ: سَأَلْتُ نَافِعًا، عَنِ الْمَاءِ الْمُسَخَّنِ، فَقَالَ: «كَانَ ابْنُ عُمَرَ يَتَوَضَّأُ بِالْحَمِيمِ».قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: «وَهَذَا قَوْلُ أَهْلِ الْحِجَازِ وَالْعِرَاقِ جَمِيعًا، وَعَلَيْهِ النَّاسُ، لَا أَعْلَمُهُمْ يَخْتَلِفُونَ فِي الْمُسَخَّنِ أَنَّهُ لَا فَرْقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَارِدِ. وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ عِنْدَنَا أَنَّهُمَا لَا يَفْتَرِقَانِ فِي الطَّهُورِ ، فَإِنْ كَانَ بَيْنَهُمَا افْتِرَاقٌ فَفِي مَوْضِعِ الْفَضِيلَةِ ، لِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي إِسْبَاغِ الْوُضُوءِ فِي الْمَكَارِهِ ، وَإِسْبَاغِ الْوُضُوءِ فِي السَّبَرَاتِ ، فَأَمَّا تَمَامُ الطَّهُورِ فَإِنَّهُمَا عِنْدَنَا سَوَاءٌ ، وَمَا نَعْلَمُ أَحَدًا كَرِهَهُ غَيْرَ شَيْءٍ بَلَغَنَا عَنْ مُجَاهِدٍ»(٤)

والماء المشمس مثله ولا فرق لأَنَّ النَّاسَ مَا زَالُوا يَسْتَعْمِلُونَهُ وَلَمْ يُعْلَمْ أَنْ أَحَدًا بَرِصَ.

قال النووي : «مسألة: المشهور من مذهبنا كراهة الطهارة بالماء المشمس (والمختار) أنه لا يكره لأن الحديث المروي فيه عن عائشة رضي الله عنها، والأثر عن عمر رضي لله تعالى عنهما ضعيفان جدًا؛ وخوف البرص لا يعرفه إلا الأطباء. وقال الشافعي: لا أُكَرِّه المشمس إلا أن يكون من جهة الطب»(٥).

قال ابن قدامة : «وَحُكِيَ عَنْ أَهْلِ الطِّبِّ أَنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ لِذَلِكَ تَأْثِيرًا فِي الضَّرَرِ»(٦)

(١) سنن الدارقطني (١/٥٠) (٨٥).
(٢) الطهور لأبي عبيد (٢٥٧).
(٣) مصنف ابن أبي شيبة (٢٥٨).
(٤) الطهور لأبي عبيد (ص ٣٠٨).
(٥) فتاوى النووي (ص ١٧).
(٦) المغني لابن قدامة (١/١٥)

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 169 03/04/2023 12:47 PM

٧- الماء المتغير بالطاهرات طهور ما دام يتناوله اسم الماء عند الإطلاق ولا فرق بين ما يمكن صونه عنه وما لا يمكن صونه عنه، وبين ما تغير بأصل الخلقة وغيره :

قال تعالى « وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا» النساء (٤٣).

فلفظة «ماء» عامة فَعَمَّ تَعَالَى كُلَّ مَاءٍ وَلَمْ يَخُصَّهُ، فَلَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَتْرُكَ الْمَاءَ فِي وُضُوئِهِ وَغُسْلِهِ الْوَاجِبِ وَهُوَ يَجِدُهُ إِلَّا مَا مَنَعَهُ مِنْهُ نَصٌّ ثَابِتٌ أَوْ إِجْمَاعٌ.

وعَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « وَجُعِلَتْ لَنَا الْأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدًا، وَجُعِلَتْ تُرْبَتُهَا لَنَا طَهُورًا، إِذَا لَمْ نَجِدِ الْمَاءَ»[١] فَعَمَّ أَيْضًا عليه السلام وَلَمْ يَخُصَّ فِي قَوْلِهِ «إِذَا لَمْ نَجِدِ الْمَاءَ».

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَتَوَضَّأُ مِنْ بِئْرِ بُضَاعَةَ وَهِيَ بِئْرٌ يُلْقَى فِيهَا الْحِيَضُ وَلُحُومُ الْكِلَابِ وَالنَّتْنُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ الْمَاءَ طَهُورٌ لَا يُنَجِّسُهُ شَيْءٌ.[٢]

فهذا هو الأصل في الماء لا يخرج عن هذا الأصل إلا بدليل.

وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْبَحْرِ: هُوَ الطَّهُورُ مَاؤُهُ الْحِلُّ مَيْتَتُهُ[٣] والبحر متغير الطعم تغيرا شديدًا لشدة ملوحته وقد أخبر أن ماءَه طهور -مع هذا التغير- فيكون ما هو أخف أولى بالطهورية.

وعن أم هانئ أن رسول الله ﷺ اغتسل هو وميمونة من إناء واحد في قصعة فيها أثر العجين.[٤]

فيه جواز الاغتسال بالماء الذي فيه أثر العجين، أو أثر شيء آخر من الأشياء الطاهرة، فإذا اختلط بالماء شيئاً من الطاهرات فلا بأس، كشيء من العجين أو

(١) رواه مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٤ (٥٥٢)
(٢) رواه أبوداوود وغيره ، السنن كتاب الطهارة (٦٦)
(٣) الموطأ كتاب الطهارة (١٢).
(٤) رواه النسائي وغيره كتاب الطهارة (٢٤٠).

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 170 03/04/2023 12:47 PM

شيء من الزعفران ما لم يسلب عنه اسم الماء.

وعَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ الأَنْصَارِيَّةِ رضي الله عنها، قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ تُوُفِّيَتِ ابْنَتُهُ، فَقَالَ: «اغْسِلْنَهَا ثَلاَثًا، أَوْ خَمْسًا، أَوْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ إِنْ رَأَيْتُنَّ ذَلِكَ، بِمَاءٍ وَسِدْرٍ، وَاجْعَلْنَ فِي الآخِرَةِ كَافُورًا - أَوْ شَيْئًا مِنْ كَافُورٍ - فَإِذَا فَرَغْتُنَّ فَآذِنَّنِي»، فَلَمَّا فَرَغْنَا آذَنَّاهُ ، فَأَعْطَانَا حِقْوَهُ، فَقَالَ: «أَشْعِرْنَهَا إِيَّاهُ» تَعْنِي إِزَارَهُ.(١)

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: بَيْنَمَا رَجُلٌ وَاقِفٌ بِعَرَفَةَ ، إِذْ وَقَعَ عَنْ رَاحِلَتِهِ، فَوَقَصَتْهُ - أَوْ قَالَ: فَأَوْقَصَتْهُ - قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اغْسِلُوهُ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ، وَكَفِّنُوهُ فِي ثَوْبَيْنِ، وَلاَ تُحَنِّطُوهُ، وَلاَ تُخَمِّرُوا رَأْسَهُ، فَإِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ القِيَامَةِ مُلَبِّيًا(٢)»

وعن قَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ قَالَ :«أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ أُرِيدُ الْإِسْلَامَ فَأَمَرَنِي أَنْ أَغْتَسِلَ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ(٣)»

فهَذَا أَصْلٌ فِي جَوَازِ التَّطَهُّرِ بِالْمَاءِ الْمُضَافِ إِذَا لَمْ يَسْلُبِ الْمَاءُ الْإِطْلَاقَ وليس هذا خاصا في غسل الميت بل فيمن أسلم كما ثبت في حديث قيس بن عاصم ، فَلَوْ كَانَ التَّغَيُّرُ يُفْسِدُ الْمَاءَ أو ينقله عن الطهورية لَمْ يَأْمُرْ بِهِ .

ومن الآثار :

روى الفضل بن دكين(٤) قال : حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، قَالَ: مَرَرْتُ بِالْحَارِثِ بْنِ الْأَزْمَعِ فَقَالَ: أَلَا أُحَدِّثُكَ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنَ ابْنِ مَسْعُودٍ، فَقَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «أَيُّمَا جُنُبٍ غَسَلَ رَأْسَهُ بِالْخَطْمِيِّ(٥) فَقَدْ أَبْلَغَ» . قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: يَقُولُ: لَا يُعِيدُ عَلَيْهِ الْغُسْلَ.

روى ابن أبي شيبة قال حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ أَبِي نَوْفَلِ بْنِ أَبِي عَقْرَبٍ،

(١) رواه البخاري (كتاب الجنائز (١٢٦٣). ومسلم في الجنائز (٣٦ (٩٣٩)).
(٢) رواه البخاري كتاب الجنائز (١٢٦٥) ومسلم في الحج ٩٣ (١٢٠٦).
(٣) رواه ابوداود وغيره كتاب الطهارة : باب في الرجل يسلم فيؤمر بالغسل (٣٥٥).
(٤) كتاب الصلاة (ص ١٠٧ (٨٧) ورواه عبدالرزاق في الطهارة (٢٦٣/١(١٠٠٨) وابن ابي شيبة في الطهارة (٧٧١) (٧٧٦) (٧٧٧).
(٥) والخطْمِيُّ والخَطْمِيُّ: ضَرْبٌ مِنَ النَّبَاتِ يُغْسَلُ بِهِ. وَفِي الصِّحَاحِ: يُغْسَلُ بِهِ الرَّأْسُ . (لسان العرب ١٨٨/١٢).

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 171 03/04/2023 12:47 PM

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «يُجْزِئُهُ أَنْ لَا يُعِيدَ عَلَى رَأْسِهِ الْغُسْلَ[١]» وبوب عليه : الرجل يغسل رأسه بالخطمي ثم يغسل جسده

وروى ابن أبي شيبة قال : حَدَّثَنَا ابْنُ مَهْدِيٍّ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، فِي الْجُنُبِ يَغْسِلُ رَأْسَهُ بِالْخِطْمِيِّ، قَالَ: «يُجْزِئُهُ».[٢]

وروى عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ قَالَ: أَرْسَلْتُ رَجُلًا إِلَى ابْنِ الْمُسَيِّبِ يُقَالُ لَهُ سُمَيٌّ يَسْأَلُهُ عَنِ الْمَرْأَةِ إِذَا كَانَتْ جُنُبًا، ثُمَّ امْتَشَطَتْ بِحِنَّاءٍ رَقِيقٍ أَيُجْزِيهَا ذَلِكَ مِنْ أَنْ تَغْسِلَ رَأْسَهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ» قُلْتُ: ارْجِعْ إِلَيْهِ فَاسْأَلْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ هَذَا فَقَالَ ابْنُ الْمُسَيِّبِ: «لَا أَذْهَبُ لِأَكْذِبَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ[٣]»

وروى عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنِ الثَّوْرِيِّ، عَنْ مُغِيرَةَ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: «كَانَ أَحَدُهُمْ يَغْسِلُ رَأْسَهُ مِنَ الْجَنَابَةِ بِالسِّدْرِ، ثُمَّ يَمْكُثُ سَاعَةً، ثُمَّ يَغْسِلُ سَائِرَ جَسَدِهِ[٤]»

وروى عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنْ عَطَاءٍ قَالَ: «إِنْ غَسَلَ الْجُنُبُ رَأْسَهُ بِالسِّدْرِ أَوْ بِالْخِطْمِيِّ وَهُوَ جُنُبٌ لَمْ يَتْرُكْهُ حَتَّى يَجِفَّ ذَلِكَ[٥]»

قال ابن عبدالبر في الاستذكار[٦]: « وَأَمَّا غَسْلُ الْمُحْرِمِ رَأْسَهُ بِالْخِطْمِيِّ أَوِ السِّدْرِ فَالْفُقَهَاءُ عَلَى كَرَاهِيَةِ ذَلِكَ هَذَا مَذْهَبُ مَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ وَالْأَوْزَاعِيِّ وَأَبِي حَنِيفَةَ وَكَانَ مَالِكٌ وَأَبُو حَنِيفَةَ يَرَيَانِ الْفِدْيَةَ عَلَى الْمُحْرِمِ إِذَا غَسَلَ رَأْسَهُ بِالْخِطْمِيِّ وَقَالَ أَبُو ثَوْرٍ لَا شَيْءَ عَلَيْهِ إِنْ فَعَلَ وَكَانَ عَطَاءٌ وَطَاوُسٌ وَمُجَاهِدٌ يُرَخِّصُونَ لِلْمُحْرِمِ إِذَا كَانَ قَدْ لُبِّدَ رَأْسُهُ فِي الْخِطْمِ لِيلِينَ وروي عن ابن عُمَرَ أَنَّهُ كَانَ يَفْعَلُ ذَلِكَ ويحتمل أن يكون هذا من فعل ابن عُمَرَ بَعْدَ رَمْيِ جَمْرَةِ الْعَقَبَةِ وَكَانَ إِذَا لَبَّدَ حَلَقَ وَإِنَّمَا كَانَ فِعْلُهُ ذَلِكَ عَوْنًا عَلَى الْحَلْقِ وَاحْتَجَّ بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ عَلَى جَوَازِ غَسْلِ الْمُحْرِمِ رَأْسَهُ بِالْخِطْمِيِّ بِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَ بِالْمُحْرِمِ الْمَيِّتِ أَنْ يُغَسَّلُوهُ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُجَنِّبُوهُ مَا يَجْتَنِبُ الْمُحْرِمُ فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى إِبَاحَةِ غَسْلِ رأس

(١) رواه ابن ابي شيبة في الطهارة (الرجل يغسل رأسه بالخطمي ثم يغسل جسده (٧٧٥).
(٢) رواه ابن ابي شيبة في الطهارة (٧٧٠ و ٧٧٩) ورواه الفضل بن دكين في الصلاة ١٠٦ (٨٢).
(٣) رواه عبدالرزاق (١/٢٧٤) (١٠٥٢).
(٤) رواه عبدالرزاق ١/٢٦٤ (١٠١٠).
(٥) رواه عبدالرزاق (١/٢٦٤ (١٠١٣).
(٦) الاستذكار ٤/١٠-١١).

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 172 03/04/2023 12:47 PM

الْمُحْرِمِ بِالسِّدْرِ قَالَ وَالْخِطْمِيُّ فِي مَعْنَاهُ».

وهذا يدل على أن الإغتسال بالسدر والخطمي مخلوطا بالماء معلوما لدى السلف ولكن منعوه للمحرم لعلة الطيب أو تساقط الشعر أو قتل هوام الرأس أو غيرها من العلل التي ذكرها الفقهاء.

وليس في المسألة دليل من السنة ولا من الإجماع ولا من القياس بل الأحاديث تدل على جواز استعمال الماء المتغير بالطاهرات أدل منها على نقيض ذلك ، والأصل بقاء ما كان على ما كان و هو قبل التغير طهور بالنص والإجماع .

والله عزوجل امرنا بالطهارة من الماء فإذا كان اسمه ماء فإننا نتطهر منه ،فإذا زال عنه اسم الماء فلا يتطهر به.

٨- لَا بَأْسَ بالتطهر بالماء المستعمل :

الماء المستعمل يشمل أنواعا اختلف الفقهاء فيها وهي : المستعمل في رفع حدث، المستعمل في طهارة مستحبة، المستعمل في طهارة غير مشروعة كالغسلة الرابعة في الوضوء، المستعمل في التبرد والنظافة، الماء المستعمل في غمس يد القائم من النوم.

والماء المستعمل لا ريب أنه ليس بنجس وهو طهور والأدلة على ذلك منها:

عَنْ مُحَمَّد بْن الْمُنْكَدِر، قَالَ: سَمِعْتُ جَابِرًا يَقُولُ جَاءَ رَسُولُ اللَّه ﷺ يَعُودُنِي، وَأَنَا مَرِيضٌ لاَ أَعْقِلُ، فَتَوَضَّأَ وَصَبَّ عَلَيَّ مِنْ وَضُوئِه، فَعَقَلْتُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّه لِمَن الميرَاثُ؟ إِنَّمَا يَرِثُنِي كَلاَلَةٌ، فَنَزَلَتْ آيَةُ الفَرَائِض[1].

وعن عُرْوَة بن الزُّبَيْر، عَن المِسْوَر بْن مَخْرَمَةَ، وَمَرْوَانَ، يُصَدِّقُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَدِيثَ صَاحِبِه، قَالاَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّه ﷺ زَمَنَ الحُدَيْبِيَة – وفي الحديث- « وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِه، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْه النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ»[2].

وروى الطبراني في الكبير قال : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ زُهَيْرٍ التُّسْتَرِيُّ، ثنا مُحَمَّدُ

(١) صحيح البخاري كتاب الوضوء (١٩٤).
(٢) صحيح البخاري كتاب الشروط (٢٧٣١).

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 173 03/04/2023 12:47 PM

بْنُ عُثْمَانَ بْنِ كَرَامَةَ، ثنا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُوسَى، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ عَوْنِ بْنِ أَبِي جُحَيْفَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِالْبَطْحَاءِ، وَقَدْ أَذَّنَ بِلَالٌ فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ قُبَّةٍ لَهُ مِنْ أُدُمٍ فَجَلَسَ بِفِنَائِهَا، ثُمَّ أُتِيَ بِطَهُورٍ، فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ بَادَرَ النَّاسُ إِلَى فَضْلِ وَضُوئِهِ مِنْ شَارِبٍ وَمُتَوَضِئٍ، ثُمَّ أُتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِعَنَزَةٍ فَغُرِزَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ فَصَلَّى بِالنَّاسِ، وَإِنَّ الصَّبِيَّ وَالْمَرْأَةَ وَالشَّاةَ وَالْبَعِيرَ يَمُرُّونَ بَيْنَ يَدَيْهِ[1]».

وروى أبو داود عَنِ الرُّبَيِّعِ، «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَسَحَ بِرَأْسِهِ مِنْ فَضْلِ مَاءٍ كَانَ فِي يَدِهِ[2]».

وهذه أدلة صريحة على التطهر بالماء المستعمل.

وعن ابن عباس «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَغْتَسِلُ بِفَضْلِ مَيْمُونَةَ» [3]

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: اغْتَسَلَ بَعْضُ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ فِي جَفْنَةٍ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ لِيَتَوَضَّأَ مِنْهَا أَوْ يَغْتَسِلَ، فَقَالَتْ: لَهُ يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي كُنْتُ جُنُبًا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ الْمَاءَ لَا يُجْنِبُ[4]» .

وروى البخاري عن عَائِشَةَ، قَالَتْ: «كُنْتُ أَغْتَسِلُ أَنَا وَالنَّبِيُّ ﷺ مِنْ إِنَاءٍ وَاحِدٍ، تَخْتَلِفُ أَيْدِينَا فِيهِ» وفي مسلم قَالَتْ: « كُنْتُ أَغْتَسِلُ أَنَا وَرَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ إِنَاءٍ بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَاحِدٍ، فَيُبَادِرُنِي حَتَّى أَقُولَ: دَعْ لِي، دَعْ لِي. قَالَتْ: وَهُمَا جُنُبَانِ[5]»

ومن الآثار: ما رواه ابن أبي شيبة - حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، وَعَنْ حُمَيْدٍ، عَنِ الْحَسَنِ «أَنَّهُمَا كَانَا يَمْسَحَانِ رُءُوسَهُمَا بِفَضْلِ أَيْدِيهِمَا[6]».

وقال: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ، عَنْ مُغِيرَةَ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: «إِذَا نَسِيَ أَنْ يَمْسَحَ رَأْسَهُ وَفِي لِحْيَتِهِ بَلَلٌ فَذَكَرَ وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ، فَإِنْ كَانَ فِي لِحْيَتِهِ بَلَلٌ

(١) المعجم الكبير(١١٣/٢٢) وهو في الصحيحين انظر البخاري برقم (١٨٧) ومسلم (٢٥٠ - (٥٠٣)). بغير «ومُتَوَضِئ».

(٢) سنن أبي داود (١٣٠).

(٣) رواه مسلم (٤٨ - (٣٢٣) .

(٤) رواه أبوداود وغيره كتاب الطهارة (٦٨).

(٥) رواه مسلم (٤٦ - (٣٢١)) ورواه البخاري كتاب الغسل(٢٦١).

(٦) رواه ابن أبي شيبة (٢١٢).

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 174 03/04/2023 12:47 PM

فَلْيَمْسَحْ رَأْسَهُ[1]».

وروى عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنْ عَطَاءٍ قَالَ: «إِنْ نَسِيتَ الْمَسْحَ بِالرَّأْسِ فَصَلَّيْتَ ثُمَّ ذَكَرْتَ فَامْسَحْ بِرَأْسِكَ، وَأَعِدِ الصَّلَاةَ» قَالَ: وَبَلَغَنِي عَنْهُ وَلَا أَدْرِي أَنَّهُ قَدْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «إِنْ كَانَ فِي لِحْيَتِكَ بَلَلٌ فَامْسَحْ مِنْهَا[2]».

ونسب ابن المنذر هذا القول الى الزُّهْرِي، وَمَكْحُول.

قال ابن المنذر[3]:» وَلَيْسَ مَعَ مَنْ أَبْطَلَ الطَّهَارَةَ بِهَذَا الْمَاءِ حُجَّةٌ وَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَتَيَمَّمَ وَهُوَ يَجِدُ الْمَاءَ ....»

وقال : وَمِنْ حُجَّةِ مَنْ يَرَى الْوُضُوءَ بِالْمَاءِ الْمُسْتَعْمَلِ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ (النساء: ٤٣) قَالَ: فَلَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يَتَيَمَّمَ وَمَاءٌ طَاهِرٌ مَوْجُودٌ» وقال :» ...فَأَجْمَعَ أَهْلُ الْعِلْمِ عَلَى أَنَّ الرَّجُلَ الْمُحْدِثَ الَّذِي لَا نَجَاسَةَ عَلَى أَعْضَائِهِ لَوْ صَبَّ مَاءً عَلَى وَجْهِهِ أَوْ ذِرَاعَيْهِ فَسَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَعَلَى ثِيَابِهِ أَنَّهُ طَاهِرٌ، وَذَلِكَ أَنَّ مَاءً طَاهِرًا لَاقَى بَدَنًا طَاهِرًا، وَكَذَلِكَ فِي بَابِ الْوُضُوءِ مَاءٌ طَاهِرٌ لَاقَى بَدَنًا طَاهِرًا وَإِذَا ثَبَتَ أَنَّ الْمَاءَ الْمُتَوَضَّأَ بِهِ طَاهِرٌ وَجَبَ أَنْ يَتَطَهَّرَ بِهِ مَنْ لَا يَجِدُ السَّبِيلَ إِلَى مَاءٍ غَيْرِهِ وَلَا يَتَيَمَّمَ وَمَاءٌ طَاهِرٌ مَوْجُودٌ».

ولأن الأصل بقاء وصفه بالطهورية، ولم يرد نص بإزالة وصف الطهورية عنه، وما استدل به على زوال وصف الطهورية من نهيه ﷺ عن الإغتسال في الماء الدائم فقد أجيب عنه بأن النهي لما في ذلك من تقذير الماء لا لنجاسته ولا لتصييره مستعملا وكذلك غمس يد القائم من النوم.

٩- يكره التطهر بفضل طهور المرأة:

عن الْحَكَمِ بْنُ عَمْرٍو الْغِفَارِيُّ « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ» نَهَى أَنْ يَتَوَضَّأَ الرَّجُلُ بِفَضْلِ طَهُورِ الْمَرْأَةِ[4]»

وعَنْ حُمَيْدٍ الْحِمْيَرِيِّ، قَالَ: لَقِيتُ رَجُلًا صَحِبَ النَّبِيَّ ﷺأَرْبَعَ سِنِينَ، كَمَا صَحِبَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ، قَالَ: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ تَغْتَسِلَ الْمَرْأَةُ بِفَضْلِ الرَّجُلِ، أَوْ يَغْتَسِلَ

(١) رواه ابن أبي شيبة (٢١٤).
(٢) رواه عبدالرزاق (٤١).
(٣) الاوسط لابن المنذر ١/ ٢٨٦-٢٨٨).
(٤) رواه أحمد (٢٠٦٥٧) وأبوداود (٨٢).

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 175 03/04/2023 12:47 PM

الرَّجُلُ بِفَضْلِ الْمَرْأَةِ»، زَادَ مُسَدَّدٌ: «وَلْيَغْتَرِفَا جَمِيعًا[١]»

و عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَرْجِسَ، قَالَ: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، أَنْ يَغْتَسِلَ الرَّجُلُ بِفَضْلِ وَضُوءِ الْمَرْأَةِ، وَالْمَرْأَةُ بِفَضْلِ الرَّجُلِ، وَلَكِنْ يَشْرَعَانِ جَمِيعًا[٢]» .

عَنْ سَوَادَةَ بْنِ عَاصِمٍ، قَالَ: انْتَهَيْتُ إِلَى الْحَكَمِ الْغِفَارِيِّ وَهُوَ بِالْمِرْبَدِ، وَهُوَ يَنْهَاهُمْ عَنْ فَضْلِ طَهُورِ الْمَرْأَةِ، فَقُلْتُ: أَلَا حَبَّذَا صُفْرَةُ ذِرَاعَيْهَا، أَلَا حَبَّذَا كَذَا، فَأَخَذَ شَيْئًا فَرَمَاهُ بِهِ، وَقَالَ: «لَكَ وَلِأَصْحَابِكَ[٣]».

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَرْجِسَ ، قَالَ: «تَتَوَضَّأُ الْمَرْأَةُ وَتَغْتَسِلُ مِنْ فَضْلِ غُسْلِ الرَّجُلِ وَطَهُورِهِ ، وَلَا يَتَوَضَّأُ الرَّجُلُ بِفَضْلِ غُسْلِ الْمَرْأَةِ وَلَا طُهُورِهَا[٤]».

عَنْ كُلْثُومِ بْنِ عَامِرٍ «أَنَّ جُوَيْرِيَةَ بِنْتَ الْحَارِثِ، تَوَضَّأَتْ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَتَوَضَّأَ بِفَضْلِ وَضُوئِهَا فَنَهَتْنِي[٥]».

وروى مَالِكٌ، حَدَّثَنَا نَافِعٌ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّهُ قَالَ: «لَا بَأْسَ بِأَنْ يَغْتَسِلَ الرَّجُلُ بِفَضْلِ وَضُوءِ الْمَرْأَةِ، مَا لَمْ تَكُنْ جُنُبًا أَوْ حَائِضًا[٦]».

عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَأَرَدْتُ أَنْ أَتَوَضَّأَ مِنْ مَاءٍ عِنْدَهُ، فَقَالَ: «لَا تَوَضَّأْ بِهِ فَإِنَّهُ فَضْلُ امْرَأَةٍ[٧]».

وكرهه جماعة من التابعين .

قال الأَثْرَمُ: سمعت أبا عبد الله يُسْأَل عَنِ الْوُضُوءِ مِنْ فَضْلِ الْمَرْأَةِ فَقَالَ أَمَّا إِذَا خَلَتْ بِهِ فَقَدْ كَرِهَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ وأما إذا كانا جميعا فلا بأس به وَاحْتَجَّ بِحَدِيثِ عَائِشَةَ كُنْتُ أَغْتَسِلُ أَنَا وَالنَّبِيُّ ﷺ مِنْ إِنَاءٍ وَاحِدٍ.[٨]

(١) رواه أبوداود (٨١).
(٢) رواه ابن ماجه (٣٧٤).
(٣) رواه ابن أبي شيبة (٣٥٥).
(٤) رواه الدارقطني في السنن (٤١٨).
(٥) رواه ابن أبي شيبة (٣٥٦).
(٦) موطأ مالك (٨٦).
(٧) رواه ابن أبي شيبة (٣٥٩).
(٨) سنن الأثرم (٧٢).

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 176 03/04/2023 12:47 PM

هناك أدلة صرفت هذا النهي عن التحريم منها:

ما جاء عَن ابْن عَبَّاس، قَالَ: اغْتَسَلَ بَعْضُ أَزْوَاج النَّبِيِّ ﷺ فِي جَفْنَة، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ لِيَتَوَضَّأَ مِنْهَا أَوْ يَغْتَسِلَ، فَقَالَتْ: لَهُ يَا رَسُولَ اللَّه، إِنِّي كُنْتُ جُنُبًا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «إِنَّ الْمَاءَ لَا يُجْنِبُ[1]» .

وعَنْ حَبِيب بْن شِهَاب، عَنْ أَبِيه، أَنَّهُ سَأَلَ أَبَا هُرَيْرَةَ عن سؤر طهور المرأة يتطهر منه قال «إِنْ كُنَّا لَنَنْقُرُ حَوْلَ قَصْعَتِنَا نَغْتَسِلُ مِنْهَا كِلَانَا[2]» (٣)

وعَنْ أَبِي يَزِيدَ الْمَدِينِيِّ، قَالَ: سُئِلَ ابْنُ عَبَّاسٍ عَنْ سُؤْرِ الْمَرْأَةِ فَقَالَ: «هِيَ أَلْطَفُ بْنَانًا وَأَطْيَبُ رِيحًا[3]».

وجوز التطهر منه جماعة من التابعين.

قَالَ أَبُو عُبَيْد : « وَهُوَ الْأَمْرُ الْمَعْمُولُ بِهِ عِنْدَنَا أَنَّهُ طَاهِرٌ ، لِحَدِيثِ عَائِشَةَ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ فِي هَذَا الْبَابِ ، وَلِحَدِيثِ مَيْمُونَةَ فِي الْبَابِ الْأَوَّلِ مَعَ قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَمَنْ وَافَقَهُ مَعَ هَذَا لَوْ أَنِّي أَصَبْتُ غَيْرَهُ كَانَ أَطْيَبُ لِنَفْسِي وَذَلِكَ عَلَى الِاخْتِيَارِ ، وَلِمَا فِيهِ مِنَ الِاخْتِلَافِ ، وَلَيْسَ عَلَى هَذَا إِفْسَادُ طَهُورِ أَحَدٍ بِذَلِكَ وَلَا صَلَاتِهِ»[4] .

وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري بعد أن ذكر مذاهب العلماء وقال عن الجمع : « وَهُوَ مُمْكِنٌ» ثم نقل كلاما للخطابي في الجمع ثم قال : «أَوْ يُحْمَلُ النَّهْيُ عَلَى التَّنْزِيهِ جَمْعًا بَيْنَ الْأَدِلَّةِ وَاللَّهُ أعلم»[5].

١٠- الماء على أصله طهور لا ينجس إلا اذا تغير بالنجاسة سواء كان كثيرا أو قليلا:

إذا كان الماء كثيرا أو قليلا وتغير بالنجاسة فإنه نجس لا يتطهر به وهذا بإجماع العلماء.

وأما اذا كان قليلا ووقعت فيه نجاسة ولم تغيره فاختلف العلماء في حكمه واختلفوا في الحد الفاصل بين القليل والكثير.

(١) رواه أبوداود وغيره (٦٨).
(٢) رواه ابن أبي شيبة (٣٧٧).
(٣) رواه ابن أبي شيبة (٣٤٨).
(٤) الطهور للقاسم بن سلام (٢٦٢).
(٥) فتح الباري (١/ ٣٠٠).

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 177 03/04/2023 12:47 PM

والصحيح أن الماء يبقى على طهوريته ولا ينجس الا بالتغير والادلة على ذلك منها :

قوله تعالى « وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا» (سورة الفرقان ٤٨)، وقال تعالى «وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ» (سورة الأنفال ١١) ، وقال تعالى « وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا» (النساء ٤٣).

فالأصل أن الماء طهور ولا ينقل عن هذا الأصل إلا بالتغير والسنة وأقوال الصحابة دلت على هذا المعنى منها:

أ-عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّهُ قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَنَتَوَضَّأُ مِنْ بِئْرِ بُضَاعَةَ وَهِيَ بِئْرٌ يُطْرَحُ فِيهَا الْحِيَضُ وَلَحْمُ الْكِلَابِ وَالنَّتْنُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمَاءُ طَهُورٌ لَا يُنَجِّسُهُ شَيْءٌ[١]».

فهذا حكم من النبي ﷺ في ماء وقعت فيه نجاسة أنه باق على أصله، قال ابن القيم:» فَهَذَا نَصّ صَحِيح صَرِيح عَلَى أَنَّ الْمَاء لَا يَنْجُس بِمُلَاقَاةِ النَّجَاسَة مَعَ كَوْنه وَاقِفًا فَإِنَّ بِئْر بُضَاعَة كَانَتْ وَاقِفَة وَلَمْ يَكُنْ عَلَى عَهْده بِالْمَدِينَةِ مَاء جَارٍ أَصْلًا فَلَا يَجُوز تَحْرِيم مَا أَبَاحَهُ وَفَعَلَهُ قِيَاسًا عَلَى مَا نَهَى عَنْهُ وَيُعَارَض أَحَدهمَا بِالْآخَرِ بَلْ يُسْتَعْمَل هَذَا وَهَذَا، هذا فِي مَوْضِعه وَهَذَا فِي مَوْضِعه وَلَا تضرب سنة رسول الله بعضها ببعض فوضوؤه مِنْ بِئْر بُضَاعَة وَحَالهَا مَا ذَكَرُوهُ لَهُ دَلِيل عَلَى أَنَّ الْمَاء لَا يَتَنَجَّس بِوُقُوعِ النَّجَاسَة فِيهِ مَا لَمْ يَتَغَيَّر»[٢].

ب-وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْمَاءِ وَمَا يَنُوبُهُ مِنَ الدَّوَابِّ وَالسِّبَاعِ، فَقَالَ ﷺ: «إِذَا كَانَ الْمَاءُ قُلَّتَيْنِ لَمْ يَحْمِلِ الْخَبَثَ»[٣] فَقَوْلُهُ «لَمْ يَحْمِلْ الْخَبَثَ» : بَيَّنَ أَنَّ تَنْجِيسَهُ بِأَنْ يَحْمِلَ الْخَبَثَ، أَيْ بِأَنْ يَكُونَ الْخَبَثُ فِيهِ مَحْمُولًا، وَذَلِكَ يُبَيِّنُ أَنَّهُ مَعَ اسْتِحَالَةِ الْخَبَثِ لَا يَنْجُسُ الْمَاءُ[٤].

(١) رواه أبود اود (٦٦).
(٢) حاشية على سنن أبي داود لابن القيم (٨٣/١).
(٣) رواه أبود اود (٦٣).
(٤) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٢٥٣/١).

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 178 03/04/2023 12:47 PM

ج- وعن أ بي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَامَ أَعْرَابِيٌّ فَبَالَ فِي المَسْجِدِ، فَتَنَاوَلَهُ النَّاسُ، فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ : «دَعُوهُ وَهَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ، أَوْ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ[1]».

قال ابن عبدالبر: «وَفِيهِ مِنَ الْفِقْهِ أَنَّ الْمَاءَ إِذَا غَلَبَ عَلَى النَّجَاسَةِ وَلَمْ يَظْهَرْ فِيهِ شَيْءٌ مِنْهَا فَقَدْ طَهَّرَهَا وَأَنَّهَا لَا تَضُرُّهُ مُمَازَجَتُهُ لَهَا إِذَا غَلَبَ عَلَيْهَا وَسَوَاءٌ كَانَ قَلِيلًا أَوْ كَثِيرًا وَقَدْ جَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى طَهُورًا وَأَنْزَلَهُ عَلَيْنَا لِيُطَهِّرَنَا بِهِ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «الْمَاءُ لَا يُنَجِّسُهُ شَيْءٌ» يَعْنِي إِلَّا مَا غَلَبَ عَلَيْهِ مِنَ النَّجَاسَةِ فَغَيَّرَهُ وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَا يُطَهِّرُ نَجَاسَةً حَتَّى يُمَازِجَهَا فَإِنْ غَلَبَ عَلَيْهَا وَلَمْ يَظْهَرْ فِيهِ شَيْءٌ مِنْهَا فَالْحُكْمُ لَهُ وَإِنْ غَلَبَتْهُ النَّجَاسَةُ فَالْحُكْمُ لَهَا إِذَا ظَهَرَ فِي الْمَاءِ شَيْءٌ مِنْهَا»[2].

ومن أقوال الصحابة:

روى عبدالرزاق عَنْ عِكْرِمَةَ، أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ، مَرَّ بِغَدِيرٍ فِيهِ جِيفَةٌ «فَأَمَرَ بِهَا فَنُحِّيَتْ، ثُمَّ تَوَضَّأَ مِنْهُ[3]»

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: الْمَاءُ طَهُورٌ لَا يُنَجِّسُهُ شَيْءٌ[4].

قال أبوعبيد في انكار ما روي عن ابن عباس في نزح زمزم : «أَنَّ الْمَشْهُورَ مِنْ رَأْيِ ابْنِ عَبَّاسٍ التَّوَسُّعَ فِي الْمَاءِ. أَلَسْتَ تَرَى أَنَّهُ يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ الْمَاءَ لَا يُنَجِّسُهُ شَيْءٌ» . ثُمَّ كَذَلِكَ كَانَتْ فُتْيَاهُ. وَقَدْ رَوَى عَنْهُ الشَّعْبِيُّ أَنَّهُ قَالَ: لَا يَخْبُثُ الْمَاءُ. وَرَوَى عَنْهُ أَبُو عُمَرَ الْبَهْرَانِيُّ فِي الْحَمَّامِ يَدْخُلُهُ الْأَجْنَابُ أَنَّ ذَلِكَ لَا يُنَجِّسُهُ. ثُمَّ مَعَ هَذَا كُلِّهِ أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ يُنْكِرُونَ نَزْحَ زَمْزَمَ وَلَا يَعْرِفُونَهُ[5]»

وروى ابن ابي شيبة عنْ حَبِيبِ بْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ سَأَلَ أَبَا هُرَيْرَةَ عَنْ سُؤْرِ الْحَوْضِ، تَرِدُهَا السِّبَاعُ وَيَشْرَبُ مِنْهُ الْحِمَارُ فَقَالَ: لَا يُحَرِّمُ الْمَاءَ شَيْءٌ[6].

قال ابن عبدالبر : « حَسْبُكَ بِجَوَابِ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي هَذَا الْبَابِ وَهُوَ الَّذِي رَوَى حَدِيثَ

(١) رواه البخاري (٢٢٠).
(٢) الاستذكار (٣٥٩/١).
(٣) المصنف لعبدالرزاق (٢٦٠).
(٤) المصنف لابن أبي شيبة (١٥٢٢).
(٥) الطهور للقاسم بن سلام (ص ٢٤٧).
(٦) المصنف لابن أبي شيبة (١٥١١).

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 179 03/04/2023 12:47 PM

وُلُوغِ الْكَلْبِ فِي الْإِنَاءِ وَحَدِيثَ غَسْلِ الْيَدِ قَبْلَ إِدْخَالِهَا فِيهِ»[١].

وروى ابن أبي شيبة عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: إِنَّهُ لَيْسَ يَكُونُ عَلَى الْمَاءِ جَنَابَةٌ[٢].

وروى ابن الجعد عَنْ مُعَاذَةَ الْعَدَوِيَّةِ، عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا سُئِلَتْ عَنِ الْغُسْلِ مِنَ الْجَنَابَةِ، فَقَالَتْ: «إِنَّ الْمَاءَ لَا يُنَجِّسُهُ شَيْءٌ، قَدْ كُنْتُ أَغْتَسِلُ أَنَا وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ إِنَاءٍ وَاحِدٍ، يَبْدَأُ، فَيَغْسِلُ يَدَيْهِ[٣]».

قال ابن القيم :» ومن ذلك: أن الذى دلت عليه سنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وآثار أصحابه: أن الماء لا ينجس إلا بالتغير، وإن كان يسيراً وهذا قول أهل المدينة وجمهور السلف، وأكثر أهل الحديث.

وبه أفتى عطاء بن أبى رباح، وسعيد بن المسيب، وجابر بن زيد، والأوزاعى، وسفيان الثورى، ومالك بن أنس، وعبد الرحمن بن مهدى، واختاره ابن المنذر. وبه قال أهل الظاهر. ونص عليه أحمد فى إحدى روايتيه. وإختاره جماعة من أصحابنا، منهم ابن عقيل فى مفرداته وشيخنا أبو العباس، وشيخه ابن أبى عمر[٤].

ونسب ابن حزم هذا القول لجماعة من التابعين وهم : الأسود بن يزيد وعبدالرحمن أخوه وعبدالرحمن بن أبي ليلى وسعيد بن جبير ومجاهد والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق والحسن البصري وعكرمة وعثمان البتي[٥]».

وقال البخارى: قال الزهرى: «لا بأس بالماء ما لم يتغير منه طعم أو ريح أو لون[٦]».

وغير هؤلاء من السلف.

ولشيخ الإسلام ابن تيمية كلاماً علمياً جامعاً في هذه المسألة أنقله لفائدته وإجابته عن الأدلة التي استدل بها بعض أهل العلم ممن له قول أخر في هذه المسألة قال شيخ الاسلام : « وأصل هذه المسألة من جهة المعنى: أن اختلاط الخبيث -وهو النجاسة- بالماء: هل يُوجب تحريم الجميع أم يُقال: بل قد استحال في الماء فلم

(١) التمهيد (٣٣٣/١).
(٢) المصنف لابن أبي شيبة (١٥١٧).
(٣) مسند علي بن الجعد (١٥١٥)
(٤) اغاثة اللهفان (١٥٦/١).
(٥) المحلى (١٦٩/١).
(٦) صحيح البخاري كتاب الوضوء باب ما يقع من النجاسات في السمن والماء.

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 180 03/04/2023 12:47 PM

يبقَ له حكم؟

فالمنجسون ذهبوا إلى القول الأول؛ ثم من استثنى الكثير قال: هذا يَشُقُّ الاحتراز من وقوع النجاسة فيه، فجعلوا ذلك موضع استحسان، كما ذهب إلى ذلك طائفة من أصحاب الشافعي وأحمد.

وأما أصحاب أبي حنيفة فبنوا الأمر على وصول النجاسة وعدم وصولها وقدَّروه بالحركة أو بالمساحة في الطول والعرض دون العمق.

والصواب: هو القول الأول، وأنه متى عُلِم أن النجاسة قد استحالت فالماء طاهر سواء كان قليلًا أو كثيرًا، وكذلك في المائعات كُلِّها، وذلك لأن الله تعالى أباح الطيبات وحرَّم الخبائث؛ والخبيث متميز عن الطيب بصفاته، فإذا كانت صفات الماء وغيره صفات الطيب دون الخبيث: وَجَبَ دخوله في الحلال دون الحرام.

وأيضًا: فقد ثبت من حديث أبي سعيد: أن النبي ﷺ قيل له: أنتوضأ من بئر بضاعة؟ وهي بئر يُلقى فيها الحِيَضُ، ولحوم الكلاب والنَّتن ، فقال: «الماء طهور لا يُنَجسه شيء» قال أحمد: حديث بئر بضاعة صحيح؛ وهو في المسند أيضًا عن ابن عباس: أن النبي ﷺ قال: «الماء طهور لا ينجسه شيء» وهذا اللفظُ عامٌّ في القليل والكثير وهو عامٌّ في جميع النجاسات.

وأما إذا تغيَّر بالنجاسة فإنما حُرِّم استعماله لأن جِرم النجاسة باقٍ ففي استعماله استعمالُها بخلاف ما إذا استحالت النجاسة فإن الماء طهور، وليس هناك نجاسة قائمة.

ومما يُبيِّن ذلك: أنه لو وَقَع خمر في ماء واستحالت، ثم شربها شارب لم يكن شاربًا للخمر؛ ولم يجب عليه حدُّ الخمر إذ لم يَبقَ شيءٌ من طعمها ولونها وريحها؛ ولَو صُبَّ لبن امرأة في ماء واستحال حتى لم يَبقَ له أثر وشرب طفل من ذلك الماء لم يَصِرْ ابنها من الرضاعة بذلك.

وأيضًا: فإن هذا باقٍ على أوصاف خِلْقَته؛ فيدخل في عموم قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً﴾ فإن الكلام إنما هو فيما لم يتغير بالنجاسة: لا طعمه ولا لونه ولا ريحه.

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 181 03/04/2023 12:47 PM

فإن قيل: فإن النبيَّ ﷺ قد نهى عن البول في الماء الدائم، وعن الاغتسال فيه[1].

قيل: نَهيُهُ عن البول في الماء الدائم لا يَدل على أنه يَنجُس بمجرد البول؛ إذ ليس في اللفظ ما يَدل على ذلك بل قد يكون نَهْيُهُ سدًّا للذريعة ؛ لأن البول ذريعة إلى تنجيسه، فإنه إذا بال هذا ثم بال هذا تغير الماء بالبول فكان نهيه سدًّا للذريعة، أو يُقال: إنه مكروه بمجرد الطبع، لا لأجل أنه ينجسه.

وأيضًا: فيَدل نهيُهُ عن البَوْل في الماء الدائم أنه يَعُمُّ القليل والكثير، فيُقال لصاحب القُلَّتَيْن: أتُجَوِّز بوله فيما فوق القلتين؟ إن جوزته فقد خالفت ظاهر النص، وإن حرمتُهُ فقد نقضت دليلك.

وكذلك يُقال لمن فرَّق بين ما يمكن نزحُهُ وما لا يُمكن: أتُسَوِّغ للحجاج أن يبولوا في المصانع [2] المبنيَّة بطريق مكة إن جوزته خالفت ظاهر النص؛ فإن هذا ماءٌ دائم والحديث لم يفرق بين القليل والكثير، وإلا نقضت قولك.

وكذلك يُقال للمقدِّر بعشرة أذرع: إذا كان لأهل القرية غديرٌ مستطيل أكثر من عشرة أذرع رقيق أتسوِّغ لأهل القرية البول فيه؟ فإن سَوَّغتُهُ خالفت ظاهر النص؛ وإلا نقضت قولك.

فإذا كان النص بل والإجماع، دل على أنه نهى عن البول فيما ينجسه البول؛ بل تقدير الماء وغير ذلك فيما يشترك فيه القليل والكثير: كان هذا الوصف المشترك بين القليل والكثير مستقلًا بالنهي فلم يَجُز تعليل النهي بالنجاسة، ولا يجوز أن يُقال: إنه ﷺ إنما نهى عن البول فيه، لأن البول يُنَجسه فإن هذا خلاف النص والإجماع.

وأما من فرَّق بين البول فيه وبين صبِّ البول، فقوله ظاهر الفساد فإنَّ صبَّ البول أبلغ من أن يُنْهى عنه من مجرد البول؛ إذ الإنسان قد يحتاج إلى أن يَبول، وأما صبُّ الأبوال في المياه فلا حاجة إليه.

(١) أخرجه مسلم (٩٥-٢٨٢) من حديث أبي هريرة .
(٢) المصنع: ما يُصنع لجمع الماء نحو البركة والصهريج.

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 182 03/04/2023 12:47 PM

فإن قيل: ففي حديث القلتين أنه سُئِل عن الماء يكون بأرض الفلاة، وما يَنُوبُ من السِّباع والدواب، فقال: «إذا بلغ القلتين لم يحمل الخبث» وفي لفظٍ: «لم يُنجسه شيء» .....

فإذا صحَّ فمنطوقه موافق لغيره، وهو أن الماء إذا بلغ القلتين لم ينجسه شيء؛ وأما مفهومه -إذا قلنا بدلالة مفهوم العدد- فإنما يدل على أن الحكم في المسكوت عنه مخالف للحكم في المنطوق بوجه من الوجوه، لا لتظهر فائدة التخصيص بالقدر المعين، ولا يشترط أن يكون الحكم في كل صورة من صور المسكوت عنه مناقضة للحكم في كل صورة من صور المنطوق.

وهذا معنى قولهم: المفهوم لا عموم له، فلا يلزم أن يكون كل ما لم يبلغ القلتين يَنجس، بل إذا قيل بالمخالفة في بعض الصور حصل المقصود، والمقدار الكثير لا يغيره ورود ما ورد عليه في العادة، بخلاف القليل فإنه قد يغيره، وذلك إذا ما صال عنه فإنه لا يحمل النجاسة في العادة؛ فلا ينجسه، وما دونه قد يحمل وقد لا يحمل فإن حملها تنجس، وإلا فلا، وحمل النجاسة هو كونها محمولة فيه؛ ويحقق ذلك أيضًا أن النبي ﷺ لم يذكر هذا التقدير ابتداء؛ وإنما ذكره في جواب مَن سأله عن مياه الفلاة التي تردها السباع والدواب؛ والتخصيص إذا كان له سبب غير اختصاص الحكم لم يبق حجة بالاتفاق، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ (الإسراء: ٣١)، فإنه خصَّ هذه الصورة بالنهي، لأنها هي الواقعة، لا لأن التحريم يختص بها.

وكذلك قوله تعالى ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ﴾ فذكر الرهن في هذه الصورة للحاجة لا للكثرة مع أنه قد ثبت أن النبي ﷺ مات ودرعه مرهون ، فهذا رهنٌ في الحضر، فكذلك قوله: «إذا بلغ الماء قلتين»، في جواب سائل معين بيان لما احتاج السائل إلى بيانه، فلما كان ذلك المسئول عنه كثيرًا قد بلغ قلتين؛ ومن شأن الكثير أنه لا يحمل الخبث، فلا يبقى الخبث فيه محمولًا، بل يستحيل الخبث فيه لكثرته، بيَّن لهم أن ما سألتم عنه لا خبث فيه؛ فلا ينجس.

ودلَّ كلامه على أن مناط التنجيس هو كون الخبث محمولًا فحيث كان الخبث

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 183 03/04/2023 12:47 PM

محمولًا موجودًا في الماء كان نجسًا؛ وحيث كان الخبث مستهلكًا فيه غير محمول في الماء، كان باقيًا على طهارته.

والمنازع يقول: المؤثر في التنجيس في القليل ولو مطلقًا هو نفس الملاقاة، وهي موجودة لحمل الخبث كان القليل والكثير سواءً في ذلك، وكونه لا يحمل الخبث ليس هو لعجزه عنه، كما يظنه بعض الناس؛ فإنه لو كان كذلك لكان القليل أولى أن يحمله؛ فصار حديث القلتين موافقًا لقوله: «الماء طهور لا ينجسه شيء» ، والتقدير فيه لبيان أنه في صورة السؤال لم ينجس، لا أنه أراد أن كل ما لم يبلغ قلتين فإنه يحمل الخبث؛ فإن هذا مخالفة للحس، إذ ما دون القلتين قد يحمل الخبث وقد لا يحمله، فإن كان الخبث كثيرًا وكان الماء يسيرًا يحمل الخبث، وإن كان الخبث يسيرًا، والماء كثيرًا لم يحمل الخبث، بخلاف القلتين، فإنه لا يحمل في العادة الخبث الذي سألوه عنه. ونكتة الجواب: أن كونه يحمل الخبث أو لا يحمله: أمر حسي يُعرف بالحس، فإنه إذا كان الخبث موجودًا فيه كان محمولًا؛ وإن كان مستهلكًا لم يكن محمولًا، فإذا عُلِم كثرة الماء، وضعف الملاقي، علم أنه لا يحمل الخبث والدليل على هذا: اتفاقهم على أن الكثير إذا تغير ريحه حمل الخبث؛ فصار قوله: «إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل الخبث» « ولم ينجسه شيء» كقوله: «الماء طهور لا ينجسه شيء»، وهو إنما أراد: إذا لم يتغير في الموضعين؛ وأما إذا كان قليلًا فقد يحمل الخبث لضعفه، وعلى هذا يخرج أمره بتطهير الإناء إذا ولغ فيه الكلب سبعًا إحداهن بالتراب، والأمر بإراقته.

فإن قوله: «إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليرقه -أو فليغسله-سبعًا أولاهن بالتراب »[1]، كقوله: «إذا قام أحدكم من نومه فلا يغمس يده في الإناء حتى يغسلها ثلاثًا، فإن أحدكم لا يدري أين باتت يده»[2]

فإذا كان النهي عن غمس اليد في الإناء هو في الإناء المعتاد للغمس، وهو الواحد من آنية المياه؛ فكذلك تلك الآنية المعتادة للولوغ وهي آنية الماء، وذلك: أن الكلب يلغ بلسانه بعد شيء، فلا بد أن يبقى في الماء من ريقه ولعابه ما يبقى وهو

(١) أخرجه مسلم (٨٩ - (٢٧٩) من حديث أبي هريرة.
(٢) أخرجه البخاري (١٦٢)، ومسلم (٨٧ - (٢٧٨) من حديث أبي هريرة.

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 184 03/04/2023 12:47 PM

لزج، فلا يحيله الماء القليل بل يبقى فيكون ذلك الخبث محمولًا في ماء يسير في ذلك الماء، فيراق ذلك الماء لأجل كَون الخبث محمولًا فيه لما يروى في ذلك ويغسل الإناء الذي لاقاه الخبث.

وهذا بخلاف الخبث المستهلك المستحيل كاستحالة الخمر؛ فإن الخمر إذا انقلبت في الدن بإذن الله تعالى، كانت طاهرة باتفاق العلماء، وكذلك جوانب الدن فهناك يغسل الإناء، وهنا لا يغسل، لأن الاستحالة حصلت في أحد الموضعين دون الآخر.

وأيضًا فإن النبي ﷺ لو أراد الفصل بين المقدار الذي ينجس بمجرد الملاقاة، وبين ما لا ينجس إلا بالتغير، لقال: إذا لم يبلغ قلتين نجس، وما بلغهما لا ينجس إلا بالتغير، أو نحو ذلك من الكلام الذي يدل على ذلك.

فإن مجرد قوله: «إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل الخبث»، مع أن الكثير ينجس بالتغير بالاتفاق، فلا يدل على أن هذا هو المقصود، بل يدل على أنه في العادة لا يحمل الأخباث، فلا تنجسه، فهو إخبار عن انتفاء سبب التنجيس، وبيان لكون المنجس في نفس الأمر هو حمل الخبث، والله أعلم[1].

فأما الأمر بإراقة ما ولغ فيه الكلب؛ فلأن ريقه له أثر فيه، وولوغ الكلب عادة يكون في الأواني الصغيرة، والماء الذي فيها قليل ليس من المياه الكثيرة التي تدفع عن نفسها فالغالب أن هذه الأواني مياهها قليل فجاء فيه الإراقة بخلاف غيره.

والماء ألطف وأنفذ في الأعماق، وهو مخلوق للطهارة دن غيره من المائعات، فإنها خلقت للأكل وللدهان وغير ذلك، وأعمها وجوداً وهو طهور يدفع النجاسة عن نفسه ولا يتجنس في وروده عليها ولافي ورودها عليه إلا إذا ظهر فيه أثرها إلى غير ذلك من الصفات التي اختص بها فلا يجوز إلحاق غيره به.

(١) المسَائِلُ المارديْنيَّة - وهي مسائل يكثر وقوعها ويحصل الابتلاء بها لابن تيمية (ص ٦٩- ٨٢).

□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 185 03/04/2023 12:47 PM



□□□□ □□□□□□ □□□□□.indd 186 03/04/2023 12:47 PM